علو الهمة في الرحمة والرأفة والشفقة والرقة

سبحان من وسعت رحمته كل شيء، كما وسع حمدهُ كلَّ شيء.

* استوى الرحمن على عرشه، وعرشه أشرف المخلوقات ومحيط بها قد وَسِعها، والرحمة محيطة بالخلْق؛ واسعة لهم كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات.

وما أعظم الرحمة وأشرفها وأجملها عند الله حتى يكتب الرحمن كتابها بيده:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب – فهو عنده موضوعٌ على العرش–: إن رحمتي تغلِبُ غضبي**»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كتب ربكم على نفسه بيده – قبل أن يخلقَ الخلقَ: رحمتي سبقت غضبي**»(٢).

* فتأمَّل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة؛ ووضعه عنده على العرش، وطابِقْ بين ذلك وبين قوله: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٦٦)، والبخاري في «صحيحه» - كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ الحديث (٣١٩٤) (٢/ ٩٨٦)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه - الحديث رقم (٢٧٥١)- (٤/ ٢١٠٧-٢١٠٨).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٨٩)، عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٧٥).

[طه].، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان]: ينفتح لَكَ بابٌ عظيمٌ من معرفة الربِّ -تبارك وتعالى-؛ إن لم يُغْلِقْهُ عنك التعطيلُ والتجهُّمُ»[(١)].

□ سبحانه وسع كل شيء رحمة، وأوسع كلَّ مخلوق نعمة وفضلًا الرحمن الذي وسعت رحمته كلَّ شيءٍ، ووسعت نعمته كلَّ حيٍّ، فبلغت رحمته حيث بلغ علمُه، فاستوى على عرشه برحمته، وخلق خلقه برحمته، وأنزل كتبه برحمته، وأرسل رسله برحمته، وشرع شرائعه برحمته، وخلق الجنة برحمته، والنار أيضًا برحمته، فإنها سوطه الذي يسوق به عباده المؤمنين إلى جنته، ويُطهِّر بها أدران الْمُوحِّدين من أهل معصيته، وسجنه الذي يسجن فيه أعداءه مِنْ خليقته.

فتأمَّل ما في أمره ونهيه ووصاياه ومواعظه من الرحمة البالغة والنعمة السابغة، وما في حشوها من الرحمة والنعمة.

فالرحمة: هي السبب المتصل منه بعباده؛ كما أن العبودية هي السبب المتصل منهم به، فمنهم إليه العبودية؛ ومنه إليهم الرحمة.

ومن أخصِّ مشاهد هذا الاسم: شهود المصلِّي نصيبه من الرحمة؛ الذي أقامه بها بين يدي ربِّه، وأهَّله لعبوديته ومناجاته، وأعطاه؛ ومنع غيره، وأقبل بقلِبه؛ وأعرض بقلب غيره، وذلك من رحمته به»[(٢)].

الرحمن الرحيم:

اسمان من أسماء الله الثابتة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع علماء الأمة،

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٢-٤٣).

(٢) «الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم (ص١٧٣).

مشتقَّان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، وفي كلام الإمام ابن جرير الطبري ما يُفهم منه حكاية الاتفاق على هذا(١).

واتفق أكثر العلماء على أن اسم «الرحمن» عربيٌّ لفظه، أما إنكار كفّار قريش له يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «اكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال سهيل: أما «الرحمن» فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنتَ تكتب»(٢).

* وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾ [الفرقان]. فالظاهر أنه إنكار جحود عناد وتعنُّت، ومما يدل على أنهم كانوا يعرفون هذا الاسم قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

□ وقد ردّ ابن جرير بشدة على من قال: أن العرب كانت لا تعرف «الرحمن» فقال: وقد زعم أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن» وبيّن أن ذلك جحودًا(٣)،(٤).

الرحمن الرحيم:

* «ذُكِر الرحمن» في القرآن سبعًا وخمسين مرّة منها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾ [الفاتحة].

---

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٨٤-٨٥).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) والتصريح بأن الكاتب هو علي رضي الله عنه جاء في رواية أخرى للبخاري برقم (٢٦٩٨).

(٣) «جامع البيان» للطبري (١/ ٤٤).

(٤) «مختصر النهج الأسمى» لمحمد الحمود النجدي (ص٢٨).

* وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة].

* وقوله سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣)﴾ [مريم].

* وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥)﴾ [طه].

* وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)﴾ [الفرقان].

* وأما اسمه «الرحيم» فقد ذُكِر مئة وأربع عشرة مرّة. منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤)﴾ [البقرة].

* وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)﴾ [البقرة].

* وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣)﴾ وهو كثير في الكتاب، انظر مثلًا [البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٩].

* وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩)﴾ [آل عمران].

* وقوله سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩)﴾ [المائدة].

* وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)﴾ [هود].

* وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)﴾ [الشعراء: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ، ١٧٥، ١٩١] تردّدت مرارًا في الشعراء.

* وقوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور].

* وقوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الإسراء]»[1].

* ولقد جاء «الرحيم» مقيَّدًا، كقوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

* وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة]، ومقرونا باسم الرحمن؛ كما في الفاتحة، أو باسم آخر نحو ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٩]، [الروم: ٥]، [السجدة: ٦]، [يس: ٥]، [الدخان: ٤٢].

وأيضًا؛ فالرحمن جاء على بناء فعلان الدالِّ على الصفة الثابتة اللازمة الكاملة؛ كما يُشعر به هذا البناء، نحو غضبان وندمان وحيران، فالرحمن: مَنْ صِفَتُه الرحمة، والرحيم: من يرحم بالفعل»[2].

الرحمن الرحيم:

□ هناك قولان في الفرق بين هذيْن الاسمَيْن:

الأول: إن اسم «الرحمن» هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة. و«الرحيم»: هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه] فذكر الاستواء باسمه «الرحمن» ليعمَّ جميع خلْقه.

---

(١) المصدر السابق (ص٢٩).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» لابن القيم (٢/ ٣٤١).

* وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب] فَخَصّ المؤمنين باسمه «الرحيم»[١].

والقول الثاني: هو أن «الرحمن» دالٌّ على صفة ذاتية، و«الرحيم» دال على صفة فعلية.

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن «الرحمن» دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل».

فالأول: دال على أن الرحمة صفته، والثاني: دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

* وإذا أردت فهم هذا فتأمَّل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة] ولم يجيء قط «رحمن بهم» فعلم أن «رحمن» هو الموصوف بالرحمة، و«رحيم» هو الراحم برحمته. وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإنْ تنفَّست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها»[٢].

* و«الرحمن» من الأسماء التي منع الله من التسمية بها كما قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فعاد به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهو «الله».

* وأما «الرحيم» فإنه تعالى وصف به نبيه ﷺ حيث قال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. فيُقال:

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١/ ٤٣).

(٢) «بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ٢٤).

رجل رحيم، ولا يُقال: «رحمن».

□ قال ابن كثير: «والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يُسَمَّى به غيره، ومنها ما لا يُسَمَّى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك، فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أوّلًا تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخصِّ فالأخص»[(١)] اهـ.

صفة الرحمة لله ربِّ العالمين:

من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة «الرحمة»، وهي صفة كمال لائقة بذاته كسائر صفاته العلى، لا يجوز لنا أن ننفيها أو نعطلها؛ لأن ذلك من الإلحاد في أسمائه.

□ أما قول الزمخشري وأصحابه أن الرحمة مجاز في حق الله تعالى!! وأنها عبارة عن إنعامه على عباده[(٢)]، فهي نزعة اعتزالية قد حفظ الله تعالى منها سلف المسلمين وأئمة الدين فإنهم أقروا ما ورد على ما ورد، وأثبتوا لله تعالى ما أثبته له نبيه ﷺ من غير تصرف بكناية أو مجاز، وقالوا: لسنا أغير على الله من رسوله ﷺ[(٣)].

□ وقد ردّ ابن القيم رحمه الله على القائلين بأن رحمة الله مجازًا ردًا مفصلًا، وأتى بما لا مزيد عليه في كتابه «الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٥).

(٣) «روح المعاني» للألوسي (١/ ٦٠).

(٤) «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» لابن القيم (٢/ ١١٢-١٢٦).

□ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «مما ادَّعوا أنه مجاز اسمه سبحانه «الرحمن» وقالوا: وصفه بالرحمة مجاز، قالوا: لأن الرأفة والرحمة هي رقة تعتري القلب، وهي من الكيفيات النفسية، والله منزه عنها، وهذا باطل من وجوه: أحدها: أنهم جحدوا حقيقة الرحمة فقالوا: إن نسبتها إلى الله تعالى محال، وأنه ليس برحيم بعباده على الحقيقة، وقد سبقهم إلى هذا النفي مشركو العرب الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] فأنكروا حقيقة اسم «الرحمن» أن يسمى بذلك، ولم يكونوا ينكرون ذاته وربوبيته، ولا ما يجعله المعطلة معنى اسم «الرحمن» من الإحسان، فإن أحدًا لم ينكر إحسان الله إلى خلقه.

فإن قيل: فلو كان هذا كما ذكرتم لأنكروا اسم «الرحيم» لأن المعنى واحد.

ولا يخلو إنكارهم لهذا الاسم إمَّا أن تكون دلالته على حقيقة الرحمة أو لا، فإن كان الأول فمن أنكر أن يكون حقيقة فقد وافقهم، وإن لم يكن كذلك فمن المعلوم أن موضوع الاسم وحقيقته صفة الرحمة القائمة بموصوفها، فلو كانت حقيقة الاسم منتفية في نفس الأمر لكان طعنهم أقوى، وكان ذلك بمنزلة وصفه بالأكل والشرب والنور والجور ونحوها مما يليق به - وبالجملة فالذي أنكر أن يكون الله رحمانًا على الحقيقة هو «جهم بن صفوان» وشيعته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن أعظم الإلحاد في أسمائه إنكار حقائقها ومعانيها والتصريح بأنها مجازات، وهو أنواع هذا أحدها، الثاني: جحدها وإنكارها بالكلية،

الثالث: تشبيهه فيها بصفات المخلوقين ومعاني أسمائه، وأن الثابت له منها مماثل للثابت لخلقه، وهذا يذكره المتكلمون في كتبهم ويجعلونها مقالة لبعض الناس، وهذه كتب المقالات بين أظهرنا لا نعلم ذلك مقالة لطائفة من الطوائف ألبتة، وإنما المعطلة والجهمية يسمون كل من أثبت صفات الكمال لله تعالى مشبهًا وممثلًا، ويجعلون التشبيه لازم قولهم، ويجعلون لازم المذهب مذهبًا، ويسرعون في الرد عليهم وتكفيرهم.

والمقصود أن هؤلاء المعطلة الملحدين في أسماء الرب تعالى هم المشبهون في الحقيقة، لا من أثبت ألفاظها وحقائقها من غير تمثيل ولا تشبيه، ولهذا لا يأتي الرد في القرآن على هذه الفرقة التي انتصب لها هؤلاء، فإنها فرقة مقدرة في الأذهان ولا موجود لها في الأعيان، وإنما القرآن مملوء من الرد على مَنْ شبَّه المخلوق بالخالق في صفات الإلهية حتى عبده من دونه؛ لأنه هو الواقع من بني آدم، يشبهون أوثانهم ومعبودهم بالخالق في الإلهية، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، أي من يساميه ويماثله، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فنفى عن المخلوق مماثلته ومكافأته ومشابهته ومساماته الذي هو أصل شرك بني آدم، فضرب المتكلمون عن ذلك صفحًا وأخذوا في المبالغة في الرد على من شبه الله بخلقه، ولا نعلم فرقة من فرق بني آدم استقلت بهذه النِّحلة وجعلتها مذهبًا تذهب إليه حتى ولا المجسمة المحضة الذين حكى أرباب المقالات مذاهبهم كالهاشمية والكرامية الذين قالوا: إن الله جسم، لم يقولوا: إنه مماثل للأجسام بل صرَّحوا بأن معنى كونه جسمًا أنه قائم بنفسه موصوف بالصفات، ومثبتو الصفات لا ينازعونهم في المعنى وإن نازعوهم في بعض المواضع.

الوجه الثاني: أن الإلحاد إما أن يكون بإنكار لفظ الاسم أو بإنكار معناه، فإن كان إنكار لفظه إلحاد فمن ادعى أن «الرحمن» مجاز لا حقيقة فإنه يجوز إطلاق القول بنفيها فلا يستنكف أن يقول: ليس بـ «الرحمن» ولا «الرحيم»، كما يصح أن يقال للرجل الشجاع ليس بأسد على الحقيقة، وإن قالوا: نتأدب في إطلاق هذا النفي، فالأدب لا يمنع صحة الإطلاق وإن كان الإلحاد هو: إنكار معاني أسمائه وحقائقها، فقد أنكرتم معانيها التي تدل عليها بإطلاقها، وما صرفتموه إليه من المجاز فنقيض معناها أو لازم من لوازم معناها، وليس هو الحقيقة، ولهذا يصرح غلاتهم معانيها بالكلية، ويقولون: هي ألفاظ لا معانى لها.

الوجه الثالث: أن هذا الحامل لكم على دعوى المجاز في اسم «الرحمن» هو بعينه موجود في اسم «العليم» و«القدير»، و«السميع» و«البصير»، وسائر الأسماء، فإن المعقول من العلم صفة عرضية تقوم بالقلب، إما ضرورية وإما نظرية، والمعقول من الإرادة حركة النفس الناطقة لجلب ما ينفعها ودفع ما يضرها أو ينفع غيرها أو يضره، والمعقول من القدرة القوة القائمة بجسم تتأتى به الأفعال الاختيارية فهل تجعلون إطلاق هذه الأسماء والصفات على الله حقيقة أم مجازًا؟ فإن قلتم: حقيقة، تناقضتم أقبح التناقض إذ عمدتم إلى صفاته سبحانه فجعلتم بعضها حقيقة وبعضها مجازًا مع وجود المحذور فيما جعلتموه حقيقة، وإن قلتم: لا يستلزم ذلك محذورًا، فمن أين استلزم اسم الرحمن المحذور، وإن قلتم: الكل مجاز لم تتمكنوا بعد ذلك من إثبات حقيقة الله ألبتة، لا في أسمائه ولا في الإخبار عنه بأفعاله وصفاته، وهذا انسلاخ من العقل والإنسانية.

الوجه الرابع: أن نفاة الصفات يلزمهم نفي الأسماء من جهة أخرى،



فإن العليم والقدير والسميع والبصير، أسماء تتضمن ثبوت الصفات في اللغة فيمن وصف بها، فاستعمالها لغير من وصف بها استعمال للاسم في غير ما وضع له، فكما انتفت عنه حقائقها فإنه تنتفي عنه أسماؤها، فإن الاسم المشتق تابع للمشتق منه في النفي والإثبات، فإذا انتفت حقيقة الرحمة والعلم والقدرة والسمع والبصر، انتفت الأسماء المشتقة منها عقلًا ولغة، فيلزم من نفي الحقيقة أن تنفي الصفات والاسم جميعًا، فالمعتزلة لا تقر بأن الأسماء الحقيقية تستلزم الصفات، ثم ينفون الصفات ويثبتون الأسماء بطريق الحقيقة كما قالوا في المتكلم والمريد، وبعض الجهمية يساعد على أن الاسم يستلزم الصفة، ثم ينفي الصفة وينفي حقيقة الاسم ويقول: هذا مجاز، فهو شر من المعتزلة من هذا الوجه، وهم خير منهم من وجه آخر، وهو أنه يتناقض فيثبت بعض الصفات وحقائق الأسماء وينفي نظيرها وما يدل عليها من حقيقة الاسم، وأهل السنة يثبتون الصفات وحقائق الأسماء، فالأسماء عندهم حقائق وهي متضمنة للصفات.

الوجه الخامس: أنه كيف يكون أظهر الأسماء التي افتتح الله بها كتابه في أم القرآن وهي من أظهر شعار التوحيد، والكلمة الجارية على ألسنة أهل الإسلام وهي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ التي هي مفتاح الطهور والصلاة وجميع الأفعال، كيف يكون مجازًا؟ هذا من أشنع الأقوال، فهذان الاسمان اللذان افتتح الله بهما أم القرآن، وجعلهما عنوان ما أنزله من الهدى والبيان، وضمنهما الكلمة التي لا يثبت لها شيطان، وافتتح بها كتابه نبي الله سليمان، وكان جبرائيل ينزل بها على النبي ﷺ عند افتتاح كل سورة من القرآن.

الوجه السادس: قولهم: «الرحمة رقة القلب» تريدون رحمة المخلوق أم

رحمة الخالق أم كل ما سُمِّي رحمة شاهدًا أو غائبًا، فإن قلتم بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئًا، وإن قلتم بالثاني والثالث كنتم قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة «الرحيم» وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيوانًا له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه، وإن كان ملكًا فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة، لم يلزم أن تكون رحمته من جنس المخلوق لمخلوق، وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة إلزامًا وجوابًا، فكيف يكون رحمة أرحم الراحمين مجازًا دون السميع والعليم؟.

الوجه السابع: أن اسم الرحمة استعمل في صفة الخالق وصفة المخلوق، فإما أن يكون حقيقة في الموصوفين، أو حقيقة في الخالق مجازًا في المخلوق، أو عكسه، فإذا كانت حقيقة فيهما، فإما حقيقة واحدة، وهو التواطؤ، أو حقيقتان، وهو الاشتراك، ومحال أن تكون مشتركة لأن معناها يفهم عند الإطلاق ويجمعهما معنى واحد ويصح تقسيمها، وخواص المشترك منفية عنها؛ ولأنها لم يشتق لها وضع في حق المخلوق، ثم استعيرت من المخلوق للخالق، تعالى الله عما يقول أهل الزيغ والضلال، فبقي قسمان: **أحدهما**: أن تكون حقيقة في الخالق مجازًا في المخلوق، **الثاني**: أن تكون حقيقة متواطئة أو مشتركة، وعلى التقديرين فبطل أن يكون إطلاقها على الله سبحانه مجازًا.

الوجه الثامن: أنه من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء مجازًا، ورحمة العبد الضعيفة القاصرة المخلوقة المستعارة من ربه التي هي من آثار رحمته حقيقة، وهل في قلب الحقائق أكثر من هذا؟ فالعباد إنما حصلت لهم هذه الصفات التي هي كما في حقهم، من

آثار صفات الرب تعالى، فكيف تكون لهم حقيقة، وله مجاز، يوضحه:

الوجه التاسع: وهو ما رواه أهل السنن عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «**أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**»(١) فهذا صريح في أن اسم الرحمة مشتق من اسمه الرحمن تعالى، فدل على أن رحمته لما كانت هي الأصل في المعنى كانت هي الأصل في اللفظ، ومثل هذا قول حسان رضي الله عنه في النبي ﷺ:

فشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

فإذا كانت أسماء الخلق المحمودة مشتقة من أسماء الله الحسنى كانت أسماؤه يقينًا سابقة، فيجب أن تكون حقيقة؛ لأنها لو كانت مجازًا لكانت الحقيقة سابقة لها، فإن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، فيكون اللفظ قد سمى به المخلوق ثم نقل إلى الخالق، وهذا باطل قطعًا.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في كتاب «الزكاة» باب «في صلة الرحم» (٢/ ٧٣٤) حديث رقم (١٦٩٤). والترمذي في كتاب «البر» باب «ما جاء في قطيعة الأرحام» (٤/ ٢٧٨) حديث رقم (١٩٠٧) وقال أبو عيسى حديث أبي سفيان عن الزهري حديث صحيح.
والبخاري في كتاب «الأدب» (١/ ١٣٢) حديث رقم (٥٣).
والبيهقي في «سننه» (٧/ ٢٦).
وابن حبان في «الموارد» (٢٠٣٣).
والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥٨).
جميعًا من طريق الزهري عن أبي سليم عن عبد الرحمن بن عوف.. به. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٠).

الوجه العاشر: ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لما قضى الله الخلق كتب كتابًا فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**»(1) وفي لفظ «غلبت» وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فوصف نفسه سبحانه بالرحمة وتسمى بالرحمن قبل أن يكون بنو آدم، فادعاء المدعي أن وصفه بالرحمن مجاز من أبطل الباطل.

الوجه الحادي عشر: أن أسماء الرب قديمة لم يستحدثها من جهة خلقه، بل لم يزل موصوفًا بها مسمى بها، والمجاز مسبوق بالحقيقة وضعًا واستعمالًا ومرتبة، وذلك كله ممتنع بالنسبة إلى أسماء الله تعالى.

فإن قيل: بعضها مستعار من بعض، وفيها الحقيقة وفيها المجاز، ومجازها مستعار من حقائقها، كالرحمن مستعار من اسم «المحسن»، وذلك لا محذور فيه.

قيل: هذا لا يصح؛ لأن الحقيقة والمجاز من عوارض الوضع والاستعمال، وهما معًا وأيًا ما كان لم تصح دعوى المجاز فيه بوجه من الوجوه.

الوجه الثاني عشر: أنه من المعلوم أن المعنى المستعار يكون في المستعار منه أكمل منه في المستعار له، وأن المعنى الذي دل عليه اللفظ بالحقيقة

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب «التوحيد» باب «قول الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ (١٣/ ٥٣٢) حديث رقم (٧٥٥٣).

ومسلم في كتاب «التوبة» باب «في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه» (٤/ ١٥/ ٢٧١٥/ ٢١٠٨).

كلاهما من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

أكمل من المعنى الذي دل عليه بالمجاز، وإنما يستعار لتكميل المعنى المجازي تشبيهه بالحقيقي كما يستعار الشمس والقمر والبحر للرجل الشجاع الجميل والجواد، فإذا جعل «الرحمن» و«الرحيم» و«الودود» وغيرها من أسمائه سبحانه حقيقة في العبد مجازًا في الرب لزم أن تكون هذه الصفات في العبد أكمل منها في الرب تعالى.

الوجه الثالث عشر: أن وصفه تعالى بكونه رحمانًا رحيمًا حقيقة أولى من وصفه بالإرادة، وذلك أن من أسمائه الحسنى «الرحمن» «الرحيم»، وليس في أسمائه الحسنى المريد، والمتكلمون يقولون مريد لبيان إثبات الصفة، وإلَّا فليس ذلك من أسمائه الحسنى؛ لأن الإرادة تناول ما يحسن إرادته وما لا يحسن، فلم يوصف بالاسم المطلق منها، كما ليس في أسمائه الحسنى الفاعل ولا المتكلم، وإن كان فعالًا مريدًا متكلمًا بالصدق والعدل، فليس الوصف بمطلق الكلام ومطلق الإرادة ومطلق الفعل يقتضي مدحًا وحمدًا حتى يكون ذلك متعلقًا بما يحسن تعلقه به، بخلاف «العليم» «القدير» و«العدل» و«المحسن» و«الرحمن» «الرحيم»، فإن هذه كمالات في أنفسها لا تكون نقصًا ولا مستلزمة لنقص ألبتة، فإذا قيل: إنه مريد حقيقة وله إرادة حقيقية، وليس من أسمائه الحسنى المريد، فلأن يكون رحمانًا رحيمًا حقيقة، وهو موصوف بالرحمة حقيقة، ومن أسمائه «الرحمن» «الرحيم» أولى وأحرى.

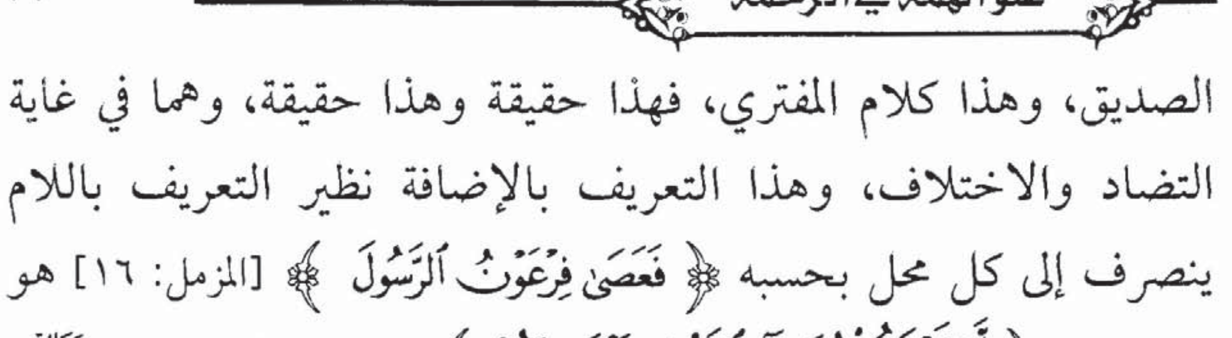
الوجه الرابع عشر: أن الرحمة مقرونة في حق العبد بلوازم المخلوق من الحدوث والنقص والضعف وغيره، وهذه اللوازم ممتنعة على الله تعالى، فإما أن تكون الرحمة اسمًا للقدر الممدوح فقط، أو الممدوح وما يلزمه من النقص، فإن كانت اسمًا للقدر الكامل الذي لا يستلزم نقصًا وذلك ثابت

للرب تعالى كانت حقيقة في حقه قطعًا، وإن كانت اسمًا للمجموع فالثابت للرب تعالى هو القدر الذي لا نقص فيه، وغاية ذلك أن يكون قد استعمل لفظها في بعض مدلوله كالعام إذا استعمل في الخصوص، والأمر إذا استعمل في الندب وذلك لا يخرج اللفظ عن حقيقته عند جمهور الناس، قيل: هذا حقيقة عندهم، فإن اللفظ يستعمل في المجموع عند إطلاقه، وفي البعض عند تقييده، والمطلق موضوع والمقيد موضوع، كما تقدم، لا سيما أكثر الناس يقولون: إن بعض الشيء وصفته ليس غيرًا له، كما أجاب مثبتو الصفات لنفاتها وحينئذٍ فلا يكون اللفظ مستعملًا في غير موضوعه، فلا يكون مجازًا.

الوجه الخامس عشرًا: أن هذا النقض اللازم للصفة ليس هو من موضوعها ولا مسمى لفظها، وإنما هو من خصوص الإضافة، فالقدر الممدوح الذي هو موضوع الصفة والنقص اللازم غير داخل في موضوعها، وكذلك لا دلالة في لفظها على العدم، والوجود غاية الكمال الذي لا كمال فوقه، وإنما ذلك من لوازم إضافتها ونسبتها إلى الرب سبحانه، فإذا موضوع لفظها مطلق المعنى الممدوح، وخصوص الإضافة غير داخل في اللفظ، وعلى هذا فإذا استعملت في حق الرب تعالى كانت حقيقة، وإذا استعملت للعبد كانت حقيقة.

فتدبر هذا فإنه فصل الخطاب فيما يطلق على الرب والعبد، واعتبر هذا فيما يطلق على المخلوق نفسه فإنه حقيقة مع دلالته على غاية المدح في المحل، وغاية الذم في محل آخر.

مثاله: قولك: هذا كلام رسول الله ﷺ وهديه وسمته، وهذا كلام



الصديق، وهذا كلام المفتري، فهذا حقيقة وهذا حقيقة، وهما في غاية التضاد والاختلاف، وهذا التعريف بالإضافة نظير التعريف باللام ينصرف إلى كل محل بحسبه ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المزمل: ١٦] هو موسى، و﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ ﴾ [النور: ٦٣] هو محمد ﷺ، فرسول دال على القدر المشترك، واللام تدل على تعريفه وتعيينه، وكل من الموضعين حقيقة، هذا مع أن اللفظ يستعمل مجردًا عن التعريف كثيرًا.

وأما لفظ الرحمة والسمع والبصر واليد والوجه والكلام فلا تكاد تستعمل إلَّا مضافة إلى محلها، فلزوم الإضافة فيها نحو لزومها في الأسماء والأعلام، ولا سيما المضافة إلى الرب كقوله: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف]. ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن]. ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الليل]. ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]. ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]. فهذه الإضافة تمنع أن يدخل في اسم الصفة شيء من خصائص المخلوقين بوجه من الوجوه، فالمحذوف الذي أوجب لهم دعوى المجاز فيها منتف بالإضافة قطعًا فلا وجه لدعوى المجاز فيها ألبتة، وهذا ظاهر جدًّا، فإنها بإضافتها الخاصة دلت على ما لا تسعه العبارة من الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الوجه السادس عشر: أن يقال لمن أثبت شيئًا من الصفات بالعقل فلا بد أن يأتي في الدلالة على ذلك بقياس شمولي أو قياس تخييلي، فتقول في الشمولي: كل فعل منقل محكم فإنه يدل على علم فاعله وقدرته وإرادته، وهذه المخلوقات كذلك فهي دالة على علم الرب تعالى وقدرته ومشيئته، وتقول في التمثيل: الفعل المتقن يدل على علم فاعله وقدرته في الشاهد،

فكان دليلًا في الغائب، والدلالة العقلية لا تختلف شاهدًا وغائبًا، فلا يمكنك أن تثبت له سبحانه بالعقل صفة أو فعلًا إلَّا بالقياس المتضمن قضية كلية، إما لفظًا كما في قياس الشمول وإما معنى كما في قياس التمثيل.

فإذا كنت لا يمكنك ثبات الصانع ولا صفاته إلَّا بالقياس الذي لا بد فيه من إثبات قدر مشترك بين المقيس والمقيس عليه، وبين أفراد القضية الكلية ولم يكن هذا عندك تشبيهًا ممتنعًا، فكيف تنكر معاني ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ وحقائقه بزعمك أنه يتضمن تشبيهًا، وهذا من أنفع الأشياء لمن له فهم، فإن الله أخبر في كتابه بما هو عليه من أسمائه وصفاته ولا بد في الأسماء المشتقة المتواطئة من معنى مشترك بين أفرادها، فجحد المعطلة حقائقها لما زعموا فيها من التشبيه، وهم لا يمكنهم إثبات شيء يعتقدونه لا بنوع من القياس المتضمن التشبيه الذي فروا منه، لا في جانب النفي ولا في جانب الإثبات، فهم منكرون ما جاءت به الرسل بما هو من نوعه أو دونه، وهذا غاية الضلال، فليتأمل ذلك.

الوجه السابع عشر: أن من ادعى أن رحمة الله مجاز أو اسمه الرحمن الرحيم، إما أن يثبت لهذا اللفظ معنًى أو لا، والثاني: يقر المنازع ببطلانه، وإذا كان لا بد من إثبات معنى لهذا اللفظ، فإما أن يتضمن محذورًا أو لا، فإن تضمن محذورًا لم يجز إثباته، وإن لم يتضمن محذورًا لم يمكن إثباته وإخراج اللفظ عن حقيقته أولى من بقاء اللفظ على حقيقته، وإثبات معناه الأصلي، إذ انتفاء المحذور عن الحقيقة والمجاز واحد، وتسلم الحقيقة وهي الأصل، فأما إخراج اللفظ عن حقيقته لأمر لا يتخلص به في المجاز ولا محذور منه في الحقيقة ولا في المجاز معنى له بل هو خطأ محض.

الوجه الثامن عشر: أن الله سبحانه وتعالى فرق بين رحمته والرضوان وثوابه المنفصل فقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة] فالرحمة والرضوان صفته والجنة ثوابه، وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان ثوابًا منفصلًا مخلوقًا، وقول من قال: هي إراداته الإحسان، فإن إرادته الإحسان هي من لوازم الرحمة، فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان إلى المرحوم، فإذا انتفت حقيقة الرحمة انتفى لازمها، وهو إرادة الإحسان، وكذلك لفظ اللعنة والغضب والمقت هي أمور مستلزمة للعقوبة، فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفى لازمها، فإن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها.

الوجه التاسع عشر: أن ظهور آثار هذه الصفة في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، كما أن الموجودات كلها شاهدة له بالربوبية التامة الكاملة، وما في العالم من آثار التدبير والتصريف الإلهي شاهد بملكه سبحانه، فجعل صفة الرحمة واسم الرحمة مجازًا كجعل صفة الملك والربوبية مجازًا، ولا فرق بينهما في شرع ولا عقل ولا لغة» اهـ.

الوجه العشرون: أن النبي ﷺ قد أقسم صادقًا بارًّا «**إن الله أرحم من الوالدة بولدها**».

وفي هذا إثبات كمال الرحمة، وأنها حقيقة لا مجازًا.

• ومرّ رسول الله ﷺ بامرأة أصيبت في السَّبْي، وكانت كلما مرّت بطفل أرضعَتْه، فقال النبي ﷺ: «**أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟**»

قالوا: لا يا رسول الله. وهي قادرة على أن تطرحه، فقال: «**الله أرحمُ من هذه بولدها**»، فإن كانت رحمة الوالدة حقيقة فرحمة الله أولى بأن تكون حقيقة منها، وإن كانت رحمة الله مجازًا فرحمة الوالدة لا حقيقة لها» اهـ.

سعة رحمة الله تبارك وتعالى وآثارها:

□ قال ابن القيم: «فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ وأنزل علينا كتابه وعصمنا من الجهالة وهدانا من الضلالة وبصرنا من العمى وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، هو أرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهادًا وفراشًا وقرارًا وكفاتًا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدر، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان.

فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم «الرحمن» «الرحيم»، وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته، وبصرهم ومكن لهم أسباب مصالحهم برحمته، وأوسع المخلوقات عرشه، وأوسع الصفات رحمته، فاستوى على عرشه الذي وسع المخلوقات بصفة رحمته التي وسعت كل شيءٍ، ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته وتسمَّى به دون خلقه، كتب بمقتضاه على نفسه يوم استوائه على عرشه حين قضى الخلق كتابًا، فهو

عنده وضعه على عرشه أن رحمته سبقت غضبه، وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقة كلها بالرحمة لهم والعفو عنهم، والمغفرة والتجاوز والستر والإمهال والحلم والأناة، فكان قيام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب الذي لولاه لكان للخلق شأن آخر، وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالها، فبرحمته خلقت، وبرحمته عمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها، وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه، ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه، وألقى بينهما المحبة والرحمة ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه، ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم وانحل نظامها، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والراعي والمرعي، ثم أفقر الجميع إليه، ثم عم الجميع برحمته.

ومن رحمته أن خلق مئة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والطير والوحش والبهائم، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه»[1].

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة».

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله مئة رحمةٍ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنس والبهائم والهَوامِّ، فبها يتعاطَفُون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحوشُ على وَلَدِها، وأَخَّر تِسْعًا وتسعين رحمة، يرحمُ بها عباده يوم القيامة**»[١].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة، فأمسك عنده تسْعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خَلْقه كلهم رحمة واحدةً، فلو يعلمُ الكافرُ بكُلِّ الذي عند الله من الرحمة لم يَيْأَس مِن الجنَّة، ولو يعلمُ المؤمنُ بالذي عند الله من العذاب لم يأمَنْ من النار**»[٢].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلقَ يومَ خَلَقَ السموات والأرض مائة رحمة، كُلُّ رَحْمَةٍ طباقُ ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطِف الوالِدةُ على ولدِها، والوحشُ والطيرُ بعضُها على بعضٍ، وأَخَّر تسعًا وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**»[٣].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلقَ مئةَ رحمة، رحمةً منها قسمها بين الخلائق، وتسعة وتسعين يوم القيامة**»[٤].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق مئة رحمةٍ، فبَثَّ بين خلْقِه رحمةً**

---

(١) رواه مسلم، وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد، ومسلم عن سلمان، ورواه أحمد، وابن ماجه عن أبي سعيد.

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٣٤) و«صحيح الجامع» (١٧٦٥).

واحدة، فهُم يتراحمون بها، وادَّخر عنده لأوليائه تسعةً وتسعين»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ الله مئة رحمة، فوضع رحمةً واحدةً بين خَلْقه يتراحمون بها، وخبَّأ عنده مئة إلَّا واحدة»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل الله الرحمةَ مئةَ جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفَرَسُ حافرها عن ولدها خشية أن تُصيبه»(٣).

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لوْ تعلمونَ قدْرَ رحمةِ الله لاتَّكلتم عليها»(٤).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع في الجنة أحدٌ، ولو يعلمُ الكافِرُ ما عند الله من الرحمة ما قَنَط من الجنة أحد»(٥).

وتأمل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وابن عساكر عن معاوية بن حيدة، وأحمد، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٦٣٤)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧٦٦).

(٢) رواه مسلم، والترمذي.

(٣) رواه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

(٤) صحيح: رواه البزار، وابن أبي الدنيا، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦٧)، و«صحيح الجامع» (٥٢٦٠).

(٥) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٣٤)، و«صحيح الجامع» (٥٣٣٨).

﴿٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن] كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة متعلقًا باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم وختمها بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن] فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة، إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ما ذكر عليه بورك فيه وكل ما خلى منه نزعت منه البركة، فإن كان مذكى وخلى منه اسمه كان ميتة، وإن كان طعامًا شارك صاحبه فيه الشيطان، وإن كان مدخلًا دخل معه فيه، وإن كان حدثًا لم يرفع عند كثير من العلماء، وإن كان صلاة لم تصح عند كثير منهم.

ولما خلق سبحانه الرحم واشتق لها اسمًا من اسمه، فأراد إنزالها إلى الأرض تعلقت به سبحانه فقال: مه، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أقطع من قطعك وأصل من وصلك؟ وهي متعلقة بالعرش لها حنحنة كحنحنة المغزل، وكان تعلقها بالعرش رحمة منه بها، وإنزالها إلى الأرض رحمة منه بخلقه، ولما علم سبحانه ما تلقاه من نزولها إلى الأرض ومفارقتها لما اشتقت منه رحمها بتعلقها بالعرش واتصالها به، وقوله: «**ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك**»[1]؛ ولذلك كان من وصل رحمه لقربه من الرحمن ورعاية حرمة الرحم قد عمر دنياه واتسعت له معيشته وبورك له في عمره ونسئ له في أثره، فإن وصل ما بينه وبين الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ مع ذلك وما بينه وبين الخلق

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٨٧)، وأحمد (٦/ ٦٢)، ومسلم (٢٥٥٤) (ص١٩٨٠) عن أبي هريرة.

بالرحمة بالإحسان تم له أمر دنياه وأخراه، وإن قطع ما بينه وبين الرحم وما بينه وبين «الرحمن» أفسد عليه أمر دنياه وآخرته، ومحق بركة رحمته ورزقه وأثره، كما قال ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له من العقوبة يوم القيامة من البغي وقطيعة الرحم**»[١] فالبغي معاملة الخلق بضد الرحمة، وكذلك قطيعة الرحم، وإن القوم ليتواصلون وهم فجرة فتكثر أموالهم ويكثر عددهم، وإن القوم ليتقاطعون فتقل أموالهم ويقل عددهم، وذلك لكثرة نصيب هؤلاء من الرحمة وقلة نصيب هؤلاء منها، وفي الحديث: «**إن صلة الرحم تزيد في العمر**»[٢].

وإذا أراد الله بأهل الأرض خيرًا نشر عليهم أثرًا من آثار اسمه «الرحمن» فعمر بن البلاد وأحيا به العباد، وإذا أراد بهم شرًّا أمسك عنهم ذلك الأثر فحل بهم من البلاء بحسب ما أمسك عنهم من آثار اسمه «الرحمن»، ولهذا إذا أراد الله سبحانه أن يخرب هذه الدار ويقيم القيامة أمسك عن أهلها أثر هذا الاسم وقبضه شيئًا فشيئًا، حتى إذا جاءه وعده

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢١١)، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٦) وقال: صحيح الإسناد، وأقرّه الذهبي والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٣٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠٤)، و«الصحيحة» (٩١٨).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٨٠١٤) عن أبي أمامة، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٨٩) ح(٩٤٣) من بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٩٣) رقم (١٠٠)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١١٥) وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن.

قبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض، فتضع لذلك الحوامل ما في بطونها، وتذهل المراضع عن أولادها، فيضيف سبحانه تلك الرحمة التي رفعها وقبضها من الأرض إلى ما عنده من الرحمة فيكمل بها مئة رحمة فيرحم بها أهل طاعته وتوحيده وتصديق رسله وتابعهم.

وأنت لو تأملت العالم بعين البصيرة لرأيته ممتلئًا بهذه الرحمة الواحدة كامتلاء البحر بمائه والجو بهوائه، وما في خلاله من ضد ذلك فهو مقتضى قوله: «سبقت رحمتي غضبي» فالمسبوق لا بد لاحق وإن أبطأ، وفيه حكمة لا تناقضها الرحمة، فهو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، فسبحان من أعمى بصيرة من زعم أن رحمة الله مجاز» اهـ.

«ومن أعظم ما تعلّقت به الرحمة الإلهية: «ظهور آثارها وجلالها وعظمتها في الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، والجنة والنار، ولا يفقه هذا الظهور وأماراته إلَّا مَن قدر الله حق قدره، وعلم أن ليس لرحمة الرحمن منتهى، ولا لقدر سعتها غاية، وأسعد الناس حظًّا بهذه المعرفة رُسل الله وأنبياؤه، وأصفياء الرحمن وأولياؤه، ثم الناس دونهم يغترفون من بحر هذه المعرفة بقدر معرفتهم بأسماء الله وصفاته.

فمن رحمته: إذنه لمن يرضى من خلقه بأن يكونوا شفعاء مشفعين، فلا يشفعون إلَّا لمن ارتضى.

ومن رحمته: جعله أرحم ولد آدم وأرأفهم: محمدًا ﷺ سيد الشفعاء. وآخر الرسل والأنبياء، فبه خُتمت الرسالة والنبوّة، وهو أرحم ولد آدم أجمعين.

ومن رحمته: جعله أيسر الأعمال وأهونها سببًا في النجاة من العذاب،

وسبيلًا إلي الفوز بالنعيم.

ومن رحمته: إدخاله الجنة سبعين ألفًا من أمة محمد ﷺ بلا حساب ولا عقاب، ومع كل ألف سبعون ألفًا، ثم يزاد عليهم تفضلًا وتكرمًا ثلاث حثيات بكفَّي الرحمن.

ومن رحمته: جعله أثقل شيء في الميزان شهادة أن لا إله إلَّا الله، فلا يثقل معها شيء.

ومن رحمته: إدخاله الجنة بشفاعة رجل من أمة محمد ﷺ أكثر من ربيعة ومضر.

ومن رحمته: إخراجه من النار مَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى ذرة من إيمان بشفاعة الشافعين، حتى إذا لم يبقَ لأحد غاية في شفاعة، ولا مطمع في رجاء، أخرج الرحمن برحمته مَن لم يفعل خيرًا قط من أهل التوحيد؛ فهم: «عتقاء الرحمن».

وهذا من أعظم آثار الرحمة ومقتضياتها، وهو الذي يليق بأرحم الراحمين، وحكمة أحكم الحاكمين، فهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، ولم يكتب عليها الغضب، وسبقت رحمته غضبه وغلبته وقهرته، ولم يسبقها الغضب ولا غلبها ولا قهرها، ووسعت الرحمة كل شيء، ولم يسع الغضب كل شيء»[1].

ومن رحمته: أن فتح باب الرحمة على مصراعيه، ودعا عباده بالإقبال عليه، واللجوء إليه، فمَن ذا الذي دعاه فلم يجبه؟! ومَن ذا الذي سأله فلم

---

(١) من مقدمة «طرائق الإرشاد ببيان سعة رحمة رب العباد» لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد ابن شحاتة الألفي.

يعطه؟! ومَن ذا الذي دنا إليه فلم يقربه؟! ومَن ذا الذي رغب إليه فلم ينفعه؟!.

فأحب الخلق إليه: مَنْ حبَّبه إلى خلقه، وعرَّفهم به، ودلَّهم على الطريق إليه، وأبغض الخلق إليه: مَنْ بغَّضه إلى عباده، ونفَّرهم منه، وسدَّ السبل إليه.

ومن رحمته: أن ينزل كل ليلة على عباده جوادًا كريمًا، غفورًا رحيمًا، إذا بقي ثلث الليل الآخر فيقول: «**مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟**» وذلك حتى يطلع الفجر.

ومن رحمته: أن بسط يديه بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويغفر بالليل ذنوب النهار.

ومن رحمته: أن وسعت هذه الرحمة كل شيء، وأنه سبحانه واسع العفو والغفران، وأنه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، أو عبد أن يرحمه، أو طلب أن يلبِّيه، وأن أخبر سبحانه وتعالى أنه أرحم الراحمين، وأنه لا ييئس من روحه إلَّا الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلَّا الخاسرون الضالُّون.

فسبحانه! ما أعظم حلمه، وأجلَّ كرمه، وأوسع رحمته، وأحسن مغفرته، وأكبر ستره، وأيسر لطفه، وأمَنَّ عطاءه وعطفه.

لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا، لأتاه بقرابها مغفرة.

فمَن لجأ إليه، ولاذ بجنابه، واحتمى بحماه أمن العذاب، ونجا عند الحساب، ونال الشرف الرفيع.

ومَن توكل على غيره، واعتمد على سواه ضاع، وظمأ وجاع، ولم

يُطعم إلَّا الضريع.

* هذه الرحمة الواحدة من تسعة وتسعين رحمة، أمر «الرحمن الرحيم» عباده المؤمنين بالنظر إلى آثارها، فقال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ .. ﴾ [الروم: ٥٠]»[1].

«وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالنظر إلى مدلولات رحمة الله ﷻ، وآثارها في المَنْحِ، والإنعام، والإعطاء، والتفضُّل، والإعانة، والتأييد، والنصرة، وغير ذلك من المعاني.

* فقال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٥٠].

فالأمر واضح وصريح للأمة في شخص النبي ﷺ بوجوب إمعان النظر، وشحذ الهمة، وإعمال الفكر في آثار رحمة الله تبارك وتعالى، التي لولاها لضلَّ العباد، وخسروا في الدنيا والآخرة، ولولاها لسلكوا سبل الشيطان، وطرق الغواية والإضلال.

* قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال جلّ ذكره: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء].

فآثار رحمة الله تبارك وتعالى أجلُّ من أن يحصيها المحصي، أو يعدَّها العاد، فلا يخفى، إن شاء الله، على كل مسلم أن رحمة أرحم الراحمين التي أنزلها في الدنيا بين عباده هي قوام السماوات والأرض، وعلى الرغم من

---

(١) «المرحومون في السُّنَّة النبوية» لمحمود بن مصطفى الإسكندري (ص١٣-١٥) طبع دار ابن حزم.

كونها واحدة من مئة رحمة أعدَّها الله ليرحم بها عباده في الآخرة، فحصر علاماتها متعذِّر، واستقصاء دلائلها وأماراتها من الصعوبة بمكان؛ إذ كل شيء في الكون «بدايته، وبقاؤه» برحمة الله عَزَّ وَجَلَّ كان، فكل نوع من أنواع الرحمة لو أنفق طالبه فيه عمره لما أدرك الغاية وما وفَّى، وإنما هي قطرات يرتشفها من بحره الهني وكفى.

* فهو سبحانه: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى].

* وقال تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٥٦].

فمن رحمته سبحانه وتعالى: أنه لما قهر العباد، وخلق السماوات والأرض وقهرهم، وأسلمت له كل المخلوقات طوعًا وكرهًا، استوى سبحانه على عرشه استواءً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

* فلما ذكر سبحانه الاستواء لم يذكره بصفة القهر أو الغلبة إنما ذكره بصفة الرحمة، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه].

* وقال جل ذكره: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان].

ومن رحمته سبحانه وتعالى: خلق الخلائق، وتيسير سبل الحياة، وطرق المعيشة لهم، وهيأ لهم المنافع الدنيوية.

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ].

* وقال جلّ ذكره: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ

شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس].

* وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾﴾ [الانفطار].

* وقال سبحانه في تعداده لنعمه على خلقه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة].

* وسورة الرحمن كلها من هذا الباب، وفيها ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن].

* ومنها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس][1].

□ ومن ذلك أيضًا: أن جعل سبحانه وتعالى القرآن الكريم آخر الكتب المنزَلة من السماء إلى الأرض، فختم به سبحانه الكتب، وجعله مهيمنًا على جميعها، واختصّ به أمة النبي ﷺ دون الأمم، وجعله سبحانه رحمة لهم وبهم.

---

(١) المصدر السابق (ص٣١-٣٣).

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف].

* وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

* وقال جلّ ذكره: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت].

ومن مدلولات الرحمة الربانية، والرأفة الإلهية: ظهور أثرها في ما شرعه للعباد من التكاليف، فجعل سبحانه التيسير هو المراد منها، وعدم العسر ورفع الحرج والمشقة من آثار هذا وعلاماته.

* قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ﴾ [الطلاق].

* وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة].

* وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨].

وحين فُرضت الصلاة على النبي ﷺ في رحلة المعراج المباركة، وظلّ يتردد ﷺ بين موسى عليه السلام وربه عز وجل حتى أصبحت خمس صلوات بعد أن كانت خمسين صلاة، وقال فيها تعالى: **«هن خمس بأجر خمسين، أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»**.

ومن التشريعات التي تظهر فيها الرحمات من رب البريات سبحانه:

- تشريع كفارة اليمين بعد أن لم تكن مشروعة للأمم السابقة، فلم تُشرع لهم كفارة حنث لليمين، فشُرعت في هذه الأمة تخفيفًا عليهم.
- إباحة الغنائم، ولم تحل لأحد قبل النبي ﷺ، لما رأى سبحانه من ضعف الأمة وحاجتها.
- فتح باب التوبة والإنابة إليه سبحانه بعد أن كانت في الأمم السابقة بالقتل.

• ففي الحديث: «**لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم تاب الله عليكم**»(١).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

إعطاء الرحمن عز وجل الأجر الكثير على العمل اليسير:

وإن من آثار رحمة الله عز وجل أن يعطي الأجر الكثير، والعطاء الوفير، على العمل الصغير، والفعل اليسير، فإن الله عز وجل لا يعطي العباد على قدر أعمالهم، وإنما يعطي سبحانه على قدر رحمته وملكه، فما من شيء إلَّا وهو سبحانه يملك خزائنه، يملك أوله وآخره، أصله وفرعه، دقَّه وجليله.

* قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر](٢).

---

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٨) عن أبي هريرة وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٠٧): هذا إسناد حسن.

(٢) «المرحومون في السنة النبوية» (ص٣٦- ٣٧).

ومن سعة رحمة الله التي لا يُحيط بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ[(١)]:

١- أن الجنة هي دار المرحومين، وهي رحمة الله تعالى:

• فعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**احتجّت الجنة والنار فقالت الجنة: يدخلني الضعفاء والمساكين، وقالت النار: يدخلني الجبارون والمتكبرون، فقال الله للنار: أنتِ عذابي، أنتقم بكِ ممن شئت، وقال للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك مَن شئت، ولكل واحدة منكما ملؤها**»[(٢)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه كذلك أن رسول الله ﷺ قال: «**تحاجَّت النار والجنة فقالت النار: أُثِرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلَّا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم؟ فقال الله عَزَّوَجَلَّ للجنة: إنما أنت رحمتي، أرحم بك مَن أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذِّب بك مَن أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار، فلا تمتلئ حتى يضع الله قدمه عليها فتقول: قط، قط، فهنالك تمتلئ، وينزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا**»[(٣)].

٢- أن الجنة يستحقها العباد برحمة الله تعالى لا بأعمالهم:

• فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا، وأبشِروا، واعلموا أنه لن يُدخِلَ أحدَكُم الجنةَ عملُه**»؛ قالوا: ولا أنت يا

---

(١) انظر «المرحومون في السنة».

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٦).

(٣) رواه البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلَّا أن يتغمَّدني الله بمغفرة ورحمة**»[١].

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليُصيبنَّ ناسًا سفعٌ من النار، عقوبة بذنوب عملوها، ثم يُدخلهم اللهُ الجنة بفضل رحمته، فيقال لهم: الجهنميون**»[٢].

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**كان رجلان في بني إسرائيل متواخيان، وكان أحدهما مذنبًا، والآخر مجتهدًا في العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلِّني وربي، أبُعثت عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة، فقُبضت روحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**»[٣].

● وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم..**»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في «الشعب».

(٤) صحيح: رواه أحمد عنه، وجمع بينه وبين أُبيّ بن كعب وحذيفة أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٧)، و«صحيح الجامع» (٥٢٤٥).

٣- رجوع المؤمنين إلى رحمة الله:

• فعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض، وإن كان فيهم قوم صالحون، يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته**»[(١)].

٤- إنعام الله عز وجل على المؤمنين بهلاك الكافرين:

• فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلًا من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار**»[(٢)].

٥- بيان كونه سبحانه أرحم بالعباد من الأم بولدها بل ومن الناس أجمعين:

• وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثدييها تبتغي إذ وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألزقته ببطنها، وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلت: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها**»[(٣)].

□ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري»: «فيه إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلُّقه في جميع أموره بالله وحده، وأن كل من فُرِضَ أن فيه

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٤١)، والحاكم (٤/ ٥٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٣٠/ ٢١٨)، بسندٍ صحيح.

(٢) رواه البخاري (٥٥٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٤٣١).

رحمة ما حتى يقصد لأجلها، فالله سبحانه وتعالى أرحم منه. اهـ»[(١)].

فليقصد العاقل مَن هو أشد له رحمة.

مجيئ الرحمة في القرآن على عشرين وجهًا:

□ ذكر أهل التفسير أن الرحمة في القرآن على عشرين وجهًا:

أحدها: الجنة. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، وفي آل عمران: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٠٧]، وفي سورة النساء: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء: ١٧٥]، وفي بني إسرائيل: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وفي العنكبوت: ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣]، وفي الجاثية: ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الجاثية: ٣٠].

والثاني: الإسلام. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وفي هل أتى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الإنسان:٣١].

والثالث: الإيمان. ومنه قوله تعالى في هود: ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ [هود: ٢٨]، وفيها: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: ٦٣].

والرابع: النبوة. ومنه قوله تعالى في الزخرف: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وفي ص: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص].

والخامس: القرآن. ومنه قوله تعالى في يونس: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ

(١) «المرحومون في السُّنَّة النبوية» انظر (٤٨ - ٥٣).

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، وفي بني إسرائيل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

والسادس: **المطرُ**. ومنه قوله تعالى في الأعراف: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وفي الروم: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، وفيها ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الروم: ٤٦].

والسابع: **الرزق**. ومنه قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وفي الكهف: ﴿آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠]، وفيها: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الكهف: ١٦].

والثامن: **النعمة**. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النساء: ١١٣]، وفي الكهف: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥].

والتاسع: **العَافيةِ**. ومنه قوله تعالى في الزمر: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨].

والعاشر: **النصر**. ومنه قوله تعالى في الأحزاب: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧].

والحادي عشر: **المنَّة**. ومنه قوله تعالى في القصص: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٤٦].

والثاني عشر: **الرقة**. ومنه قوله تعالى في الحديد: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

والثالث عشر: **المغفرة**. ومنه قوله تعالى في الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

والرابع عشر: السّعة. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

والخامس عشر: المودة. ومنه قوله تعالى في الفتح: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

والسادس عشر: العصمة. ومنه قوله تعالى في يوسف: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

السابع عشر: الشمس. ومنه قوله تعالى في سورة عسق ﴿الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨][1].

الثامن عشر: طول العمر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الملك].

التاسع عشر: بمعنى سيد الرسل ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

العشرون: بمعنى نعمة المعرفة: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود: ٢٨] أي: معرفة.

الحادي والعشرون: بمعنى النجاة من عذاب النيران، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النور: ١٠، ١٤، ٢٠، ٢١].

الثاني والعشرون: بمعنى الكتاب المنزل على كليم الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧].

الثالث والعشرون: بمعنى الثناء على إبراهيم عليه السلام: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ

---

(١) «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» لابن الجوزي (ص٣٣١-٣٣٤) مؤسسة الرسالة.

﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [هود: ٧٣].

الرابع والعشرون: بمعنى إجابة دعوة زكريا عليه السلام مبتهلًا إلى الله المنّان: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ [مريم].

الخامس والعشرون: بمعنى فتح أبواب الرَّوح والرَّيحان: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ [فاطر: ٢].

السادس والعشرون: بمعنى صفة الرحيم الرحمن: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ [الكهف: ٥٨].

وأخيرًا السابع والعشرون: بمعنى توفيق الطاعة والإحسان: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩][(١)].

الرحمة تقتضي الحزم لا الإهمال:

□ قال ابن القيم رحمه الله: «إنَّ الرحمةَ صفةٌ تقتضي إيصال المنافعِ والمصالح إلى العبد، وإنْ كرهتْها نفسه وشقَّتْ عليها. فهذه هي الرحمة الحقيقية.

فأرحم الناس من شقَّ عليك في إيصال مصالحك ودفْعِ المضارِّ عنك. فمن رحمة الأب بولده: أنْ يُكرِهَهُ على التَّأَدُّبِ بالعلم والعملِ، ويَشُقَّ عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تَعُودُ بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلَّةِ رحمته به، وإنْ ظنَّ أنَّه يرْحَمُهُ ويرفِّههُ ويُريحُهُ. فهذه رحمةٌ مقرونَةٌ بجهلٍ ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليطُ أنواعِ البلاءِ على العبد، فابتلاؤُه له وامتحانه ومنْعه منْ كثيرٍ من أغراضهِ

---

(١) انظر: «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروزأبادي (٣/ ٥٥- ٥٨) طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

وشهواتِهِ: منْ رحمتِه به.

الابتلاء من صور رحمة الله بعباده:

□ قال ابن القيم رحمه الله: «ومن رحمته سبحانه: ابتلاءُ الخلق بالأوامر والنَّواهي رحمةً لهم وحميَّةً، لا حاجة منه إليهم بها أمرهم به. ومن رحمته: أنْ نغَّصَ عليهم الدُّنيا وكدَّرَها؛ لئلَّا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا عن النَّعيم المُقيم في داره وجواره، فساقهم إليها بسياطِ الابتلاءِ والامتحان فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم. ومن رحمته بهم: أنْ حذَّرهم نفسه؛ لئلَّا يغترُّوا به فيعاملوه بها لا تحسنُ معاملته به. ومن رحمته أنْ أنْزل لهم كتبًا، وأرْسَل لهم الرُّسُل لكن الناس افترقوا إلى فريقين؛ فأمَّا المؤمنونَ: فقد اتَّصل الهدى في حقِّهم بالرَّحمة فصار القرآن لهم هدًى ورحمةً. وأمَّا الكافرون: فلم يتَّصل الهدى بالرحمة فصار لهم القرآنُ هدًى بلا رحمةٍ.

وهذه الرحمةُ المقارنةُ للهُدَى في حَقِّ المؤمنين رحمةٌ عاجلةٌ وآجلةٌ، فأمَّا العاجلة فما يعطيهم الله في الدُّنيا من محبَّةِ الخير والبرِّ وذوق طعم الإيمانِ ووجدان حلاوته، والفرح والسرور والأمن والعافيةِ.

قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

فأمرهم عَزَّ وَجَلَّ بأنْ يفرحوا بفضله ورحمته، فهم يتقلَّبُون في نورِ هداهُ ويمشون به في الناس ويرون غيرهم متحيِّرًا في الظلمات، فهم أشدُّ الناس فرحًا بما آتاهم ربهم من الهدى والرَّحمة. وغيرهم جمع الهمَّ والغمَّ والبلاءَ والألم والقلق والاضطراب مع الضلالِ والحيرة.

وهذه الرحمةُ التي تحصل للمُهتدين تكون بحسب هُدَاهم، فكلما كان نصيب الواحد من الهدى أتمَّ كان حظُّه من الرَّحمةِ أوْفر، فتجِدُ الصحابة كانوا أرحم الأمَّة كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

والصِّدِّيق أرحم الأمَّة بالأُمَّةِ، فقد جمع الله له بين سعة العلم وسعة الرَّحمة. وهكذا الرَّجُلُ كلما اتسع علمه اتَّسعت رحمتُهُ. وقد وسع ربُّنا كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا فوسعت رحمته كلَّ شيءٍ، وأحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبدِ من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه»(١).

الرحمة في القرآن الكريم:

ارسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الله بعباده:

* قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم

---

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٧٢ - ١٧٥).

بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس].

* وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ

مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ

رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم].

* وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنبياء].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [النمل].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا

ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القصص].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القصص].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [القصص].

* وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت].

* وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [لقمان].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف].

* وقال تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدخان].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ

وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحقاف].

* وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد].

التشريع من رحمة الله بعباده:

* وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ

خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنفال].

* وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

* وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

* وقال تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجاثية].

* وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد].

من رحمة الله قبول التوبة والمغفرة للعاصين:

* قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ

﴿فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢)﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩)﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (١٦)﴾ [النساء][1].

الرحمة صفة النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين:

* قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

---

(١) وفي نفس الباب «من رحمة الله قبول التوبة للعاصين ارجع إلى هذه الآيات: [النساء: ٢٣]، و[المائدة: ٣]، و[المائدة: ٣٣- ٣٤]، [والمائدة: ٣٨- ٣٩]، و[المائدة: ٧٣- ٧٤]، و[الأنعام: ١٤٧]، و[التوبة: ٢٥- ٢٧]، و[التوبة: ٩١، ١٠٢- ١٠٤] و[التوبة: ١١٧- ١٨٨]، و[النحل: ١١٠، ١١٥]، و[الكهف: ٥٨]، و[النور: ٤- ٥، ١٠، ١٤، ٢٠- ٢٢، ٣٣]، و[النمل: ١١- ١٢]، و[العنكبوت: ٢٠- ٢١] و[الأحزاب: ٥] و[الأحزاب: ٢٣- ٢٤، ٧٣]، و[سبأ: ١- ٢]، و[الأحقاف: ٨]، و[الفتح: ١٤]، و[الحجرات: ٤- ٥، ١٢، ١٤]، و[المجادلة: ١٢]، و[التغابن: ١٤].

﴿لَانفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وجوب طلب المؤمنين للرحمة، وعلو همتهم في ذلك:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ

وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٨٦) ﴾ [يونس].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٦٤) ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٩٢) ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٩٨) ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) ﴾ [إبراهيم].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا

قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر].

* وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنبياء].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل].

* وقال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص].

* وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات].

* وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)﴾ [المزمل].

موجبات الرحمة في القرآن الكريم ضالة عالي الهمة:

عالي الهمة في طلب الرحمة والتخلّق بها حريصٌ كل الحرص على معرفة موجبات الرحمة والعمل بها.. ومن موجبات الرحمة:

(١) طاعة الله ورسوله:

* قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)﴾ [الأنعام].

(٢) تقوى الله عز وجل:

* قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)﴾ [يس].

(٣) استماع القرآن والإنصات له:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف].

(٤) الإتيان بالعبادات على وجهها الأكمل:

* قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور].

(٥) الاستغفار:

* قال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل].

(٦) الإصلاح بين المسلمين المتنازعين:

* قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات].

(٧) الولاء للمؤمنين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُولَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة].

(٨) الإيمان بالله والجهاد في سبيله:

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١)﴾ [التوبة].

(٩) الاعتصام بالله:

* قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥)﴾ [النساء].

(١٠) الصدقة في سبيل الله:

* قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩)﴾ [التوبة].

(١١) الصبر:

* قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة].

(١٢) الشهادة في سبيل الله:

* قال تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران].

(١٣) الإحسان:

* قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

(١٤) الهجرة في سبيل الله:

* قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

(١٥) عمل الصالحات:

* قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [الجاثية].

ومن رحمة الله جَمْعُ الخَلْق للحساب:

* قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام].

رحمة الله بالكافرين ابتلاء لهم:

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١].

* وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧) ﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) ﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾ [الروم].

* وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) ﴾ [فصلت].

* وقال تعالى: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨) ﴾ [الشورى].

وجوب شيوع الرحمة بين المؤمنين:

* قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) ﴾ [البلد].

ومن موجبات المغفرة الواردة في السُّنَّة المطهرة:

(١٥) ذكر الله تعالى وطلب العلم:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت**

من بيوت الله، يتلُون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلَّا نزلت عليهم السَّكينة،وغشيتهمُ الرحمة، وحَفَّتهمُ الملائكة،وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

ولفظ مسلم: «**من نفس.. ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السكينة،..**».

(١٦) الإحسان إلى الذبيحة عند الذبح:

• عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رَجُلًا قال: يا رسول الله إني آخذ الشاة أريد أن أذبحها فأرحمها قال: «**والشاة إن رحمتها رحمك الله ﷻ**»[٢].

• وقال النبي ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتمُ فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة، وليُحِدَّ أحدُكم شَفْرَتَه، وليرحْ ذبيحتَهُ**»[٣].

(١٧) الراحمون يرحمهم الرحمن:

أقرب الناس من رحمة الله، أرحمهم لخلْقه.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٩٢) ومسلم (٢٧٠٠)، والترمذي (٣٣٧٨)، وأبو داود – واللفظ له، وابن ماجه (٣٧٩١) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٦، ٥/ ٣٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٩٣) عن قرة بن إياس المزني رضي الله عنه، ورواه الطبراني في «الكبير» عن قرّة بن إياس، وعن معقل بن يسار، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦)، و«صحيح الجامع» (٧٠٥٥).

(٣) رواه أحمد مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة، والدارمي، والطيالسي، والطحاوي، والبيهقي في «سننه»، وابن الجارود عن شدّاد بن أوس.

• عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»[(١)].

• وقد بوّب ابن حبان على حديث: «**من لا يَرْحَم لا يُرحم**» الذي سبق ذكره: «ذكر الأمر للمرء أن يرحم أطفال المسلمين رجاء رحمة الله جل وعلا إياه.. فالجزاء من جنس العمل، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء فعن أسامة بن زيد قال: كنا عند النبي ﷺ، فجاء رسول امرأة من بناته، فقال: يا رسول الله، أرسلت إليك ابنتك أن تأتيها، فإن صبيًّا لها في الموت، فقال: «**ائتها فقل لها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فلتصبر ولتحتسب**» قال: فلم يلبث أن رجع، فقال: يا رسول الله، إنها تقسم عليك إلّا جئتها، فقام رسول الله ﷺ وقمنا معه — رهط من الأنصار — فدخلنا، فرفع إليه الصبي، ونفسه تقعقع في صدره، ففاضت عيناه، فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[(٢)].

وعلى هذا يظهر أن الرحمة لا تكون إلّا في السعداء[(٣)].

• فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ وهو الصادق المصدوق يقول: «**إن الرحمة لا تُنزع إلّا من شقي**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).

(٢) رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٣) تبويب ابن حبان كما في «الإحسان» (٢/ ٢٠٩).

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٣٠١، ٤٤٢، ٤٦١، ٥٣٩)، والطيالسي (٢٥٢٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٧٤)، وأبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٦٢، ٤٦٦)، والحاكم (٤/ ٢٤٨)، والبيهقي

□ قال الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي الشافعي:

بادر إلى الخير يا ذا اللبِّ مغتنما ... ولا تكن عن قليل الخير محتشما

واشكر لمولاك ما أولاك من نعم ... فالشكر يستوجب الإفضال والكرما

وارحم بقلبك خلق الله وارعهمُ ... فإنما يرحم الرحمن من رحما

□ وقال الإمام أبو حفص عمر بن أحمد الشماع الشافعي:

(٨/ ١٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ١١٥/ ٢٤٧٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٨٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٥٠) جميعًا من حديث أبي عثمان مولى المغيرة، عن أبي هريرة.

قال أبو عبد الله الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأبو عثمان هذا مولى المغيرة، وليس بالنهدي، ولو كان النهدي لحكمت بصحته على شرط الشيخين، انتهى.

وقال أبو عبد الله الذهبي: صحيح، وأبو عثمان مولى المغيرة اهـ.

وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن. انتهى.

أما أبو عثمان مولى المغيرة بن شعبة، قال عن الحافظ: مقبول. اهـ.

وقد وثقه ابن حبان، وروى عنه منصور بن المعتمر، وهو من الكبار الثقات الأثبات.

وأبو عثمان من طبقة لم يظهر الكذب فيها، ونحن على شرطنا في ترقية حديث من كان حاله كذلك إلى الحديث الحسن.

وقد حسَّنه الترمذي، وصححه كل من الحاكم والذهبي.

وقال الأخير في «موقظته» (ص٧٩): فإن جهل عينه وحاله - يعني الراوي - فأولى أن لا يحتجوا به، وإن كان المنفرد عنه من كبار الأثبات فأقوى لحاله، ويحتج به جماعة كالنسائي وابن حبان. انتهى.

فكيف بمَن ليس بمجهول العين وروى عنه مثل منصور. والله تعالى أعلم.

انتهى نقلًا من «زوائد الأدب المفرد على الصحيحين» لمحمد بن محمود بن مصطفى الإسكندري، وهو مخطوط يسَّر الله إخراجه، وحسَّنه الألباني كما مَرّ.

كن راحمًا لجميع الخلق منبسطًا لهم وعاملهم بالبِشْرِ والبِشَرِ
مَنْ يرحم الناس يرحمه الإله كذا جاء الحديث به عن سيد البشرِ

أمَّا أن يتصف المؤمنون بالرحمة فهي منحة إلهية، وعطية ربانيَّة؛ يمنحها الله لمن شاء من خَلقه تفضلًا منه ورحمة، وليس بظالم مَن منع فضلًا، وإنما يضع ربنا تبارك وتعالى الرحمة في قلب كل رحيم، وهو القلب الرحيم؛ الذي عمّت رحمته الناس؛ لا يفرق بين أحد مِنْ الناس فيها»[1].

(١٨) قيام الليل من موجبات الرحمة:

وقد مرّ في الحديث سابقًا.

(١٩) الملِّحقون في النُّسك:

وقد مرّ.

(٢٠) التطوّعُ قبل العصر:

وقد مرّ.

(٢١) العُطَاس:

وقد ورد ذكره في الأحاديث التي مرّت.

(٢٢) عيادة المريض:

• جاء أبو موسى إلى الحسن بن علي يعوده، فقال له علي رضي الله عنه: أعائدًا جئت أم شامتًا؟ قال: بل عائدًا، قال: فقال له علي رضي الله عنه: إن كنت جئت عائدًا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن أتى أخاه المسلم عائدًا،**

---

(١) «المرحومون في السُّنة النبوية» (ص١٣٠- ١٣١).

مشى في خرافة الجنة، حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة، صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساءً، صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح»[(١)].

• وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن عاد مريضًا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس، فإذا جلس غُمِرَ فيها»[(٢)].

(٢٣) قول الخير، أو الصمت:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرءًا تكلَّم فغنم، أوْ سكتَ فَسَلِم»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٨١)، وأبو داود (٣١٠٠) وابن ماجه (١٤٤٢)، والحاكم (١/ ٣٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٤٢)، وقال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين وأقرّه الذهبي اهـ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦٧)، و«صحيح الجامع» (٥٩٣٤). وخرافة الجنة هي موضع اجتناء الثمر.

(٢) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٤)، وأحمد (٣/ ٣٠٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٩٥٦)، والحاكم (١/ ٣٥٠)، والبيهقي (٣/ ٣٨٠) وغيرهم من حديث هشيم قال: أخبرنا عبد الحميد بن جعفر، عن عمر بن الحكم، بن ثوبان، عن جابر به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي. اهـ.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٩٧): «رجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.

ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٢٢)، وسُمِّي عمر بـ عمر بن الحكم بن رافع، وقال ابن معين: هما واحد كما في «التهذيب» (٧/ ٤٣٦- ٤٣٧).

(٣) حسن: أخرجه هكذا البيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٢١٢/ ٤٥٨٩) من حديث إسماعيل بن عياش، ثنا عمارة بن غزية الأنصاري، عن ابن شبرمة، أنه سمعه وهو يحدث عن أنس بن مالك به.

=

• وقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ الله عبدًا قال خيرًا فغنم، أَوْ سكتَ عن سوءٍ فَسَلِم»[١].

• وقال ﷺ: «رحم الله عبدًا قال فغَنِمَ أو سكتَ فَسَلِمَ»[٢].

وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات غير أن شيخ إسماعيل بن عياش حجازي، وكان إذا روى عنهم زلق.
وعزاه العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٢٠) لابن أبي الدنيا في «الصمت» ثم قال: فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين. انتهى.
وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤١) وهناد في «الزهد» (١١٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٢١٠/ ٤٥٨٥) جميعًا من طرق عن الحسن البصري مرسلًا.
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٣٦٤) ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤١٥) وابن أبي عاصم في «الزهد» (ص١٦) من طريق ابن لهيعة قال: حدثني خالد بن أبي عمران أن النبي ﷺ رساقه..
وله شاهد قوي أخرجه الحاكم (٤/ ٢٨٦- ٢٨٧) من طريق الربيع بن سليمان، ثنا ابن وهب، أخبرني أبو هانئ، عن عمرو بن مالك، عن فضالة بن عبيد، عن عبادة بن الصامت مرفوعًا وفيه: «قولوا خيرًا تغنموا، واسكتوا عن شر تَسْلموا».
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبي. انتهى.
وليس كما قالا وإنما هو صحيح فقط؛ فلمَ يخرج الشيخان للربيع، ولا لعمرو بن مالك.
لذا قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٩٩): رجاله رجال الصحيح غير عمرو بن مالك الجنبي، وهو ثقة. انتهى.
فبهذا حسن الحديث. وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٨٥٣)، و«صحيح الجامع» (٣٤٩٢).

(١) حسن: رواه المبارك عن خالد بن أبي عمران مرسلا، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٨٥٥)، و«صحيح الجامع» (٣٤٩٦).

(٢) حسن: رواه أبو الشيخ عن أبي أمامة رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٨٥٥)، =

(٢٤) المسامحة في البيع والشراء، والاقتضاء:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله عبدًا: سمْحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمْحًا إذا اقتضى**»[1].

وفي رواية: «.. **سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**»[2].

(٢٥) استحلال الإخوان من المظالم:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كانَتْ لأخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ في نَفْسٍ، أو مالٍ، فأتَاهُ، فاسْتَحَلَّ مِنْهُ قَبْلَ أنْ يُؤْخَذَ من حسَنَاتِه، فَإنْ لمْ يَكُنْ لهُ حسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سيئَاتِ صاحبِهِ، فتُوضَعُ في سيئَاتِهِ**»[3].

واستحَلّ: طلب أن يجعله في حِلٍّ.

يا من عَدَى ثم اعتدى ثم اقترفْ	**ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف**
أبشر بقول الله في آياته	**إن ينتهوا يُغفَر لهم ما قد سلف**

وعلى صاحب الحق أن يعفو ويصفح عن زلّة أخيه، فإنه علامة الإحسان..

و«صحيح الجامع» (٣٤٩٧).

(١) رواه البخاري وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٩)، (٦٥٣٤) بنحوه، وهو عند الترمذي (٢٤١٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٣٦٢)، وأبي نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٤٣)، والبيهقي (٦/ ٥٦) بهذا اللفظ.

□ قال منصور الفقيه:

وقـال نبينـا فـيما رواه ... عـن الـرحمن في علِـم الغيـوب
مُحـالٌ أن ينـالَ العفـوَ مَـنْ لا ... يمُـنُّ بـه عـلى أهـل الـذنوب [١]

أحاديث عطرة في الرحمة:

• عن أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذُني فيقْعدُني على فخذه ويقعدُ الحسن بن عليٍّ على فخْذِه الآخر، ثمَّ يضمُّهما، ثم يقول: «**اللَّهُم ارحمهما فإنِّي أرحمُهَما**»[٢].

• وعن عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ رضي الله عنه قال: صلَّى رسول الله ﷺ على جنازةٍ فحَفِظت من دعائه وهو يقولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفر له وارحمهُ، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسِّع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقَّيْت الثوب الأبيض من الدَّنس، وأبْدله، دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنَّة، وأعذْهُ من عذاب القبر – أو من عذاب النار–**». قال: حتى تمَنَّيْتُ أن أكون أنا ذلك الميت[٣].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**اللهُمَّ إنِّي أتَّخِذُ عندك عهدًا لن تخلفنيه. فإنَّما أنا بشرٌ. فأيُّ المؤمنين آذيْتُهُ، شتمته، لعنتهُ، جلدْتُهُ، فاجعل ذلك له صَلاةً وزكاةً وقُرْبةً تقرِّبُهُ بها إليكَ يومَ القيَامَةِ**»[٤].

---

(١) «بهجة المجالس» (١/ ٢٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٣).

(٣) رواه مسلم (٩٦٣).

(٤) رواه البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١) واللفظ له.

• وعن مالك بن الحوَيْرِثِ رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحنُ شَبَبَةٌ (١) متقاربونَ، فأقَمْنا عند عشْرين ليلةً، فظنَّ أنَّا اشْتقْنَا إلى أهلنَا، وسألنا عمَّنْ تركنا في أهلِنَا فأخْبرناه، وكان رقيقًا رحيمًا، فقال: «ارْجِعُوا إلى أهْلِيكُمْ فعَلِّمُوهُمْ، ومُرُوهُمْ، وصَلُّوا كما رأيْتُمُوني أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فلْيُؤَذِّنْ لكُمْ أحَدُكُمْ، ثمَّ ليؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ» (٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عَطَسَ أحَدُكُمْ فلْيَقُلِ الحَمْدُ لله، وليَقُلْ لهُ أخُوهُ - أو صاحِبُهُ - يرحَمُكَ اللهُ، فإذا قَالَ يرْحَمُكَ اللهُ، فلْيَقُلْ يَهْدِيكُمُ اللهُ ويُصْلِحُ بالَكُمْ» (٣).

• وعن عياضِ بن حمارٍ المجاشِعيِّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ذات يومٍ في خُطْبَتِهِ: «ألَا إنَّ رَبِّي أمَرَني أنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ مِمَّا علَّمَني يومي هذا: كُلُّ مالٍ نحَلْتُهُ عبدًا حلالٌ. وإنِّي خلقتُ عبادِي حُنَفَاءَ كلَّهُمْ. وإنَّهُمْ أتَتْهُمُ الشَّياطينُ فاجْتَالَتْهُم (٤) عن دينِهِمْ. وحرَّمَتْ عليهم ما أحْلَلْتُ لهم. وأمرتْهُم أنْ يُشْرِكُوا بي ما لم أُنزِّلْ به سُلطانًا، وإنَّ اللهَ نظر إلى أهل الأرض فَمَقَتَهُمْ، عَربهم وعجَمِهم، إلَّا بقَايا منْ أهْلِ الكتاب. وقال: إنَّما بعثتُكَ لأبتَليكَ وأبْتَلِي بكَ. وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغْسِلُه الماءُ (٥) تقرؤُه نائمًا

---

(١) شببة: جمع شاب، مثل بررة جمع بار.

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٨) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤).

(٣) رواه البخاري (٦٢٢٤)، ومسلم (٢٩٩٢) مثله من حديث أبي موسى.

(٤) فاجتالتهم: أي استخفُّوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عمّا كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل. قال شمر: اجتال الرجل الشيء ذبَّه به، واجتال أموالهم ساقها وذهب بها.

(٥) كتابًا لا يغسله الماء: معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مَرِّ الزمان.

ويقظانَ. وإنَّ الله أمرني أن أحرِّقَ قريْشًا. فقلتُ: ربِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي [(١)] فيدعُوهُ خُبْزَةً. قال: استخرجهم كما استخرجوك. واغْزُهم نُغْزِكَ. وأنفقْ فَسَنُنْفِقَ عليك. وابعث جيشًا نَبْعَثْ خمسةً مثله. وقاتلْ بمَنْ أطاعك من عصَاك. قال: وأهل الجنة ثلاثةٌ: ذو سلطانٍ مقسطٌ متصدِّقٌ موَفَّقٌ. ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكلِّ ذي قرْبَى ومسلم. وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيالٍ. قال: وأهل النار خمسةٌ: الضعيف الذي لا زَبْرَ له [(٢)]، الذين هم فيكم تبعًا لا يَتْبَعُونَ أهلًا ولا مالًا. والخائنُ الذي لا يَخْفَى له طمعٌ وإنْ دقَّ إلَّا خانهُ. ورجلٌ لا يصبحُ ولا يمْسي إلَّا وهو يُخَادِعُكَ عن أهلك ومالكَ». وذكر البُخْلَ أو الكذبَ، والشِّنْظِيرُ [(٣)] الفَحَّاشُ» [(٤)].

• عن أبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قامَ مُوسَى عليه السَّلامُ خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. قال: فعتَبَ الله عليه إذ لم يرُدَّ العلم إليه.. الحديث. وفي آخره قال رسول الله ﷺ: «يَرْحمُ الله موسى، لودِدْتُ أَنَّهُ كان صبر حتَّى يَقُصَّ علينا من أخبارهما» [(٥)].

• عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هذه الأمَّة مرحُومَةٌ جعل الله عذابها بينها فإذا كان يوم القيامة دُفِعَ إلى كلِّ امرئٍ

---

(١) إذًا يثلغوا رأسي: أي يشدخوه ويشجُّوه كما يشدخ الخبز، أي يُكْسَر.

(٢) لا زبر له: أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي، وقيل: هو الذي لا مال له، وقيل: الذي ليس عنده ما يعتمده.

(٣) الشنظير: فسَّره في الحديث بأنَّه الفحّاش، وهو السيئ الخُلُق.

(٤) رواه أحمد، ومسلم (٢٨٦٥).

(٥) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) واللفظ له.

منهم رجلٌ من أهلِ الأديانِ، فقال: هذا يكون فداءَكَ من النَّار»[١].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: ألا أحدِّثكم عنِّي وعن رسول الله ﷺ. قلنا: بلى. قالت: لَمَّا كانت ليلتي التي كان النبيُّ ﷺ فيها عندي، انْقلب فوضع رداءَهُ، وخلع نعْلَيْه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضْطجع. فلم يلبثْ إلَّا ريْثَما ظنَّ أن قدْ رقدْتُ، فأخذ رداءَهُ رُوَيْدًا، وانتعل رويدًا، وفتح الباب فخرج. ثمَّ أجافَهُ [٢] رويدًا. فجعلت درْعي في رأسي [٣]، واخْتمرتُ وتقنَّعْتُ إزَارِي [٤]. ثم انطلقت على إثره. حتَّى جاء البقيع فقام فأطال القيام. ثم رفع يديه ثلاث مرَّاتٍ. ثمَّ انحرف فانحرفتُ. فأسرع فأسرعْتُ. فهرْول فهرْولْتُ فأحضر فأحضرت [٥]. فسبقته فدخلتُ. فليس إلَّا أن اضطجعت فدخل فقال: «**مالكِ؟ يا عائشُ حَشَيَا رَابِيةً** [٦]». قالت: قلتُ: لا شيءَ. قال: «**لتخْبريني أو لَيُخْبِرنِّي اللطيفُ الخبير**». قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمِّي، فأخبرته.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٤٤٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأحمد (٤/٤٠٨) واللفظ له عن أبي بردة عن أبيه. وشعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٢٧٤) وقال مخرجه في الطبراني «الصغير» (١/ ١٠) حديث (٥)، وقال الألبانِّ في «الصحيحة» (٢/ ٦٨٥): الحديث صحيح.

(٢) أجافه: أغلقه.

(٣) فجعلت درعي في رأسي: درع المرأة: قميصها.

(٤) تقنعت إزاري: لبست إزاري.

(٥) فأحضر فأحضرت: أي فعَدَا فَعَدَوْتُ.

(٦) مالك يا عَائِشُ حشيا رابية: يعني وقع عليك الحشا وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه من ارتفاع النفَس وتواتره. ورابية: أي مرتفعة البطن.

قال: «**فأنْتِ السَّوَادُ الذي رأيتُ أمامي؟**». قلتُ: نعم، فلهدني [١] في صدري لهدَةً أوجعتْنِي. ثمَّ قال: «**أظَنَنْتِ أنْ يَحِيفَ اللهُ عليك ورسولُهُ؟**». قالت: مهما يكْتُمِ الناسُ يعلمْهُ اللهُ. ثمَّ قال: «**فإن جبْريلَ أتَاني حين رأيتِ، فنادَاني، فأخْفَاهُ منكِ [٢]، فأجبْتُهُ، فأخْفَيْتُهُ منك. أو لم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابكِ، وظننْتُ أنْ قدْ رقدْتِ، فكرِهْتُ أن أوقظَكِ، وخشيتُ أن تستوْحِشِي. فقال: إنَّ ربَّك يأمُرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**». قالت: قلتُ: كيف أقولُ لهم يا رسول الله؟. قال: «**قولي: السَّلامُ على أهل الدِّيارِ من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين. وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقونَ**».

• عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثلِ الجسد إذا اشتكى عضْوٌ تداعى له سائرُ جسده بالسَّهر والحُمَّى**» [٣].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: تقبِّلُونَ الصّبيان فما نقبِّلهم، فقال النبيُّ ﷺ: «**أو أملكُ لك أنْ نزعَ اللهُ من قلبك الرَّحْمَةَ**» [٤].

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ ذكر «**رجلًا فيمن كان سلف - أو قبلكم - آتاهُ اللهُ مالًا وولدًا، يعني أعطاهُ. قال: فلمَّا حُضِرَ** [٥].

---

(١) فلهدني: دفعني.

(٢) فأخفاه منك: أي الصوت.

(٣) رواه البخاري (٦٠١١) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٦).

(٤) رواه البخاري (٥٩٩٨) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٧).

(٥) فلما حُضِر: أي حضرته الوفاه.

قال لبَنيه: أيَّ أبٍ كنت لكم؟. قالوا: خير أبٍ. قال: فإنَّه لم يبتئرْ عند الله خيرًا». فسَّرها قتادة: لم يدّخِر. «وإنْ يقدم على الله يعذِّبهُ. فانظروا، فإذا متُّ فأحرقوني، حتَّى إذا صرْتُ فحْمًا فاستحقُوني. أو قال فاسهكُوني [(١)] - ثم إذا كان ريحٌ عاصفٌ فاذْرُوني فيها، فأخذ مواثيقهم على ذلك وربِّي. ففعلوا. فقال الله: كنْ، فإذا رجلٌ قائمٌ، ثم قال: أيْ عبدي، ما حملك على ما فعلت؟ قال: مخافتُكَ. أو فرقٌ منك [(٢)]، فما تلافاهُ أنْ رحمهُ الله» [(٣)].

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رحِمَ الله رجلًا سمْحًا إذا باعَ، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» [(٤)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلًا قام من الليل فصلَّى، ثمَّ أيْقظ امرأتهُ فصلَّتْ، فإنْ أبَتْ نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأةً قامت من الليل فصلَّتْ، ثم أيقظتْ زوجها فصلَّى، فإنْ أبى نضحَتْ في وجهه الماءَ» [(٥)].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ الله امرأً صلَّى

---

(١) فاسهكوني: أي اسحقوني، وقيل: هو دون السَّحْق.

(٢) فَرَقٌ مِنك: أيْ خوفٌ منك.

(٣) رواه البخاري (٦٤٨١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٥٧).

(٤) رواه البخاري (٢٠٧٦)، وابن ماجه.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود (١٣٠٨) واللفظ له، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وابن حبّان، وصححه الألباني في «صحيح النسائي» (١٥١٩)، وقال: حسن صحيح، و«صحيح أبي داود» (١١٨١)، و«صحيح الترغيب» (٦٢١)، و«تخريج المشكاة» (١٢٣٠)، و«صحيح الجامع» (٣٤٩٤).

قبل العصر أربعًا»[١].

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله المحلِّقِين**». قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله. قال: «**رَحِمَ الله المحلِّقين**». قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله. قال: «**رحم الله المحلِّقين**». قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله. قال: «**والمقصِّرِينَ**»[٢].

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّاحمون يرحمهم الرحمنُ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماءِ**»[٣].

وفي لفظ: «**ارحموا من في الأرض**».

وزاد أحمد والترمذي والحاكم: «**والرَّحمُ شُجْنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله**».

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**سدِّدُوا**[٤] **وقاربوا**[٥] **وأبْشروا، فإنَّه لا يُدخِلُ أحدًا الجنَّة عملُه**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢/ ١١٧)، والترمذي (٤٣٠)، وقال: هذا حديث غريب حسن، وأبو داود (١٢٧١)، وابن خزيمة (١١٩٣)، وابن حبان، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٤٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» وحسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود» (١١٥٤)، و«صحيح الترغيب» (٥٨٦)، و«صحيح الجامع» (٣٤٩٣).

(٢) رواه البخاري (١٧٢٧)،ومسلم (١٣٠١) واللفظ له.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود (٤٩٤١) واللفظ له، والترمذي (١٩٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٥)، و«صحيح الجامع» (٣٥٢٢).

(٤) سدِّدوا: اطلبوا السَّدَاد أي الصواب.

(٥) قاربوا: لا تفرطوا في العبادة.

قال: «ولا أنا، إلَّا أنْ يتغمَّدَني الله بمغفرةٍ ورحمةٍ»[(١)].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبيُّ ﷺ رجلًا يقرأُ في المسجدِ. فقال: «رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آيةً أسقطْتهنَّ من سورة كذا وكذا». وزاد عبَّادُ بن عبد الله عن عائشة: تهجَّدَ النبيُّ ﷺ في بيتي فسمع صوت عبَّادٍ يصلِّي في المسجد. فقال: «يا عائشةُ أصوتُ عبَّادٍ هذا؟». قلتُ: نعم. قال: «اللهمَّ ارحم عبَّادًا»[(٢)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت امرأتانِ معهما ابناهما، جاء الذِّئْبُ فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتُها: إنَّما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى. فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال: آتوني بالسِّكِّين أشقُّهُ بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنُها، فقضى به للصُّغرى»[(٣)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «لا تُنْزَع الرحمة إلَّا من شَقِيٍّ»[(٤)].

• عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرحمُ اللهُ

---

(١) رواه أحمد، والبخاري (٦٤٦٧) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٥) واللفظ له، ومسلم (٧٨٨).

(٣) رواه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠).

(٤) حسن: رواه أحمد، والترمذي (٣، ١٩) وقال: حديث حسن، وأبو داود (٤٩٤٢)، وابن حبان، والحاكم، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٦٧)، و«تخريج المشكاة» (٤٩٦٨).

من لا يرحمُ الناسَ»[١].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في صلاةٍ وقمنا معه، فقال أعرابيٌّ وهو في الصلاةِ: اللهم ارحمني ومحمَّدًا ولا ترحم معنا أحدًا. فلمَّا سلَّم النبيُّ ﷺ قال للأعرابي: «لقد حجَّرتَ واسعًا» يريد رحمة الله[٢].

• عن أبيٍّ بن كعبٍ رضي الله عنه أنه قال: إنَّ أبا هريرة كان حريصًا على أنْ يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله ما أول ما رأيت في أمْر النُّبُوَّة؟ فاستوى رسولُ الله ﷺ جالسًا وقال: «لقد سألت أبا هريرة، إنِّي لفي صحراء ابن عَشْرِ سنين وأشهرٍ وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رَجُلٌ يقول لرجلٍ: أهو هو؟ قال: نعم، فاستقْبلاني بوجوه لم أرها لخلقٍ قطُّ وأرواحٍ لم أجدها من خلقٍ قطُّ، وثيابٍ لم أرها على أحدٍ قطُّ، فأقْبلا إليَّ يمشيان حتى أخذ كلُّ واحدٍ منهما بعضُدي لا أجدُ لأحدهما مسًّا فقال أحدهما لصاحبه: أضْجِعْهُ. فأضجعاني بلا قصرٍ ولا هصْرٍ[٣]. وقال أحدهما لصاحبه: افْلِقْ صدرهُ فهوى أحدهما إلى صدري ففلقها، فيما أرى بلا دم ولا وجعٍ، فقال له: أخرج الغلَّ والحسد، فأخرج شيئًا كهيئة العلقة ثم نبذَها فطرحها، فقال له: أدخل الرَّأفةَ والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج يُشْبِهُ الفضَّةَ، ثم هزَّ إبهامَ رجلي اليمنَى فقال: اغْدُ واسلم، فرجعت بها أغْدو رقَّةً على الصغير ورحمةً للكبير»[٤].

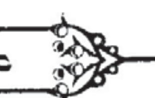
---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٦) واللفظ له، ومسلم.

(٢) رواه البخاري (٦٠١٠).

(٣) بلا قصر ولا هصر: أي بلا عنف ولا ضغط.

(٤) رواه أحمد، (٥/ ١٣٩)،وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٢- ٢٢٣) رواه عبدالله (يعني ابن أحمد عن أبيه) ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان، وضعَّفه الشيخ =



• عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لن تؤمنوا حتى تراحموا». قالوا: كُلُّنا رحيمٌ يا رسول الله، قال: «إِنَّهُ ليس برحمة أحدكم صاحبهُ، ولكنَّها رحمةُ الناس، رحمةُ العامَّة»**[(١)].

• عن أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه أنَّه جاءَهُ ابن الديلميِّ، فقال: وقع في نفسي شيءٌ من القدَرِ، فحدِّثني بشيءٍ لعلَّ الله أنْ يُذهبهُ منْ قلبي، فقال: **«لو أن الله عذَّبَ أهل سماواته وأهل أرضه عذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحُدٍ ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتَّى تؤمنَ بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخْطِئَكَ، وأنَّ ما أَخْطأكَ لم يكن ليصيبك، ولو مُتَّ على غير هذا لدخلت النَّارَ»**، قال: ثم أتيْتُ عبد الله بن مسعودٍ، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيْتُ حذيفة ابن اليمان، فقال مثل ذلك، قال: ثمَّ أتيْتُ زيد بن ثابتٍ، فحدَّثني عن النَّبيِّ ﷺ مثل ذلك»[(٢)].

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو تعلمون قدر رحمة الله لاتَّكلتُمْ عليها»**[(٣)].

شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣١/ ١٨١)، وفيه مجهولان.

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤٥٣): أخرجه الطبراني ورجاله ثقات، وقال الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢٧٠): هو في كتاب الأدب للبيهقي حديث (١٦٧).

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٨٥) وأبو داود (٤٦٩٩) واللفظ له، وابن ماجه (٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣/ ٨٩٠) (٣٩٣٢).

(٣) صحيح: رواه البزّار، وابن أبي الدنيا، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٣): رواه البزار وإسناده حسن، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦٧)، و«صحيح الجامع» (٥٢٦٠).

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليسَ منَّا مَنْ لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**»[(١)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرعُ بن حابسٍ التميميُّ جالسًا، فقال الأقرعُ: إنَّ لي عشرةً من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**من لا يرحمُ لا يُرحمُ**»[(٢)].

• عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أُحِبُّ أنَّ لي الدُّنْيا وما فيها بهذه الآية** ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣]»[(٣)].

• عن عمران بن حسينٍ رضي الله عنهما قال: كانت ثقيفُ حلفاء لِبَنِي عقيلٍ فأسرت ثقيفُ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسرَ أصحابُ رسول الله ﷺ رجُلًا من بني عقيلٍ، وأصابُوا معه العضباء فأتى عليه رسولُ الله ﷺ وهو في الوثاقِ. قال: يا محمد، فأتاهُ. فقال: «**ما شأْنُكَ؟**». فقال: بمَ أخذتني؟، وبم أخذت سابقة الحاجِّ فقال: «**إعظامًا لذلك**»

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٥٧)، والترمذي (١٩٢٠) واللفظ له وقال: حسن صحيح، ورواه الحاكم، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٤/ ٩٥)، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والحميدي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٨)، و«صحيح الجامع» (٥٤٤٤).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٧) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٨)، وأحمد (٢/ ٢٢٨، ٢٤١، ٢٦٩، ٥١٤)، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (١٩١١).

(٣) حسن: رواه أحمد (٥/ ٢٧٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٤)، وضعفه الشيخ شعيب في «المسند».

«**أخذتُك بجريرة حُلفائِكَ ثقيف**». ثم انصرف عنه فناداه. فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا. فرجع إليه فقال: «**ما شأنكَ؟**». قال: إنِّي مسلمٌ. قال: «**لو قلتها وأنت تملك أمرك، أفْلحْتَ كلَّ الفلاحِ**»، ثم انصرف فناداهُ فقال: يا محمد، يا محمد، فأتاه فقال: «**ما شأنُكَ؟**». قال: إنِّي جائعٌ فأطعمني. وظمآنٌ فاسقني. قال: «**هذه حاجَتُكَ**». ففُدِيَ بالرَّجُلين.. الحديث(١).

• عن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ على المنبر: «**من لم يشكر القليلَ لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكُرِ الله، التَّحدُّثُ بنعمة الله شُكْرٌ، وتركها كفرٌ، والجماعةُ رحمةٌ والفرقةُ عذابٌ**»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الملائكةُ تصلِّي على أحدكم ما دام في مصَلَّاهُ الذي صلَّى فيه ما لم يُحدثْ، تقول: اللهمَّ اغفرْ له، اللهمَّ ارْحَمْهُ**»(٣).

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: إنَّ نبيَّ الله ﷺ دخل نخْلًا لبني النجَّارِ. فسمع صوتًا ففزعَ. فقال: «**من أصحابُ هذه القبُور؟**». فقالوا: يا رسول الله، ناسٌ ماتوا في الجاهليَّة. فقال: «**تعوَّذُوا بالله منْ عذاب النَّارِ، ومن فتنةِ الدجَّالِ**». قالوا: وممَّ ذاك يا رسول الله؟. قال: «**إنَّ المؤمنَ إذا وُضَعَ في قبْره أتاهُ ملكٌ فيقول له: ما كنت تعبدُ؟ فإن اللهُ هدَاهُ، قال: كنت**

---

(١) رواه مسلم (١٦٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٧٨) واللفظ له، والقضاعي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٢٧٦) (٦٦٧).

(٣) رواه البخاري (٤٤٥) واللفظ له، ومسلم (٦٤٩) باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

أعبدُ الله، فيُقَالُ له: ما كنت تقول في هذا الرَّجُلِ؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما يسأل عن شيءٍ غيرها. فيُنطلقُ به إلى بيتٍ كان له في النارِ، فيُقالُ له: هذا بيتك كان لك في النار، ولكن الله عصمك ورحمكَ، فأبدَلكَ به بيتًا في الجنَّةِ، فيقول: دعوني حتَّى أذْهبَ فأُبَشِّرَ أهلي، فيقال له: اسكن، وإنَّ الكافر إذا وُضِع في قبره أتاهُ ملكٌ فينتهره، فيقول له: ما كنت تعبُدُ؟ فيقول: لا أدري، فيقالُ له: لا دريتَ ولا تليْتَ، فيقال له: فما كنت تقول في هذا الرَّجُلِ؟، فيقولُ: كنت أقولُ ما يقولُ النَّاسُ، فيضْربُهُ بمطراقٍ من حديدٍ بين أذنيه فيصيح صيحةً يسمعها الخلقُ غير الثقلين»[١].

• عن زيد بن خالد الجهنيِّ رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصُّبح بالحديبية في إثْر السماءِ [٢] كانت من الليل، فلما انصرفَ أقْبلَ على الناس فقال: «هل تدرونَ ماذا قال ربُّكُم؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ. فأمَّا من قال: مُطِرْنَا بفضْلِ الله ورحمته فذلك فؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكبِ، وأمَّا من قال: مطرنا بنوءِ [٣] كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكوكبِ»[٤].

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْخل الله أهل الجنَّة الجنَّة. يُدخل من يشاءُ برحمته، ويدخل أهل النَّار النَّارَ، ثم

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥١) واللفظ له، وذكره المنذري في «مختصر أبي داود» (٧/ ١٣٨) وقال: أخرج النسائي طرفًا منه، وقال الألباني في «صحيح أبي داود» صحيح (٣/ ٩٠٠) (٣٩٧٧) وكذا رواه أحمد (٢٣٣).

(٢) السماء: المطر.

(٣) ناء النجم: سقط النجم أو طلع.

(٤) رواه البخاري (٤١٤٧)، ومسلم (٧١) واللفظ له.

يقول: انظروا، منْ وجدتم في قلبه مثْقال حبَّةٍ من خرْدَلٍ من إيمانٍ فأخرجوه، فيُخْرجُونَ منها حُمَمًا [(١)] قد امْتُحِشُوا [(٢)]، فيُلْقون في نهر الحياةِ أو الحيا فينْبُتون فيه كما تنْبُتُ الحبَّةُ إلى جانبِ السَّيلِ. تروْها كيف تخرُجُ صفراءَ ملتويَةً» [(٣)].

• عن شدَّادِ بن أوسٍ رضي الله عنه أنَّه قال: ثنتان حفظتُهما عن رسولِ الله ﷺ، قال: «إنَّ الله كتب الإحسانَ على كلِّ شيءٍ. فإذا قتلتم فأحسنُوا القتلةَ، وإذا ذَبحْتُمْ فأحْسِنوا الذَّبْح، وليُحِدَّ أحدكم شفْرَتَهُ، وليُرِح ذبيحَتَهُ» [(٤)].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: أعْتَمَ [(٥)] النبيُّ ﷺ ذات ليلةٍ، حتى ذهبَ عامَّةُ الليل، وحتى نام أهلُ المسجدِ ثمَّ خرج فصلَّى، فقال: «إنَّهُ لوقتها لولا أن أشُقَّ على أمَّتِي» [(٦)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلبٌ يُطيفُ بركيةٍ [(٧)] كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعتْ مُوقَهَا [(٨)] فسقتْهُ فغفر لها به» [(٩)].

---

(١) حمما: فَحْما.

(٢) امتحشوا: احترقوا.

(٣) رواه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤) واللفظ له.

(٤) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٥) أعتم: أخَّر العشاء حتى اشتد الظلام (١١) رواه البخاري (٥٦٩)، ومسلم (٦٣٨) واللفظ له.

(٦) رواه البخاري (٥٦٩)، ومسلم (٦٣٨) واللفظ له.

(٧) يطيف برَكِيَّة: أي يدور حول بئر.

(٨) مُوقها: أي خُفَّها، فارسي معرَّب.

(٩) رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّى أحدُكُمْ للناس فليُخَفِّفْ، فإن في الناس الضعيف والسَّقِيم وذا الحاجة**»[(١)].

• عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فانطلق لحاجته فرأيْنا حُمَّرةً[(٢)] معها فرخان فأخذنا فرخيْها فجاءت الحُمَّرةُ فجعلت تفرِّشُ[(٣)]، وجاء النبي ﷺ فقال: «**من فجَعَ هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها**» ورأى قرْية نمْلٍ قد حرَّقْناها، فقال: «**منْ حرقَ هذه؟**». قلنا: نحن، قال: «**إنَّه لا ينْبغي أن يُعذب بالنار إلَّا ربُّ النَّارِ**»[(٤)].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنه دخل دار الحكم بن أيوبَ، فرأى غلمانًا -أوْ فتيانًا- نصبُوا دجاجةً يرمُونها، فقال أنسٌ: «نهى النَّبيُّ ﷺ أن تُصْبَرَ البهائِمُ[(٥)]»[(٦)].

• وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يرحم صغيرنا، ويعرفُ حقَّ كبيرنا، فليس منّا**»[(٧)].

• وقال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنَا، ويوقرُ**

---

(١) رواه البخاري (٧٠٢)، ومسلم (٤٦٧) واللفظ له.

(٢) الحمرة: طائر صغير يشبه العصفور.

(٣) تفرش: أي تفرش جناحيها وتقرب من الأرض وترفرف.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٦٨) وقال الألباني (٣/ ٩٨٨) (٤٣٨٨): صحيح.

(٥) تصبر البهائم: أي تُحبَس لتُرْمَى حتى تموت.

(٦) رواه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٩).

(٧) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٨)، و«صحيح الجامع» (٦٥٤٠).

كبيرَنا»[(١)].

• وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس مِنَّا مَنْ لم يُجِلَّ كبيرَنا، ويَرْحَمْ صغيرَنا، ويعرفُ لعالِمِنا حقَّه**»[(٢)].

• عن عمرو بن حبيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خابَ عبدٌ وخَسِرَ، لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر**»[(٣)].

• وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علِّمني دعاء أَدعو به في صلاتي، قال: «**قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**»[(٤)].

• قال رسول الله ﷺ: «**ارحم مَن في الأرض، يرحمْكَ مَن في السماء**»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» عن ابن عمرو، وأحمد والترمذي والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٩٦)، و«صحيح الجامع» (٥٤٤٥).

(٢) حسن: رواه أحمد، والحاكم في «المستدرك» عن عبادة بن الصامت، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٦)، و«صحيح الجامع» (٥٤٤٣).

(٣) حسن: رواه الدولابي في «الكنى»، وأبو نعيم في «المعرفة»، وابن عساكر، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٤٥٧)، و«صحيح الجامع» (٣٢٠٥).

(٤) رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥)، والترمذي (٣٥٣١)، وابن ماجه (٣٨٣٥)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وكذا رواه أحمد (١٤، ٧).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن جرير، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» عن ابن مسعود، وكذا رواه الطيالسي، والطبراني في «الأوسط»، وفي «الصغير»، وأبو نعيم، والخطيب في «تاريخ بغداد» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٥)، و«صحيح الجامع» (٨٩٦).

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه رأى النبي ﷺ على المنبر يقول: «**ارحموا تُرْحَمُوا واغْفِرُوا يُغفَر لكم، ويلٌ لأقماع [1] القوْل، ويلٌ للمُصِرِّين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهُمْ يعلمون**» [2].

المرحومون بالذات:

نطق النبي ﷺ - وهو الذي لا ينطق عن الهوى - وإذا استُجيب، وأخبرنا عن أسماء مَنّ الله عليهم على لسان نبيه ﷺ بالرحمة، وليست للحصر، ففضل الله واسع وهو المنان الجواد الذي علا فوق كل جواد، وبه جادَ من جاد:

١- نبي الله لوط عليه السلام:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يرحم الله لوطًا؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد**» [3].

* وذلك في قوله تعالى عن لسان نبيه لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠].

---

(١) الأقماع: جمع قِمع، والقِمع يكون من مادة ملساء، بحيث تمر فيها السوائل دون أن تشرب هذه الأقماع من السوائل التي تُصَبُّ فيها شيئًا، فالذين يسمعون النُّصح ولا ينتصحون، مثلهم كالأقماع لا ينتفعون بما يُصَبُّ فيها، فوَيْلٌ أي: هلاكٌ وعذاب لهم على عدم استفادتهم مع سماعهم وعلمهم. انظر «الأربعون في فضل الرحمة والراحمين» لمحمد بن علي بن طولون - (٣٥- ٣٦) تحقيق السيد أبو عمه - طبع دار الصحابة.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٨٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٨٩٧).

(٣) رواه البخاري (٣٣٨٧).

فهو عليه السلام كان في الذروة من قومه، لكنه كان مهاجرًا من بلده، وأهل سدوم لم يكونوا عشيرته، وأقاربه فهو من العراق فقد كان لوط عليه السلام يأوى إلى ركن شديد وهو الله سبحانه وتعالى..

فالزم يديكَ بحبلِ الله معتصِمًا فإنه الرُّكْنُ إن خانتكَ أركانُ

٢- كليم الرحمن موسى عليه السلام :

• عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله، حدَّثنا أُبيُّ بن كعب عن النبي ﷺ: **«قام موسى النبي خطيبًا في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبدًا من عبادي بِمَجْمَعِ البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتًا في مكتل فإذا فقدته فهو ثَم، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحملا حوتًا في مكتل حتى إذا كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما فانسلَّ الحوت من المكتل ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ ولم يجد موسى مسًّا من النصب حتى جاوز المكان الذي أُمر به فقال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ قال موسى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجًّى بثوب** – أو قال: تسجَّى بثوبه – **فسلَّم موسى فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام، فقال: أنا موسى، فقال موسى بني إسرائيل، قال نعم، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ يا موسى إني على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علَّمكه لا أعلمه ﴿قَالَ**

سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعُرِف الخضر فحملوهما بغير نَوْل، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلَّا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها!! ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ فكانت الأولى من موسى نسيانًا. فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ قال ابن عيينة: وهذا أوكد ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ قال: الخضر بيده فأقامه فقال له موسى: ﴿ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ ﴾ قال النبي ﷺ: «يرحم الله موسى، لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما»[1].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناسًا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مئة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذٍ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت:

---

(١) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

والله لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته، فأخبرته، فقال: «**فَمَن يعدل، إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**رحمةُ الله علينا وعلى موسى لو صبرَ لرأى من صاحبه العجب العُجَاب**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**رحم الله موسى قد أُوذِي بأكثرَ من هذا فصبرَ**»[(٣)].

وإني أدلك، بتوفيق الله ﷻ، على موقفين أوذي فيهما نبي الله موسى عليه السلام من قومه، استحق بهما وبغيرهما أن يدعو له رسول الله ﷺ بالرحمة، وقد نالها، عليه الصلاة والسلام.

• فلقد أخرج البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن موسى عليه السلام كان رجلًا حييًا ستيرًا، لا يُرى من جِلْدِهِ شيء، فقالت بنو إسرائيل: ما يتستر هذا التستر إلَّا من عيب بجلده، إما برص، وإما أدرة**[(٤)]**، وإما آفة، وإن الله ﷻ أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام. فخلا يومًا وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإٍ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله ﷻ، وأبرأه مما يقولون، وقام للحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله، إن بالحجر**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم عن أُبيّ، وزاد البارودي «العجاب» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٠١).

(٢) رواه البخاري (٣١٥٠).

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن ابن مسعود.

(٤) الأدرة: كبر في حجم الخصيَيْن، فهو آدر.

لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا». قال: «**فذلك قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب]»[1].

وفي هذا الحديث فوائد كما قال الإمام النووي في «المنهاج»[2].

«ومنها: ما ابتُلي به الأنبياء والصالحون من أذى السفهاء والجُهّال وصبرهم عليهم كم صبر كليم الرحمن موسى عليه السلام على تَعَنُّت وإباء وجحود وتكذيب، وإيذاء بني إسرائيل الذي طمس الله بصيرتهم وأعماهم عن قبول الحق».

□ والموقف الثاني لإيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام، ما حكاه الحافظ ابن كثير في «تفسيره».

* من رواية ابن أبي حاتم، عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

□ قال: «صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون عليه السلام، فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أنت قتلته، كان ألين منك، وأشد حياءً، فآذوه من ذلك.. وذكر تمام الخبر».

□ قال - يعني: ابن جرير -: «وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذى، وجائز أن يكون الأول هو المراد، فلا قول أولى من قول الله عز وجل».

□ قلت - أي ابن كثير-: «يحتمل أن يكون الكل مرادًا وأن يكون معه

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

(٢) «المنهاج» (٨/ ١٤٢ - ١٤٣).

غيره، والله أعلم»[١] انتهى.

رسول الله ﷺ، وموسى نبي الله ﷺ قد ضربا أروع الأمثلة في صبر وحلم الدعاة إلى الله، وما أحوج الدعاة إلى الله إلى حلم يحجزهم عن الخوض مع السفهاء في سفههم وباطلهم»[٢].

٣- الكريم بن الكريم بن الكريم نبي الله يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام أجمعين:

• قال رسول الله ﷺ: **«رَحِمَ الله أخي يوسُف لو أنا أتاني الرسول بعد طول الحَبْس لأسرعتُ الإجابة حين قال: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾»**[٣].

□ قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعْدِي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف].

«وقال الملك لمن عنده: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾ أي: بيوسف عليه السلام بأن يخرجوه من السجن ويُحْضِروه إليه، فلمّا جاء يوسفَ الرسولُ، وأمره بالحضور عند الملِك؛ امتنع عن المبادرة إلى الخروج حتى تتبيَّن براءته التَّامَّة، وهذا من صبره وعقله ورأيه التام، فقال للرسول: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ يعني به الملك ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ أي: اسأله ما شأنهن

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٦٤٢- ٦٤٣).

(٢) «المرحومون في السُّنَّة» (٢١٧- ٢١٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «الزهد»، وابن المنذر عن الحسن مرسلًا، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (١٨٦٧)، و«صحيح الجامع» (٣٤٩١).

وقصّتهن؛ فإن أمرهنَّ ظاهر متَّضح ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾»[(١)].

يا لاستعلاء الإيمان وعظمة يوسف عليه السلام.

٤- هاجر أم إسماعيل عليهما السلام:

• قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**يَرْحَمُ الله أمَّ إسماعيلَ، لو تركتْ زمزَمَ – أو قال: لوْ لم تغرِفْ منَ الماءِ – لكانتُ عينًا معينًا» وأقبلَ جُرْهم فقالوا: أتأذنينَ أنْ ننزِلَ عندك؟ قالت: نعم، ولاحقَّ لكم في الماءِ، قالوا: نعم**»[(٢)].

روى البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أول ما اتخذ الناس المنطق من قِبَلِ أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتعفِّي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفَّى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٤٥٢)- للسعدي طبع دار ابن الجوزي.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع (٢٣٦٨، ٣٣٦٢، ٣٣٦٣، ٣٣٦٤، ٣٣٦٥) من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس بألفاظ مختلفة، مطولًا، ومختصرًا.

وقد أخرج الإمام أحمد (٥/ ١٢١)،وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٧١٣) وغيرهما من حديث جرير قال: سمعت أيوب يحدث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «إن جبريل حين ركض زمزم بعقبه جعلت أم إسماعيل تجمع البطحاء» قال النبي ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ هَاجَرَ، لوْ تَرَكَتْها كانتْ عَيْنًا مَعِينًا**».

مرارًا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يُضيِّعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثَّنِيَّةِ حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ حتى بلغ ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفِد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوَّى أو قال: يتلبَّط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا فلم ترَ أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «**فذلك سعي الناس بينهما**»، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمَّعت فسمعت أيضًا فقالت: قد أسمعتَ إن كان عندك غواث، فإذا هي بالمَلك عند موضع زمزم فبحث بعقبه -أو قال: بجناحه- حتى ظهر الماء، فجعلت تُحوِّضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «**يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم** -أو قال: **لو لم تغرف من الماء**- **لكانت زمزم عينًا معينًا**».

قال: فشربت، وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يُضيع أهله. وكان البيت مرتفعًا

من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جَرِيًا أو جريَّين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم.

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «**فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس**» فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشبَّ الغلام وتعلَّم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شبَّ فلما أدرك زوَّجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوَّج إسماعيل..»[1] . الحديث.

• وقال ﷺ: «**يرحم الله أم إسماعيل، لولا أنها عَجِلت لكانت زمزم عَيْنًا مَعينًا**»[2] .

موقف لأم إسماعيل تعجز كل الكلمات، وتعجز عنه كل رجالات الأرض.. موقف يشع منه نور اليقين والثقة بالله والتوكل على الله عز وجل وتفويض الأمور إليه..

لا تُدَبِّرْ لك أمرًا فأولو التدبير هلكى

---

(١) «صحيح الجامع» - كتاب الأنبياء (٣٣٦٤).

(٢) رواه البخاري، وأحمد (١/ ٢٥٣، ٣٤٧، ٣٦٠) عن ابن عباس، وأحمد (٥/ ١٢١) عن أُبيّ.

سَــــلِّمِ الأمــــرَ تجِــــدْنا نحــــن أَوْلَى بــــك منــــكَ

وصارت خطواتها بين الصفا والمروة رُكْنًا من أركان الحج.. فرحم الله أم إسماعيل.. فخر نساء الدنيا مَدى الأزمان والأيّام.

٥- الصديق الأكبر: أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أرحم أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في أمرِ الله عمرُ، وأصدقهم حياءً عثمانُ، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيُّ بن كعب، وأفرضُهم زيدُ بن ثابتٍ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذُ بنُ جبلٍ، ولكلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح»**[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٨٢)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧١٣١)، والحاكم (٣/ ٤٢٢)، والبيهقي (٦/ ٢١٠) جميعًا من حديث عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس به.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال أبو عبد الله الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا رحم الله الجميع.

وقد تابع عبد الوهاب على إسناده الثوري ووهيب.

فقد أخرجه أحمد (٣/ ١٨٤)، وفي «فضائل الصحابة» (٧١٦)، وابن ماجه (١٥٥)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١/ ٣٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٢٢)، والبيهقي (٦/ ٢١٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٩٩١)، والبغوي في «شرح السنَّة» (٣٩٣٠) من طريق سفيان الثوري، عن خالد به.

وأما رواية وهيب فقد أخرجها أحمد (٣/ ٢٨٠)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٣٥١)، والطيالسي (٢٠٩٦)،والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٣٨)، والبيهقي (٦/ ٢١٠) من طريق وهيب عن خالد الحذاء به.

=

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرأفُ أمَّتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في دين الله عمر، وأصدَقُهم حياءً عثمان، وأقضاهم عليٌّ، وأفرضهم زيدُ بن ثابت، وأقرؤهم أُبيٌّ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذُ بن جبلٍ، ألَا وإنّ لكُلِّ أُمَّةٍ أميناً، وأمين هذه الأمَّة أبو عبيدة بن الجرّاح**»[1].

□ وقد وقف الصدِّيق رضي الله عنه موقفًا تجلّت فيه رحمته وشفقته على أمة النبي ﷺ. وهو قتال مانعي الزكاة، والمرتدِّين؛ إذ لو تُرك هؤلاء لفُتح باب شر على الأمة جمعاء؛ فرحمها الله عز وجل بأبي بكر رضي الله عنه.

• وذلك أن النبي ﷺ لما قُبِض ارتدّ عامة العرب، إلَّا أهل مكة والمدينة، والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهَمَّ أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم، فكره ذلك أصحاب النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل

وهذه أسانيد في غاية الصحة، وقد تكلم بعض أهل العلم في أسانيده.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١١٧): إسناده صحيح، إلَّا أن الحافظ قالوا: إن الصواب في أوله الإرسال، والموصول منه ما اقتصر عليه البخاري والله أعلم. انتهى.

قال العلامة الألباني: علّة غريبة. اهـ.

وقد أخرج البخاري (٣٧٤٤) من حديث عبد الأعلى، ثنا خالد، عن ابن قلابة، ثني أنس ابن مالك في ذكر أبي عبيدة.

قال ابن بدران في «تهذيب تاريخ ابن عساكر» (٦/ ١٦٤): وقد أكثر الحافظ ابن عساكر في تخريج حديث: «لكل أمة أمين» حتى كاد أن يلحقه بالتواتر. انتهى.

والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٢٤)، و«صحيح الجامع» (٨٩٥).

(١) صحيح: رواه أبو يعلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٦٨)، و«السلسلة الصحيحة» (١٢٢٤).

الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فمَن قال: لا إله إلَّا الله، عصم مني ماله ونفسه إلَّا بحقه، وحسابه على الله** عَزَّ وَجَلَّ؟». فقال أبو بكر: فوالله لأقتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها[1].

□ وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلّد أبو بكر رضي الله عنه سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بدًّا من الخروج في أثره».

□ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كرهنا ذلك في الابتداء، ثم حمدناه في الانتهاء».

□ قال أبو بكر ابن عباس: «سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردّة»[2].

حالبُ الشياه للعجائز، والعاجن بيديْه خبز اليتامى:

□ قال ابن الجوزي عن الصديق رضي الله عنه: «إنه لما استُخلِف أصبح غاديًا إلى السُّوق، وكان يحْلُبُ للحَيِّ أغنامهم قبل الخلافة، فلما بُويع، قالت جاريةٌ من الحيِّ: الآن لا يحْلُبُ لنا. فقال: بل لأحْلُبَنَّها لكم، وإني لأرجو ألَّا يُغَيِّرني ما دخلتُ فيه»[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر.

(٢) انظر: «معارج القبول» (٤/ ٢٥٧- ٢٥٨).

(٣) «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ٤٠٠).

إنسان انتهى إليه كل ما في الإسلام من حنانٍ ونجدة وعطفٍ ورحمةٍ، خُلِق هكذا.. وخُلِق لهذا.

□ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم موته: «كنت للمؤمنين أبًا رحيمًا، صاروا عليك عيالًا.. كنتَ على الكافرين عذابًا صبًّا ولهَبًا، وللمؤمنين رحمةً وأنسًا وحِصنًا».

فرضي الله عن أرحم الأمة الصديق.

ومن رحمته عتقه لإخوته في الدين من أيدي الكافرين.

□ قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أعتق ابو بكر رضي الله عنه سبعةً مِمَّن كان يُعذَّب في الله عز وجل، منهم بلالٌ وعامرُ بن فُهَيرة»[1].

٦- الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

• قال رضي الله عنه: «كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعَيْط، فمرّ بي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: «**يا غلام، هل من لبن؟**» قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: «**فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟**» قال: فأتيته، فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها، فنزل اللبن، فحلبه في إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «**انقلصي**» فانقلصت، فقلت: يا رسول الله، علِّمني من هذا القول، فمسح رأسي وقال: «**يرحمك الله، إنك غلام مُعَلَّم**»[2].

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط الشيخيْن، ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩)، و(١/ ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٦٢)، وابن أبي شيبة (١١/ ٥١٠)، والطيالسي (٣٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٢٥)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٥٠٤، ٧٠٦١)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٥٦، ٨٤٥٧)، وفي «الصغير» (٥١٣) وغيرهم، جميعًا من طرق من حديث عاصم بن بهدلة، عن زر بن =

٧- الصحابي الجليل عامر بن الأكوع رضي الله عنه:

□ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلًا فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، ألا تُسمِعُنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلًا شاعرًا، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فاغفر فداءً لك ما أبقينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا

وألْقِيَنْ سكينةً علينا ... إنَّا إذا صيح بنا أبينا

وبالصياح عوَّلوا علينا

• فقال رسول الله ﷺ: «**مَن هذا السائق؟**» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «**يرحمه الله**»، قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به، فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة، ثم إن الله تعالى فتحها عليهم، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فُتِحت عليهم أوقدوا نيرانًا كثيرة، فقال النبي ﷺ: «**ما هذه النيران؟ على أي شيء توقدون؟**» قالوا: على لحم، قال: «**على أي لحم؟**» قالوا: لحم حُمُر الإنسية، قال النبي ﷺ: «**أهريقوها واكسروها**». فقال رجل: يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها، قال: «**أو ذاك**» فلما تصافَّ القوم كان سيف عامر قصيرًا فتناول

حبيش، عن ابن مسعود به.

قال الذهبي في «السير» (١/ ٤٦٥): هذا حديث صحيح الإسناد اهـ.

وعاصم بن أبي النجود حسن الحديث، ومن دونه كلهم قد توبعوا.

وقوله: «علمني من هذا القول»: يعني: القرآن، كما جاء مصرَّحًا به في بعض الروايات.

به ساق يهوديٍّ ليضربه ويرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه، قال: فلمَّا قفلوا قال سلمة: رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي قال: «**ما لك؟**» قلت له: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامرًا حبط عمله، قال النبي ﷺ: «**كذب مَن قاله إن له لأجرَيْن** – وجمع بين إصبعيه- **إنه لجَاهِدٌ مجاهِدٌ قلَّ عربيٌّ مشى بها مثله**»[1].

فرضي الله عن عامر، ورحمه، وقد فعل.

٨- الصحابي الجليل عبّاد بن بشر رضي الله عنه:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي ﷺ رجلًا يقرأ في المسجد، فقال: «**رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا**».

• وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة رضي الله عنها: تهجَّد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عبَّاد يصلي في المسجد، فقال: «**يا عائشة، أصوت عبَّاد هذا؟**» قلت: نعم، قال: «**اللهم ارحم عبَّادًا**»[2].

---

(١) رواه البخاري (٤١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع (٢٦٥٥، ٥٠٣٧، ٥٠٣٨، ٥٠٤٢، ٦٣٣٥).

وفي الموضع الأول زاد البخاري تعليق عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة في التصريح باسم عباد رضي الله عنه.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٥/ ٣١٤): وصله أبو يعلى من طريق محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة.

وأخرجه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» كما في «إتحاف المهَرة» (٢١٧٧٢)، وكذا «مختصر قيام الليل» للمقريزي.

وقال الحافظ كذلك في «الإصابة» (٢/ ٢٦٣): وفي الصحيح عن عائشة أن النبي ﷺ سمع صوت عباد بن بشر فقال: «اللهم ارحم عبادًا» فإما عني أنه حديث صحيح، =

٩- أمُّ سليم بنت ملحان رضي الله عنها:

• عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم، إلَّا على أزواجه، فقيل له، فقال: «**إني أرحمها؛ قتل أخوها معي**»[1].

١٠-الأنصار رضي الله عنهم:

• عن أبي سعيدٍ الخدري قال: لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبتَ، قسمتَ في قومك وأعطيتَ عطايا عظامًا في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء. قال: «**فأين أنت من ذلك يا سعد؟**» قال: يا رسول الله ما أنا إلَّا امرؤ من قومي وما أنا؟! قال: «**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة**» قال: فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردَّهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار.

قال: فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهلٌ، ثم قال: «**يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم وجِدَةٌ وجدتموها في**

هو في «الصحيح» معلقًا مجزومًا به.

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٢): وقال محمد بن إسحاق.. عن عائشة قالت: تهجّد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عبّاد فقال: «**اللهم اغفر له**».

(١) رواه البخاري (٢٨٤٤).

أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلَّالًا فهداكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بل الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل، قال: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟» قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المَنُّ والفضل؟ قال: «أمَا والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقْتُم وصُدِّقتُم، أتيتَنا مُكذَّبًا فصَدَّقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فأغنيناك، أوجَدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لُعاعةٍ من الدنيا تألَّفْتُ بها قومًا ليُسْلِمُوا وَوَكلتُكُم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكتُ شِعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قَسْمًا وحظًّا. ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرَّقنا[1].

١٠- الصحابي الأنصاري وأمرأته اللَّذان أكرَمَا ضيْفَهما:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «إني مجهود» فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلَّا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلَّا ماء، فقال: «مَن يُضيف هذا الليلة رحمه الله» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» في «مسند المكثرين» وهو في «الصحيحين» مختصرًا ومطوَّلًا.

فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلَّا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء فإذا دخل ضيفُنا فأطفئي السراج وأريه أنَّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»[١].

أحاديث طيبة في الرحمة:

من الرحمة الإحسان إلى الضعيف واعطاؤه حقه:

- قال رسول الله ﷺ: «**إني أُحَرِّج حق الضعيفَيْن: اليتيم والمرأة**»[٢].
- وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يُقدِّس [٣] أمَّة لا يأخذ الضعيف حقَّه من القوي، وهو غير مُتعتَعٍ [٤]**»[٥].
- وقال ﷺ: «**إن الله تعالى لا يُقدِّس أمَّة لا يُعطون الضعيف منهم حقّه**»[٦].
- وقال ﷺ: «**إنه لا قُدِّست أُمَّةٌ لا يأخذُ الضعيفُ فيها حقَّهُ غيرَ**

---

(١) رواه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٢) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن ماجه، وابن حبان، وكذا رواه أحمد عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (١٠١٥)، «وصحيح الجامع» (٢٤٤٧).

(٣) أي لا يُطهِّرها من الذنوب، ولا يُنزِّهها من المعايب.

(٤) أي: من غير أن يصيبه ما يزعجه.

(٥) صحيح: رواه البيهقي في «سننه» عن سفيان بن الحارث، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٥٧) و«تخريج المشكاة» (٣٠٠٤).

(٦) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٥٨)، و«تخريج المشكاة» (٣٠٠٤).

متَعْتع»[١].

رحمة الخدم والموالي والرقيقُ والإحسان إليهم وعِتقُهم:

• عن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما مَلكَتْ أيمانكم[٢]»[٣].

• وقال ﷺ: «الصلاةَ وما مَلكَتْ أيمانُكم، الصلاة وما ملكت إيمانُكُم»[٤].

• وقال ﷺ: «اتقوا الله في الصلاة، وما ملكتْ أيمانكم»[٥].

• وقال ﷺ: «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»[٦].

• وقال ﷺ: «لا تضربوا إماء الله»[٧].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي سعيد، والطبراني في «الكبير» عن معاوية، وابن مسعود، والبزار عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٢١).

(٢) يعني: من العبيد والإماء.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه عن علي، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٢٣٩)، و«صحيح الجامع» (٤٦١٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبّان عن أنس، ورواه أحمد، وابن ماجه عن أم سلمة، ورواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٧٣).

(٥) صحيح: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» عن علي، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢١٧٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥).

(٦) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» عن علي، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢١٧٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٦).

(٧) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، والدارمي، وابن حبّان عن إياس بن عبد الله بن أبي ذئاب، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٢٦١)، و«صحيح الجامع» (٧٣٦٠).

• وقال ﷺ: «إخوانكم خولُكُم(١)، جعلكم الله قنية(٢) تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يُكلِّفه ما يغلبه، فإن كلَّفه ما يغلبه فليُعِنْهُ»(٣).

• وقال ﷺ: «أرقَّاءَكم(٤) أرقَّاءكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، وإن جاؤوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تُعذِّبوهم»(٥).

• وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يُؤتَوْن أجرهم مرّتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه، وأدرك النبي ﷺ فآمن به، واتَّبعه وصدَّقه، فله أجْران، وعَبْدٌ مملوكٌ أدَّى حق الله وحقَّ سيِّده، فله أجران، ورجلٌ كانت له أَمَةٌ فغذَّاها فأحسن غذاءها، ثم أدَّبها فأحسن تأديبها، وعَلَّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوَّجها فله أجران»(٦).

• قال رسول الله ﷺ: «أجيبوا الدَّاعِي، ولا تردوا الهَدِيَّة، ولا تضربوا المسلمين»(٧).

---

(١) أي: خدمكم.

(٢) أي: مملوكين.

(٣) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أبي ذر.

(٤) أي: حافظوا على عبيدكم وأكرموهم.

(٥) حسن: رواه أحمد (٤/ ٣٥- ٣٦) عن يزيد بن حارث، ورواه أحمد، وابن سعد عن زيد بن الخطاب، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٧٤٠)، و«صحيح الجامع» (٩٠٥).

(٦) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي موسى.

(٧) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٦١٦)، و«صحيح الجامع» (١٥٨).

• وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أعطاه خادمًا ليخدمه: **«اذهب فإن في البيت ثلاثة، منهم غلامٌ قد صلَّى فخذه، ولا تضربهُ، فإنا قد نُهينا عن ضرب أهل الصلاة»**(١).

• وقال رسول الله ﷺ: **«كيف يُقدِّس الله أُمَّةً لا يأخذُ ضعيفُها حقَّهُ من قوِّيها، وهو غير مُتَعْتَعٍ؟»**(٢).

• وقال رسول الله ﷺ: **«كيف يُقدِّس الله أمَّةً لا يُؤخَذُ من شديدهم لضعيفهم؟»**(٣).

• وقال ﷺ: **«مَن فَرّق بين والدةٍ(٤) وولدها، فَرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»**(٥).

• وقال رسول الله ﷺ: **«مَن لايَمَكُم(٦) مِن خَدَمِكُم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ومن لا يلايمكم منهم، فبيعوه، ولا تعذِّبوا خَلْق الله»**(٧).

---

(١) حسن: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي أمامة، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٤٢٨)، و«صحيح الجامع» (٨٦٠).

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى، والبيهقي في «سننه» عن بريدة، ورواه ابن ماجه عن أبي سعيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٩٧).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وابن حبان عن جابر، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (٥٨)، و«صحيح الجامع» (٤٥٩٨).

(٤) أي: مِن نساء السَّبي.

(٥) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن أبي أيوب، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٣٦١)، و«صحيح الجامع» (٦٤١٢).

(٦) لا يمكم: أي وافقكم وساعدكم.

(٧) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود عن أبي ذر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٣٩)، «وصحيح الجامع» (٦٦٠٢).

• وقال ﷺ: «للملوك طعامُه وكِسْوَتُه، لا يُكَلَّفُ من العمل إلَّا ما يُطيق»[١].

• وقال ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة كانت فداؤه من النار»[٢].

• وقال رسول الله ﷺ: «عِتق النسمة[٣] أن تنفرد بعتقها، وفكُّ الرَّقبة أن تُعين في عتقها»[٤].

• وقال ﷺ: «أيُّما امرئٍ مُسلم أعتقَ امْرءً مسلِمًا فهو فكاكه من النار يُجزى بكُلِّ عظمٍ منه عظْمًا منه، وأيُّما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مُسلمة، فهي فكاكها من النار، يُجزى بكل عظم منها عظْمًا منها، وأيُّما امرئ مسلم أعتق امرأتيْن مسلمتيْن فهما فكاكُه من النار، يُجزَى بكُلِّ عظْمَيْن منها عَظْمًا منه»[٥].

ابن عمر رضي الله عنهما الرحيم يعتق ألف إنسان:

□ عن نافع قال: «ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان، أو زاد»[٦].

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والبيهقي في «سننه».

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي عن عمرو بن عبسة، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٥٠).

(٣) النَّفْس والروح.

(٤) صحيح: رواه الطيالسي عن البراء، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والطحاوي، والدارقطني، والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢/ ٤٧)، و«الصحيحة» (١٢٢٤)، و«صحيح الجامع» (٣٩٧٦).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه أبو داود، وابن ماجه، والطبراني في «الكبير» عن مرة بن كعب، ورواه الترمذي عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠٠).

(٦) انظر: «سير أعلام النبلاء» ترجمة عبد الله بن عمر (٣/ ٢٠٣- ٢٣٩)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ٢٥٧).

رحمة اليتامى والإحسان إليهم هم والأرامل والمساكين:

• قال رسول الله ﷺ: «أتحبُّ أن يلين قلبُك، وتُدرِكَ[(١)] حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامَكَ، يَلِنْ قلبُك وتدرك حاجتَك»[(٢)].

• وقال رسول الله ﷺ: «أدْنِ اليتيم منك، وألْطِفهُ، وامسح برأسه، وأطْعِمهُ من طعامِك، فإنَّ ذلك يلينُ قلبَك، ويدرك حاجتك»[(٣)].

• وقال ﷺ: «إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»[(٤)].

• وقال ﷺ: «أنا وكافِلُ اليتيم هكذا»[(٥)].

• وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم له أوْ لغيره في الجنَّة، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»[(٦)].

---

(١) أي: تظفر بها وتنالها.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٥٤)، و«صحيح الجامع» (٨٠).

(٣) حسن: رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» وابن عساكر عن أبي الدرداء، ورواه الضياء، والبيهقي وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٨٥٤)، و«صحيح الجامع» (٢٥٠).

(٤) حسن: رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق»، والبيهقي في «شعب الإيمان» وأحمد عن أبي هريرة، وحَسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٨٥٤)، و«صحيح الجامع» (١٤١٠).

(٥) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي عن سهل بن سعد.

(٦) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٧٦).

أبو المساكين رحيم القلب جعفر بن أبي طالب السيد الشهيد الطيّار ﷺ:

□ عن أبي هريرة ﷺ قال: «كُنّا نُسمِّي جعفرًا «أبا المساكين»، كان يذهب بنا إلى بيته، فإذا لم يجدْ لنا شيئًا، أخرج إلينا عُكَّة [1] أثرها عسل، فنشقُّها ونلعَقُها» [2].

أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية ﷺ:

□ قال الذهبي «السير»: «تدعى أيضًا: أم المساكين، لكثرة معروفها أيضًا» [3].

وهي أخت أم المؤمنين ميمونة لأُمها.

رحمة البنات والإحسان إليهنّ:

• قال رسول الله ﷺ: «**مَن عال [4] جاريتيْن حتى يُدْرِكا [5] دخلتُ أنا وهو الجنَّة كهاتيْن**» [6].

• وقال ﷺ: «**من كان له ثلاثُ بناتٍ، فصبَرَ عليهنَّ، وأطعمهنَّ، سقاهُنَّ، وكساهُنَّ من جِدَتهِ [7]، كُنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة**» [8].

---

(١) العُكَّة: ظرف السمن.

(٢) انظر ترجمة جعفر بن أبي طالب في «السير» (١/ ٢٠٦- ٢١٧)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ٣٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١٨).

(٤) أي: قام برعايتهن.

(٥) يبلغا.

(٦) رواه مسلم، والترمذي، والحاكم عن أنس.

(٧) أيْ: من ماله الذي بذل جهده في كَسْبه.

(٨) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه عن عقبة بن عامر، وصححه الألباني في «الصحيحة» =

• وقال ﷺ: «**من ابتُلي من هذه البنات بشيءٍ، فأحسن إليهنَّ، كُنَّ له سِتْرًا من النار**»[(١)].

يا له من دين لو أنّ لو رجالاً:

انظر إلى آثار الرحمة التي بثَّها الإسلام في نفوس أتباعه، وإلى العواطف الكريمة، والمشاعر النبيلة التي تفيض بالرِّفْق والمرحمة، وتتدفّق بالبِرِّ والخير، والتي تَجلَّت فيما عُرِف بنظام «الوقف الخيري» عند المسلمين.

□ وانظر إلى العجب العجاب في هذه الأمثلة التي كانت موجودة في ديار المسلمين وبلادهم ودولتهم:

وقف الزبادي:

وقف تُشترى منه صحاف الخزف الصيني، فكل خادم كُسِرَت آنيته، وتُعرِّض لغضب مخدومه، له أن يذهب إلى إدارة الوقف فيترك الإناء المكسور، ويأخذ إناءً صحيحًا بدلًا منه، وبهذا ينجو من غضب مخدومه عليه.

وقف الكلاب الضالة:

وقف في عدة جهات يُنفق من ريعه على إطعام الكلاب التي ليس لها صاحب استنقاذًا لها من عذاب الجوع، حتى تستريح بالموت أو الاقتناء.

وقف الأعراس:

وقف لإعارة الحُلِيِّ والزينة في الأعراس والأفراح،يستعير الفقراء منه ما يلزمهم في أفراحهم وأعراسهم، ثم يُعيدون ما استعاروه إلى مكانه.

---

(٢٩٣)، (١٠٢٧)، و«صحيح الجامع» (٦٤٨٨).

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن عائشة.

وبهذا يتيسر للفقير أن يبرز يوم عرسه بِحُلَّةٍ لائقة ولعروسه أن تُجلى في حُلَّةٍ رائقة، حتى يكتمل الشعور بالفرح، وتنجبر الخواطر المكسورة.

وقف الغاضبات:

وقف يُؤسس من ريعة بيت. ويُعَد فيه الطعام والشراب، وما يحتاج إليه الساكنون، تذهب إليه الزوجة التي يقع بينها وبين زوجها نفور، وتظل آكلة شاربة إلى أن يذهب ما بينها وبين زوجها من الجفاء وتصفو النفوس، فتعود إلى بيت الزوجية من جديد.

وقف مؤنس المرضى والغرباء:

وقف يُنفق منه على عدة مؤذنين، من كل رخيم الصوت حسن الأداء، فيُرتِلون القصائد الدينية طول الليل، بحيث يُرتِّل كلٌّ منهم ساعة، حتى مطلع الفجر، سعيًا وراء التخفيف عن المريض الذي ليس له من يُخَفِّف عنه، وإيناس الغريب الذي ليس له من يُؤنسه.

وقف خداع المريض:

وقف فيه وظيفة من جملة وظائف المعالَجة في المستشفيات، وهي تكليف اثنين من الممرضين أن يقفا قريبًا من المريض، بحيث يسمعهما ولا يراهما، فيقول أحدهما لصاحبه: ماذا قال الطبيب عن هذا المريض؟ فيرد عليه الآخر: إن الطبيب يقول: إنه لا بأس فهو مرجوٌّ البرء، ولا يوجد في علته ما يُشغل البال، وربما نهض من فراش مرضه بعد يومين أو ثلاثة أيام.

وهكذا سلك الواقفون كل مسالك الخير، فلم يدعوا جانبًا من جوانب الحياة دون أن يكون للخير نصيب فيه.

وبهذا إنما يصدرون عن إحساسات إنسانية عميقة، تنفذ إلى مواطن

الحاجة التي تعرض للناس في كل زمان ومكان.

ولا شك أن العقيدة هي صاحبة الفضل في خلق هذه الأحاسيس الرقيقة، وإيقاظ تلك المشاعر السامية التي تنبهت لتلك الدقائق، في كل زاوية من زوايا المجتمع وكل منحى من مناحي الحياة، ولم يكفهم أن يكون برهم مقصورًا على حياتهم القصيرة، فأرادوا صدقة جارية، وحسنة دائمة، يُكتب لهم أجرها ما بقيت الحياة وبقي الإنسان»[(١)].

«أما المؤسسات الخيرية لإقامة التكافل الاجتماعي، فقد كانت عجبًا من العجب، فهناك مؤسسات للُّقطاء واليتامى لختانهم ورعايتهم، ومؤسسات للمقعدين والعميان والعجزة، يعيشون فيها موفوري الكرامة لهم كل ما يحتاجون من سكن وغذاء ولباس وتعليم أيضًا.

وهنالك مؤسسات لتحسين أحوال المساجين ورفع مستواهم وتغذيتهم بالغذاء الواجب لصيانة صحتهم، ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن يقودهم ويخدمهم.

ومؤسسات لتزويج الشباب والفتيات العزّاب ممن تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات الزواج وتقديم المهور.. فما أروع هذه العاطفة وما أحوجنا إليها اليوم!.

□ ومنها مؤسسات لإمداد الأُمّهات بالحليب والسكَّر، وهي أسبق في الوجود من جمعية نقطة الحليب عندنا، مع تمحُّضها لخير الخالص لله عَزَّ وَجَلَّ، وقد كان من مَبَرَّات صلاح الدين أنه جعل في أحد أبواب القلعة - الباقية حتى الآن في دمشق - ميزابًا يسيلُ منه الحليب، وميزابًا آخر يسيل منه الماء

---

(١) «الإيمان والحياة» (ص٢٨٦ - ٢٨٧) للدكتور يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة.

المذاب فيه السكر تأتي إليه الأمهات يومين في كل أسبوع ليأخذن لأطفالهن وأولادهن ما يحتاجون إليه من الحليب والسكر..»[١].

ومن الرحمة صِلة الأرحام:

• قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم**»[٢].

• وقال ﷺ: «**أرحامكم أرحامكم**»[٣].

• وقال ﷺ: «**إن الله تعالى خَلَق الخلْق، حتى إذا فرغ مِن خلْقه قامت الرَّحِم، فقال: مَهْ**[٤] **قالت: هذا مقام العائذ**[٥] **بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضيْنَ أن أَصِلَ من وصلك، وأن أقطع من قطعَكِ؟ قالت: بلى يا رب! قال: فذلك لك**»[٦].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إن الرَّحِم شُجْنة**[٧] **آخذة بحُجْزة**[٨] **الرحمن،**

(١) «من روائع حضارتنا» للدكتور مصطفى السباعي (ص٩٨- ٩٩)- طبع دار السلام.

(٢) حسن: رواه أبو يعلى عن رجل من خثعم، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٦).

(٣) صحيح: رواه ابن حبّان في «صحيحه» عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٨)، و«صحيح الجامع» (٨٩٤).

(٤) مَهْ: استفهام، معناه: ما تقولين؟.

(٥) أي: هذامقام المستجير بك.

(٦) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

(٧) متشابكة متماسكة.

(٨) الحجزة: الوسط، وهو موضع شد الإزار، والمعنى التجأت إليه واعتصمت واستجارت به.

تصل من وصلها، وتقطع من قطعها»[١].

• وقال ﷺ: «بلُّوا [٢] أرحامكم ولوْ بالسَّلام»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «الرَّحِم شجنة من الرحمن، قال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته»[٤].

• وقال ﷺ: «الرَّحِم مُعَلَّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومَن قطعني قطعه الله»[٥].

• وقال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا خلقت الرحم، وشققت[٦] لها اسمًا من اسمي، فمن وصلَها وَصَلْتُه، ومن قطعَها قطعْتُه، ومَن بتَّها بَتَتُّه»[٧].

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» عن ابن عباس، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٦٠٢)، و«صحيح الجامع» (١٦٢٩).

(٢) المراد: صِلوها بما يجب أن يُوصَل به.

(٣) حسن: رواه البزار عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير» عن أبي الطفيل، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس وسويد بن عمرو الأنصاري، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٣٨).

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة وعن عائشة.

(٥) رواه مسلم عن عائشة.

(٦) المراد: أخذت لها اسمًا من اسمي.

(٧) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، والترمذي، والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٠)، و«صحيح الجامع» (٤٣١٤).

رحمة الحيوان والرِّفق به:

• قال رسول الله ﷺ: «إذا سافرتم في الخصب[١] فأعطوا الإبل حظها من الأرض[٢]، وإذا سافرتم في السَّنة[٣] فأسرعوا عليها السير، وإذا عرَّستم[٤] بالليل فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدواب. ومأوى الهوام[٥] بالليل»[٦].

• وقال رسول الله ﷺ: «إذا سرتم في أرض خصبة فأعطوا الدواب حظَّها، وإذا سرتم في أرض مجدبة فانجوا[٧] عليها، وإذا عرَّستم فلا تعرَّسوا على قارعة الطريق[٨]، فإنها مأوى كل دابة»[٩].

• وقال ﷺ: «إنهُ عُرضتْ عليَّ الجنةُ والنارُ، فقرُبَتْ مني الجنَّةُ، حتى لقدْ تناوَلتُ منها قِطْفًا[١٠]، قصُرتْ[١١] يَدي عنهُ، وعُرِضَتْ عليَّ النَّارُ

---

(١) أي: بأرضٍ فيها نبات وعشب.

(٢) أي: من نبات الأرض؛ تأكله.

(٣) أي: بالأرض التي انعدم النَّبْت فيها أوْ قَلّ.

(٤) أي: نزلتم للراحة والنوم.

(٥) الحشرات.

(٦) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة.

(٧) أسرعوا عليها.

(٨) أوسطه وأعلاه.

(٩) صحيح: رواه البزار عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٥٧)، و«صحيح الجامع» (٥٩٩).

(١٠) عُنقودًا.

(١١) أي: عجزت عنه فلم تبلغه.

فَجعلْتُ أتأَخَّرُ رَهبةً أن تَغْشاني [١]، ورأيتُ امرأةً حِميَرِيَّةً سَوداءَ طَويلةً [٢]، تُعذَّبُ في هرَّةٍ [٣] لها ربَطتْها، فلمْ تُطعِمْها، ولم تَسقِها، ولم تَدعْها تأكلُ منْ خَشاشِ [٤] الأرضِ، ورأيتُ فيها أبا ثمامةَ عَمرو بنَ مالكٍ يَجرُّ قُصبهَ [٥] في النارِ، وإنهمْ كانوا يقولونَ: إنَّ الشَّمسَ والقمرَ لا يَنكسفانِ إلَّا لموتِ عظيمٍ، وإنهُما آيتانِ مِنْ آياتِ الله، يُريكمُوهما، فإذا انكَسَفا فصلُّوا حتى تَنجَلي [٦]» [٧].

• وقال رسول الله ﷺ: «يا أيُّها الناسُ! إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آياتِ الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أَحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلوا حتى تنجلي، إنه ليس من شيءٍ توعدَونه إلَّا وقد رأَيتُه في صلاتي هذه، ولقد جيءَ بالنار حِين رأيتُموني تأخرتُ مخافة أن يصيبَني من لفْحها [٨]، حتى قلتُ: يا ربِّ وأنا فيهم؟ ورأيت فيها صاحبَ المِحجَن، يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار، كان يسرق الحاجَّ بمحجنه، فإن فُطِن به قال: إنما تعلَّق بمحجني! وإن غُفِل عنه ذَهب به، حتى رأَيتُ فيها صاحبةَ الهِرَّة التي ربطتها فلم تُطعِمها، ولم تتركها تأكلْ من خشاش الأرض

---

(١) أي: تصيبني وتُحيط بي.

(٢) حمير: قبيلة باليمن.

(٣) هرَّة: قِطّة.

(٤) حشرات الأرض، وصغار الطير.

(٥) أمعاءَه.

(٦) تظهر وتنكشف.

(٧) رواه مسلم عن جابر.

(٨) حرِّها ووهجِها.

حتى ماتت جوعًا»[(١)].

• وقال رسول الله ﷺ: «لا تُمَثِّلُوا بالبهائم»[(٢)].

• وقال ﷺ: «عرِضت عليَّ الجنَّةُ، حتى لوْ مدَدْتُ يدي تناولتُ من قطوفها، وعُرِضت عليَّ النارُ، فجعلْت أنفخُ خشيةَ أنْ يغْشاكم[(٣)] حرُّها، ورأيتُ فيها سارقَ بدنة[(٤)] رسول الله، ورأيتُ فيها أخا بني دعدَع سارقَ الحجيجِ[(٥)]، فإذا فُطِنَ[(٦)] له قال: هذا عملُ المحجنِ[(٧)]، ورأيتُ فيْها امرأةً طويلةً سوداءَ تعذَّب في هرَّةٍ ربطتها، فلم تُطعمها، ولم تسْقِها، ولم تدَعها تأكُلُ من خُشاش الأرض حتْى ماتت، وإنَّ الشَّمسَ والقَمر لا ينكسِفان لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكنَّهما آيتانِ من آيات الله، فإذا انكسف أحدهما فاسعوا إلى ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ»[(٨)].

• وقال رسول الله ﷺ: «في الكبدِ الحارَّةِ[(٩)] أجرٌ»[(١٠)].

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن جابر.

(٢) صحيح: رواه النسائي، عن عبد الله بن جعفر، وابن عساكر عن ابن عمر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٣١)، و«صحيح الجامع» (٧٤٥١).

(٣) يصيبكم.

(٤) بقرة أو ناقة.

(٥) الحُجّاج.

(٦) تُنُبِّه له.

(٧) المحجن: عصا غليظة ملتويّة العنق كالسِّنَّارة.

(٨) صحيح: رواه النسائي عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٠١).

(٩) الحيوان الحي الذي لم نُؤمر بقتله، الذي عطش من شدَّة الحرِّ.

(١٠) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن سراقة بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٤٧)، و«صحيح الجامع» (٤٢٥٤).

• وقال رسول الله ﷺ: «قد دنَتْ مِنِّي الجنَّةُ، حتى لو اجترأتُ عليْها[١] لجِئتُكم بقُطَافٍ منْ قُطافِها، ودَنت منِّي النارُ حتى قلتُ: أيْ رَبِّ وأنا معهم؟ فإذا امرأةٌ تَخدِشُها[٢] هِرَّةٌ، قلتُ: ما شَأنُ هذهِ؟ قالوا: حبَسَتْها حتى ماتَت جُوعًا، لا هيَ أطعمتْها، ولا أرسلتها تأكُلُ منْ خُشَاشِ الأرضِ»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجلٌ يمشِي بطرِيق اشتدَّ عليه العطش، فوجدَ بِئرًا فنزلَ فيها، فشرِبَ منها، ثمَّ خرجَ، فإذا هو بكلبٍ يلهثُ[٤]، يأكلُ الثرى[٥] منَ العطشِ، فقال: لقدْ بلغَ هذا الكلبَ منَ العطشِ مِثلُ الذي بلغَ بي، فنزلَ البِئرَ، فملأ خُفَّهُ ماءً، ثمَّ أمسكَ بفيهِ، ثمَّ رَقَى[٦]، فسقَى الكلبَ، فشكر الله، فغفر لهُ، في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبَةٍ أجرٌ[٧]»[٨].

• وقال رسول الله ﷺ: «غُفِرَ لامرأةٍ مُومِسةٍ[٩]، مرَّتْ بكلبٍ على رأس رَكيٍّ[١٠] يلهثُ، كادَ يقتُلُه العطشُ، فنَزعتْ خُفَّها فأوثقته بخِمارِها،

---

(١) أيْ: أقدمتُ عليها.

(٢) تجرحها فتشق جلدها.

(٣) رواه البخاري عن أسماء بنت أبي بكر.

(٤) يُخرج لسانه من شدّة العطش.

(٥) التراب.

(٦) صعد وعلا.

(٧) كل حيوان لم يُؤمَر بقتله، به رطوبة الحياة.

(٨) رواه مالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود عن أبي هريرة.

(٩) زانية.

(١٠) بئر.

فنَزَعَت [١] له من الماءِ، فغُفِرَ لها بذلك» [٢].

• وقال رسول الله ﷺ: «عُذِّبت امرأةٌ في هرَّةٍ؛ حبستها حتى ماتتْ جوعًا، فدَخلتْ فيها النار، قال الله: لا أنتِ أَطْعَمْتِيها ولا سقيْتِيها حين حبسْتيها، ولا أنتِ أرسلْتيها [٣]، فأكلَتْ منْ خَشاشِ الأرضِ» [٤].

• وقال رسول الله ﷺ: «عُذِّبت امْرأةٌ في هِرٍّ ربطتهُ، حتى مات، ولم تُرْسلهُ فيأكلَ من خَشاش الأرضِ، فوجبت لها النارُ بذلك» [٥].

• وقال رسول الله ﷺ: «دخلتِ امرأةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ ربطتْها؛ فلمْ تطعِمهَا، ولمْ تدعْها تأكلُ مِنْ خَشاشِ الأرضِ؛ حتَّى ماتتْ» [٦].

• وقال رسول الله ﷺ: «لعنَ الله مَنْ مثَّلَ [٧] بالحيوانِ» [٨].

• وقال ﷺ: «لقدْ دنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ، حتَّى لو اجترأتُ عليها لجِئتُكمْ بقِطَافٍ منْ قِطافِها، ودَنتْ مني النارُ حتى قُلتُ: أيْ رَبِّ! وأنَا فيهِمْ؟ ورأيتُ امرأة تَخدِشُها هِرَّةٌ لها، فقُلتُ: ما شَأنُ هذهِ؟ قالَ: حبَسَتْها حتَّى

---

(١) أخرجت.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة، وكذا رواه أحمد، ومسلم.

(٣) تركتيها.

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن ابن عمر، والدارقني في «الأفراد» عن أبي هريرة.

(٥) صحيح: رواه أحمد عن جابر، وصححه الألباني في «الإرواء» (٦٥٦)، و«صحيح الجامع» (٣٩٩٦).

(٦) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه البخاري عن ابن عمر.

(٧) نكّل به وشوَّهه.

(٨) رواه أحمد،والبخاري، ومسلم، والنسائي عن ابن عمر.

ماتَتْ جُوعًا، لا هيَ أَطعمَتْها، ولَا هيَ أرسلَتها تأكُلُ منْ خَشَاشِ الأرضِ»(١).

• وقال ﷺ: **«لكَ في كلِّ ذاتِ كبدٍ حرَّى أجرٌ»**(٢).

• وقال رسول الله ﷺ: **«مَن رَحِم ولو ذبيحة عُصفورٍ، رحمه الله يوم القيامة»**(٣).

□ عن أنس بن مالك ﵁ قال: «إذا أخصبت الأرض فانزلوا عن ظهركم، وأعطُوه حقَّهُ من الكَلأ، وإذا أجدبت الأرض فامضوا عليها، وعليكم بالدلجة؛ فإن الأرض تُطوى من الليل»(٤).

□ وعن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: **«إيَّاكُم أن تتَّخذوا ظهور دوابكم منابر؛ فإن الله – تعالى- إنما سخَّرها لكم لتبلغكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالِغيه إلَّا بشقِّ الأنفس، وجعل لكم الأرض؛ فَعَلَيْها فاقضوا حاجاتكم»**(٥).

• وعن أبي الدرداء ﵁ عن النبي ﷺ قال: **«لو غُفِر لكم ما تأتون إلى**

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه عن أسماء بنت أبي بكر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٣١).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن مخول السلمي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٥٦).

(٣) حسن: رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «الكبير» والضياء في «المختارة» عن أبي أمامة، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٧)، و«صحيح الجامع» (٦٢٦١).

(٤) صحيح: انظر: «السلسلة الصحيحة» (٦٨٢).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، والبيهقي في «سننه»، وابن عساكر عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢)، و«صحيح الجامع» (٢٦٩١).

البهائم لغُفِر لكم كثير»[١].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان العباس يسير مع النبي ﷺ على بعير قد وسمه في وجهه بالنار، فقال: «**ما هذا المِيْسَمُ يا عبّاس؟!**» قال: ميسم كُنَّا نَسِمُه في الجاهلية. فقال: «**لا تسموا بالحريق**»[٢].

• وعن يحيى بن سعيد: أن رسول الله ﷺ رُؤِيَ وهو يمسحُ وجه فرسِه بردائه، فسُئِل عن ذلك؟ فقال: «**إني عُوتبت الليلة في الخيل**»[٣].

رِفْق الإسلام بالحيوان ورحمته تدعو للعجب والدهشة:

* يا لعِظَم الإسلام حين يُقرر لعالم الحيوان خصائصه وطبائعه وشعوره ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] فله حق الرفق والرحمة كحق الإنسان.

• قال ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[٤].

• وقال ﷺ: «**مَن أُعْطِي حظَّه من الرِّفْق، فقد أُعْطي حَظَّهُ من الخيْر، ومَنْ حُرِم حَظَّهُ من الرِّفْقِ، فقد حُرِم حظَّهُ من الخير**»[٥]، وجعل الرحمة بالحيوان قد تُدخِل صاحبها الجنة، كما أن القسوة عليه تُدخِل النار كما مَرّ

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير»، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٥١٤)، و«صحيح الجامع» (٥٢٧٤).

(٢) صحيح: انظر: «السلسلة الصحيحة» (٣٠٥).

(٣) صحيح: انظر: «السلسلة الصحيحة» (٣١٨٧).

(٤) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن جرير، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٣٨١).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذي عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥١٩) و(٨٧٤) و«صحيح الجامع» (٦٠٥٥).

في الأحاديث السابق ذكرها.

• وتمضي الشريعة في تشريع الرحمة بالحيوان، فتحرِّم المُكث طويلًا على ظهره وهو واقف، فقد قال ﷺ: «**اركبوا هذه الدوابَّ سالمة، وابتدعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي**»[1].

• وتُحرِّم إجاعته وتعريضه للضّعف والهزال، فقد مرّ ﷺ ببعير قد لصق ظهر ببطنه فقال: «**اتقوا الله في البهائم المعجمة، فاركبوها صالحةً، وكلوها صالحة**»[2].

كما يحرِّمُ الإسلامُ إرهاقَ الحيوان بالعملِ فوقَ ما يتحمَّل.

• عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أَرْدَفني رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ فَأَسَرَّ إليَّ حديثًا لا أحدِّث به أحدًا من النَّاس، وكان أحبُّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا[3] أو حائشَ نخلٍ، قال: فدخل حائطًا لرجلٍ من الأنصار فإذا جملٌ، فلمَّا رأى النبيَّ ﷺ حَنَّ وذَرَفَتْ عيناهُ، فأتاهُ النبيُّ ﷺ فمسح ذِفْرَاهُ[4]، فقال: «**منْ رَبُّ هذا الجملِ. لمنْ هذا الجمل؟**». فجاء فتًى من الأنصارِ فقال: لي يا رسول الله. فقال: «**أفلا تتَّقِي الله في هذه**

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» عن معاذ بن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١)، و«صحيح الجامع» (٩٠٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن خزيمة، وابن حبان عن سهل بن الحنظلية، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣)، و«صحيح الجامع» (١٠٤).

(٣) الهدف: ما ارتفع من بناءٍ ونحوه.

(٤) ذفراه: ذفري البعير: الموضع الذي يعرق من قفاه.

البهيمَةِ التي ملَّكَكَ اللهُ إيَّاها، فإنَّه شَكَى إليَّ أنَّك تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ [(١)] » [(٢)].

• ونهى عن اتخاذ الحيوان هدفًا لتعليم الإصابة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا شيئًا فيه الرُّوحُ غرضًا**» [(٣)].

• ونهى عن وسمها في وجوهها بالكيّ بالنار، فقد قال ﷺ: «**لعنَ اللهُ مَن يَسِمُ في الوَجْه**» [(٤)].

وما أروع هذه الرحمة بالحيوان:

• اسمعوا ما أروع هذه الرحمة بالحيوان وأبلغ دلالتها على روح حضارتنا. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنا مع رسول الله في سفر، فرأينا حُمَّرة – طير يشبه العصفور – معها فرخان لها، فأخذناهما فجاءت الحمّرة تعرّش – ترفرف بجناحيها –، فلما جاء رسول الله ﷺ قال: «**من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها**». ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال: «**من أحرق هذه؟**» قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلّا رب النار**» [(٥)].

---

(١) تُتْعِبَهُ وتشقيه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه» (٢٥٤٩)، وقال الأرناؤوط في «جامع الأصول» (٤/ ٥٢٧): «إسناده صحيح وهو عند مسلم بدون قصة الجمل».

(٣) رواه مسلم، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عباس.

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، ورواه مسلم، وأبو داود وابن حبان عن جابر. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٤٩)، و«صحيح الجامع» (٥١١٠).

(٥) صحيح: رواه أبو داود عن ابن مسعود، ومسلم عن كعب بن مالك، صحح الألباني حديث أبي داود في «الصحيحة» رقم (٢٥)، (٤٨٧)، و«صحيح الجامع» (٢٤٢٥).

وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر بالبال، فهم يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإن امتنع أجبر على بيعه أو الإنفاق عليه، أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه، أو ذبحه إذا كان مما يؤكل. وقد ذهبوا إلى ما هو أبعد من هذا، فقال بعضهم: «إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف». ومنعوا من تحميل الحيوان أكثر مما يطيق، ورتبوا على هذا نتائج حقوقية في حق من استأجر حيوانًا للحمل أو الركوب فحمّله أكثر مما يستطيع، فألزموه بضمان ثمنه لمالكه. وتعرضوا لمقدار ما يستطيع البغل والحمار حمله، ومن الطريف أن بعض الفقهاء قدر لكل منهما مقدارًا لم يرض فقيهًا آخر، فعقب على ذلك بقوله: لعمري إن هذا إنصاف للبغل وإجحاف كبير بالحمار. أما جناية الحيوان على غيره، فهي جبار، أي مهدرة، فالحيوان لا يعاقب بما جنى على غيره، وإنما يعاقب صاحبه إذا فرط في حفظه وربطه.

هذه هي مبادئ الرفق بالحيوان في حضارتنا وتشريعنا. فكيف كان الواقع التطبيقي لها؟.

• بينما رسول الله ﷺ في بعض سفره، إذ سمع امرأة من الأنصار تلعن ناقة لها وهي تركبها. فأنكر ذلك عليها وقال: «**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة**»، وأُخذت الناقة وتركت تمشي في الناس لا يعرض لها أحد[1].

• وقال ﷺ: «**لا وأَيمُ الله، لا تصاحبنا راحلة عليها لعنة**»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم عن أبي بردة.

□ ومر عمر برجل يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له: «ويلك قُدْها إلى الموت قودًا جميلًا».

وهكذا كان طابع حضارتنا رفقًا بالحيوان وعناية به من قبل الدولة والمؤسسات الاجتماعية.

أما عناية الدولة فليس أدل على ذلك من أن خلفاءنا كانوا يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان ومنع الأذى عنه والإضرار به.

فقد أذاع عمر بن عبد العزيز في إحدى رسائله إلى الولاة أن ينهوا الناس عن ركض الفرس في غير حق.

وكتب إلى صاحب السكك – وهي وظيفة تشبه مصلحة السير– أن لا يسمحوا لأحدٍ بإلجام دابَّته بلجام ثقيل، أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة.

وكان من وظيفة المحتسب – وهي وظيفة تشبه في بعض صلاحياتها وظيفة الشرطي في عصرنا الحاضر– أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق، أو تعذيبها وضربها أثناء السير، فمن رآه يفعل ذلك أدَّبه وعاقبه: «ويجبرهم المحتسب على فعل ذلك لما فيه من المصلحة، ولا يحمّلون الدواب أكثر من طاقتها، ولا يسوقونها سوقًا شديدًا تحت الأحمال، ولا يضربونها ضربًا قويًّا، ولا يوقفونها في العراص –الساحات العامة– وعلى ظهورها أحمالها؛ فإن هذا كله نهت الشريعة المطهرة عن فعله. وعليهم أن يراقبوا الله عَزَّ وَجَلَّ في علف الدابة وعليقها، ويكون موفرًا عليها بحيث يحصل به الشبع، ولا يكون مبخوسًا ولا نزرًا».

وأما المؤسسات الاجتماعية: فقد كان للحيوان منها نصيب كبير.

وحسبنا أن نجد في ثبت الأوقاف القديمة أوقافًا خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافًا لرعي الحيوانات المسنة العاجزة. ومنها أرض المرج الأخضر – التي يقام عليها الآن الملعب البلدي بدمشق- فإنها وقف للخيول العاجزة التي يأبى أصحابها أن ينفقوا عليها لعدم الانتفاع بها، فترعى في هذه الأرض حتى تموت. ومن أوقاف دمشق وقف للقطط تأكل منه وترعى وتنام، حتى لقد كان يجتمع في دارها المخصصة لها مئات القطط الفارهة السمينة التي يقدم لها الطعام كل يوم وهي مقيمة لا تتحرك إلَّا للرياضة والنزهة.

وهذا كله يدلك على روح الشعب الذي بلغ من الرفق بالحيوان إلى هذا الحد وهو ما لا تجد له مثيلًا. ولعل أصدق أمثال عن روح الشعب في ظل حضارتنا، أن ترى صحابيًّا جليلًا كأبي الدرداء يكون له بعير فيقول له عند الموت: «يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك».

□ وأن صحابيًّا كعدي بن حاتم كان يفتّ الخبز للنمل ويقول: «إنهن جارات لنا ولهن علينا حق».

□ وأن إمامًا كبيرًا كأبي إسحاق الشيرازي كان يمشي في طريق ومعه بعض أصحابه، فعرض له كلب فزجره صاحبه فنهاه الشيخ وقال له: «أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه؟»[1].

وبضدِّها تتبيَّن الأشياء.. أين حضارة الإسلام من ظُلُماتِ الغرب:

«لا نستطيع أن نقدِّر هذه الظاهرة البارزة في حضارتنا وموقفها الإنساني الكريم مع الحيوان إلَّا إذا عَلِمنا كيف كان يعامل الحيوان في

(١) «من روائع حضارتنا» (ص٨٧- ٨٩).



العصور القديمة والوسطى، وكيف كان موقف الأمم منه ومِن جناياته وتعذيبه.

وأول ما يلفت النظر في ذلك أنك لا تجد في تعاليم تلك الشعوب ما يحمل على الرفق بالحيوان ووجوب الرحمة به. ومن ثم فلا تجد له حقوقًا على صاحبه من نفقة ورعاية.

ويلفت النظر بعد ذلك أخذ الحيوان بجنايته إذا جنى أو جنى صاحبه، ومعاملته في المسؤولية كمعاملة الإنسان العاقل المفكر! وهذا أغرب ما تضمنه تاريخ العصور القديمة والوسطى حتى القرن التاسع عشر، فقد كان الحيوان يحاكم فيها كما يحاكم الإنسان. ويحكم عليه بالسجن والتشريد والموت كما يحكم على الإنسان الجاني تمامًا!.

ففي شرائع اليهود: «إذا نطح ثور رجلًا أو امرأة وأفضى ذلك إلى موت النطيح، وجب رجم الثور، وحرم أكل لحمه ولا تبعة على مالكه إذا لم يكن الثور معتادًا النطح، فإذا كان ذلك من عادته، وأنذر الناس صاحبه فلم يعبأ بإنذارهم وأهمل رقابته حتى تسبب في هلاك رجل أو امرأة، كان جزاء الثور الرجم وجزاء صاحبه الإعدام».

وهناك حالة ثانية يعاقب فيها الحيوان في شرائع اليهود، وهي ما إذا واقع رجل أو امرأة بهيمة وجب قتل الحيوان والرجل أو المرأة معًا.

وفي شرائع قدماء اليونان: كانت عندهم محكمة خاصة لمحاكمة الحيوانات والجمادات المتسببة في هلاك إنسان، وكان يطلق على هذه المحكمة اسم «البريتانيون» وهو اسم المكان الذي كانت تعقد جلساتها فيه. ومما ذكره أفلاطون في كتابه القوانين: إذا قتل حيوان إنسانًا كان

لأسرة القتيل الحق في إقامة دعوى على الحيوان أمام القضاء، ويختار أولياء الدم القضاة من المزارعين. وفي حال ثبوت الجريمة على الحيوان يجب قتله قصاصًا، وإلقاء جثته خارج البلاد، ويستثنى من ذلك القتل الناشئ عن مبارزة بين الإنسان والحيوان في مسرح الألعاب العمومية، فإن هذا لا يترتب عليه شيء. وإذا سقط جماد على إنسان فقتله، اختار أقرب الناس إلى القتيل قاضيًا من جيرانه ليحكم على الجماد أن ينبذ خارج الحدود، ولم تكن مسؤولية الحيوان عندهم قاصرة على حالات القتل، بل هو مسؤول كذلك في الجنايات التي دون القتل. فإذا عض كلب إنسانًا وجب على صاحب الكلب أن يسلم كلبه إلى المجني عليه مكمومًا ومشدودًا في الوثاق يثأر لنفسه منه كيف يشاء، بالقتل أو التعذيب أو غيرهما. وكذلك كان الحيوان عندهم يُعاقب على جناية سيده أو أسرته في بعض الحالات، فمن حُكِم عليه بالإعدام لجريمة ارتكبها ضد الدين أو الدولة كان هو وأسرته وحيواناته وممتلكاته محكومًا عليها بالحرق أو التدمير أو المصادرة.

أما قدماء الرومان: فقد تضمنت شرائعهم مادة تقضي بعقوبة الإعدام على الثور وصاحبه إذا نقل الثور أثناء الحرث الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاور له. وأقرت عقوبة الكلب الذي يعض إنسانًا بوجوب التخلي عنه للمعضوض يتصرف فيه كما يشاء، وكذلك إذا رعى الحيوان عشبًا غير مملوك لصاحبه.

وكذلك الحال عند قدماء الجرمان من عقوبة الحيوان كما كان عند الرومان واليونان.

أما عند قدماء الفرس: فالأمر أعجب وأطرف، ذلك أن الكلب

المصاب بالكَلَب إذا عض خروفًا فقتله، أو إنسانًا فجرحه، تقطع أذنه اليمنى، فإن تكرر ذلك منه قطعت أذنه اليسرى، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى، وفي الرابعة تقطع رجله اليسرى وفي الخامسة يستأصل ذنبه!.

وعند الأمم الأوربية في العصور الوسطى: كانت فرنسا أول أمة أوربية مسيحية أخذت في القرن الثالث عشر بمبدأ مسؤولية الحيوان ومعاقبته بجرمه أمام محاكم منظمة بنفس الطرق القانونية التي يحاكم فيها الإنسان. ثم أخذت به سردينيا في أواخر القرن الرابع عشر. ثم بلجيكا في أواخر القرن الخامس عشر. وفي هولندا وألمانيا وإيطاليا والسويد في منتصف القرن السادس عشر. وظل العمل به قائمًا عند بعض شعوب الصقالبة حتى القرن التاسع عشر!.

كانت محاكمة الحيوان عند الأوربيين تقوم على ادعاء المجني عليه أو النيابة العامة، ثم يتقدم وكلاء الدفاع عن الحيوان المجرم، وقد تقضي المحكمة بحبس الحيوان احتياطيًّا! ثم يصدر الحكم بعد ذلك وينفذ على ملأ من الجمهور كما كان ينفذ في الإنسان. وقد يكون الحكم بإعدام الحيوان رجمًا أو بقطع رأسه أو بحرقه، أو بقطع بعض أعضائه قبل إعدامه، ولا يظنن أحد أن هذه المحاكمة كانت هزلية للتسلية، بل كانت جدية تمامًا، بدليل ما يرد للأسباب الموجبة للحكم على الحيوان من مثل قولهم: «يحكم بإعدام الحيوان تحقيقًا للعدالة» أو «يقضى عليه بالشنق جزاء لما ارتكبه من جرم وحشي فظيع!» ومن طريف ما يذكر هنا أن من الأسباب التي كانت تحمل الأوربيين على رفع القضايا على الحيوان: تعديه على قوانين الطبيعة في نظرهم، فكان يتهم بالسحر وهي جريمة كان

مرتكبوها يُعاقبون بالإحراق بالنار، وكانوا يحتفلون احتفالًا كبيرًا بتنفيذ العقوبات على الحيوان، فيأتي الجلَّادون بقطع من الحطب، ويضعونها في وسط أحد الميادين، وتحضر القطط المحكوم عيها، كل هرة في قفص من حديد وعندما يحين وقت تنفيذ العقوبة يحضر بعض القساوسة يصحبهم بعض الحكام، فيتقدم أحدهم وفي كلتا يديه شعلتان من نار لإشعال الحطب، ثم يأمر أحد الحكام بقذف القطط في النار حتى تصبح رمادًا عقوبة لها على ممارستها السحر!»[(١)].

□ يقول الدكتور مصطفى السباعي: «إن حضارتنا امتازت بأمرَيْن لا مثيل لهما عند الأمم القديمة وبعض الأمم الحديث اليوم:

أولهما: إقامة مؤسسات اجتماعية للعناية بالحيوان وتطبيبه وتأمين معيشته عند العجز والمرض والشيخوخة.

ثانيهما: أن حضارتنا خلت من محاكمة الحيوان لأنها نادت برفع المسؤولية الجنائية عنه قبل ثلاثة عشر قرنًا من مناداة الحضارة الحديثة بذلك. كما أن حضارتنا خلت من مظاهر القسوة والتحريش بين الحيوانات، وهي التي كانت معترفًا بها رسميًّا لدى اليونان والرومان، ولا تزال معترفًا بها في أسبانيا حيث تقام الحفلات الكبرى لمصارعة الثيران، وهي بلا شك وحشية من بقايا وحشية الغربيين القدماء وفي العصور الوسطى.. قد تنزهت عنها حضارتنا»[(٢)].

---

(١) «من روائع حضارتنا» (ص٨٩- ٩٠).

(٢) المصدر السابق (ص٩٣).

عمرو بن العاص رضي الله عنه وحمامة (أو يمامة) الفسطاط:

□ يروى المؤرخون أن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه – خيمته- فاتخذت من أعلاه عشًّا، وحين أراد عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يهيِّجها بتقويضه، فتركه وتكاثر العمران من حوله فكانت مدينة الفسطاط».

□ قال الرافعي أديب الإسلام: «وشاع الخبر أنه [١] لما أمر بفسطاطه أن يُقوَّض أصابوا يمامة قد باضت في أعلاه، فأخبروه فقال: «قد تحَرَّمَت في جوارنا، أَقِرُّوا الفسطاط حتى تطير فراخها فأقرُّوه!!».

على فُسطاط الأمير يمامةٌ جاثمة تَحْضُن بيضَها

تركها الأميرُ تصنَعُ الحياة، وذهبَ هو ليصنع الموت!

يمامة سعيدة، ستكونُ في التاريخ كهُدْهُد سليمان،

نُسِب الهدهدُ إلى سليمان، وستنسبُ اليمامةُ إلى عمرو [٢].

أحاديث من رياض النُّبُوَّة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أَتَى أحدَكُم خادِمه بطعامِهِ قدْ كفاهُ علاجُه ودخانُه فليُجلسه معه، فإنْ لم يجلسه معه فليتناوله أكلةً أوْ أكلتين**»[٣].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إذا أتى أحدكم خادِمُهُ بطعامٍ قد وَلِيَ**

(١) أي عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) «وحي القلم» للرافعي (١/ ٢٤، ٢٥) – دار الكتب العلمية.

(٣) رواه أحمد البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

حَرَّهُ ومشقّته ومُؤْنَتَهُ فليُجلسهُ معه، فإن أبى فليُناولْهُ أَكْلَةً في يده»[١].

• وقال رسول الله ﷺ: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم، ومَنْ لا يَغفِر لا يُغفَرِ له، ومن لا يتُب لا يُتَب عليه»[٢].

• وقال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم لا يُرْحَم، ومن لا يَغفِرْ لا يُغفَر له»[٣].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث سريَّةً فغنموا وفيهم رجل، فقال لهم: إني لستُ منهم، عشقت امرأة فلحقتها، فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدالكم، فنظروا فإذا امرأة طويلة أدماء فقال لها: أسلمي حبيش قبل نفاذ العيش..

أرأيت لو تبعتكم فلحقتكم ... بحلية أو أدركتكم بالخوانقِ

أما كان حقٌّ أنْ يُنَوَّل عاشقٌ ... تكلفَ إدلاج السُّرَى والودائقِ

قالت: نعم فدَيْتك، فقدَّموه فضربوا عنقَه، فجاءت المرأة فوقفت عليه، فشهقت شهقة ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أُخبِر بذلك، فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رحيم؟!»[٤].

• عن رباح بن ربيع رضي الله عنه قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فرأى

---

(١) صحيح: انظر: «السلسلة الصحيحة» (١٢٨٥)، (٢٥٦٨).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن جرير، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٠٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن جرير، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٩٩).

(٤) صحيح: انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٥٩٤).

الناس مجتمعين على شيء، فبعث رجلًا فقال: «**انظر علام اجتمع هؤلاء؟**» فجاء فقال: امرأة قتيل. فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل!**». قال: وعلى المقدِّمة خالد بن الوليد رضي الله عنه، فبعث رجلًا فقال: «**قل لخالد: لا يقتلنَّ امرأة ولا عسيفًا**»[١].

• وعن طارق الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قل اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافِني، وارزقني، فإنَّ هؤلاء تجمعُ لك دُنْيَاكَ وآخرتك**»[٢].

• أن النبي صلى الله عليه وسلم: «**نهى عن المُثْلة**[٣]»[٤].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نهى عن قتل النساء والصبيان**»[٥].

• وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «**نهى عن قتل الصَّبر**»[٦].

• عن أبي عنبة الخولاني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن لله آنيةً من أهل الأرض، وآنيةُ ربِّكم قلوب عباده الصالحين، وأحبُّها إليه ألينُها وأرقُّها**»[٧].

---

(١) صحيح: انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٠١).

(٢) رواه أحمد، ومسلم، وابن ماجه.

(٣) تشويه القتيل.

(٤) صحيح: رواه الحاكم عن عمران، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وعن المغيرة، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٢٣٠)، و«صحيح الجامع» (٦٨٩٩).

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان عن أبي أيوب، وكذا رواه أحمد ومسلم عن جابر.

(٧) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٦٩١)، =

• وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «إنه من أُعطِي حظه من الرِّفْق، فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يُعَمِّران الديار، ويزيدان في الأعمار»[١].

• وعن عبيد الله بن معمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما أُعْطِيَ أهلُ بيتٍ الرِّفْق إلَّا نفعهم، ولا منعوه إلَّا ضَرَّهُم»[٢].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «المملوك أخوك؛ فإذا صنَعَ لك طعامًا فَأَجلِسه مَعَك، فإِنْ أَبَى فأَطْعِمْهُ، ولا تضربوا وُجُوهَهُم»[٣].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعَّانًا»[٤].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي لصِدِّيق أن يكون لعَّانًا»[٥].

• وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة ارفقي؛ فإن الله إذا أراد بأهلِ بيتٍ خيرًا دلَّهم على باب الرِّفْق»[٦].

و«صحيح الجامع» (٢١٦٣).

(١) صحيح: انظر: «الصحيحة» رقم (٥١٩).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٢)، و«صحيح الجامع» (٥٥٤١).

(٣) صحيح: انظر: «الصحيحة» (٢٥٢٧).

(٤) صحيح: انظر: «الصحيحة» رقم (٢٦٣٦).

(٥) رواه أحمد، ومسلم، والبخاري في «الأدب المفرد».

(٦) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٦/ ١٠٤)، والمنذري (٢/ ٢٦٢). وقال: رواه أحمد والبزار من حديث جابر ورواتها رواة «الصحيح» وقال الهيثمي في «المجمع»

وفي رواية: «**إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا دَلَّهم على الرِّفق**».

الرحمة والرأفة، والشفقة والرِّقة:

الرحمة:

□ تدور مادَّةُ (رح م) حول معنى الرِّقَّة والعطف والرَّأفة، يقول ابن فارسٍ: «الرَّاءُ والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرقَّة والعطف والرَّأفة. يقال من ذلك رحِمهُ يرحَمُه إذا رَقَّ له وتعطَّفَ عليه، والرُّحْمُ والمرْحمةُ والرَّحْمَةُ بمعْنًى»[1].

□ ويقول الجوهري: «الرحْمَةُ: الرِّقَّةُ والتَّعطُّفُ. والمَرْحمةُ مثله، وقد رحمته وترحَّمتُ عليه، وتَراحَمَ القومُ: رَحِمَ بعضهم بعضًا.. ورجُلٌ مرْحُومٌ ومُرَحَّمٌ، شُدِّد للمبالغة والرُّحم بالضمة: الرَّحْمةُ. قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾ [الكهف]»[2].

الرأفة لغةً:

□ مصدر قولهم: رَؤُفَ به يرْؤُفُ رأفةً ورآفـةً وهو مأخـوذٌ من مـادَّةِ (ر أ ف) التي تدُلُّ كما يقول ابن فارسٍ على الرِّقَّةِ والرَّحْمةِ، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]، وقرئَتْ رآفةٌ، والرَّأفةُ أشدُّ الرَّحْمة، وقيل: هي أرقُّ من الرَّحمة، ولا تكادُ تقع في الكراهةِ، والرَّحمةُ قد تقع في

(١٩/٨): «رواه أحمد ورجال الثانية رجال «الصحيح»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٣١).

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٤٩٨).

(٢) «الصِّحاح» للجوهري (٥/ ١٩٢٩) رحم.

الكراهةِ للمصلحة، يقول أبو زيدٍ: رؤُفْتُ بالرجُل أرؤُفُ رأفةً ورآفةً، ورأفْتُ به أرْأُفُ (كذلك) ورئِفْتُ به رأَفًا، قال: كلٌّ من كلام العرب[1] والرَّؤوفُ اسمٌ للمولى ﷻ وصفةٌ من صفات رسوله الكريم ﷺ.

الرَّؤوفُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى:

□ من صفات الله ﷻ التي سُمِّيَ بها «الرَّؤوفُ» ومعناها الرحيم لعباده العطوفُ عليهم بألطافه، وفيه لغتان قرأَ بهما جميعًا: «رؤوفٌ على فعول، وهي قراءةُ أهل المدينة ورؤُفٌ على فَعُلٍ، فمن الأول قول كعبِ بن مالكٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه:

نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبًّا ... هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفًا

□ ومن الثَّاني قول جريرٍ:

يَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ حَقًّا ... كَفِعْلِ الْوَالِدِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

□ فالله ﷻ هو الرَّؤوفُ لأنَّهُ المتناهي في الرَّحْمة بعباده لا راحمَ أرْحَمُ منه ولا غاية وراء رَحْمتهِ، وقد يقال أيضًا: «رَأْفٌ» بسكون الهمزةِ، ومن ذلك قول الشاعر:

فَآمِنُوا بِنَبِيٍّ لَا أَبَا لَكُمُ ... ذِي خَاتَمٍ صَاغَهُ الرَّحْمَنُ مَخْتُومِ

رَأْفٍ رَحِيمٍ بِأَهْلِ الْبِرِّ يَرْحَمُهُمْ ... مُقَرَّبٍ عِنْدَ ذِي الْكُرْسِيِّ مَرْحُومِ

□ ونقل ابن منظورٍ عن الفرَّاءِ أنه يقال أيضًا: «رَئِفٌ بِكَسْر الهمزةِ»[2].

---

(١) «مقاييس اللغة» (٢/ ٤٧١)، و«الصحاح» (٤/ ١٣٦٢).

(٢) «الصحاح» (٤/ ١٣٦٢)، و«لسان العرب» (١٥٣٤) ط. دار المعارف.

□ وقال الغزاليُّ: «الرَّؤُفُ (معناه) ذو الرَّأْفةِ، والرَّأْفةُ شدَّةُ الرَّحمة»[١].

□ وقال ابن الأثير: «هو الرَّؤُوف بعباده العطوف عليهم بألطافه»[٢].

الرؤوف من صفة المصطفى ﷺ والمؤمنين:

* جاء وصف النبي ﷺ بالرَّءُوف والرحيم في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

□ فالرَّؤوفُ (هنا) شديد الرَّحْمة، و«الرحيم» الذي يريد لهم الخير، وقيل: رؤوفٌ بالطَّائعين ورحيمٌ بالمذنبين.

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «سمَّاهُ «المولى» باسمين من أسمائه، وفي الجمع بينهما دلالةٌ على أنَّ في كلٍّ منهما معنًى ليس في الآخر على نحو ما ذكرهُ أهلُ العلمِ».

□ يقول النيسابُوريُّ: «ومن رأْفَتِه ﷺ أنَّه أَمَرَ بالرِّفقِ كما قال: إن هذا الدِّين متينٌ فأوْغِلْ فيه برفْقٍ ومن رحمته قيل له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهاهنا نكتةٌ وهي أنَّ رأفتهُ ورحمته لما كانت مخلوقةً اختُصَّت بالمؤمنين فقط، وكانت رأفتُه عز وجل ورحمته للناس عامَّةً ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة] وهناك نكتَةٌ أخرى هي أنَّ رحمته ﷺ عامَّةٌ للعالمين وأما رحمته المضمومة إلى الرَّأفةِ فخاصَّةٌ بالمؤمنين، وكأنَّ الرَّأفة إشارةٌ إلى ظهور أثر الدعوة في حقِّهم فالمؤمنون أُمَّةُ الدعوةِ

(١) «المقصد الأسنى» (١٤٠).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (٢/ ١٧٦).

والإجابة جميعًا وغيرهم أمَّةُ الدَّعوة فقط»[١].

الرأفة اصطلاحًا:

□ قال الكفويُّ: «الرَّأفةُ مبالغةٌ في رحمةٍ مخصوصةٍ هي رفع المكروه وإزالةُ الضُرِّ»[٢].

بين الرحمة والرأفة:

□ قال بعض العلماء: الرحمة هي أن يوصِّل إليك المسارَّ، والرَّأفةُ هي أنْ يدفع عنك المضارَّ، والرَّأفةُ إنما تكون باعتبار إفاضةِ الكمالاتِ والسعادات التي بها يستحقُّ الثَّوابَ، والرَّحمة من باب التَّزكيةِ والرَّأفة منْ باب التخْليَةِ، وذكر الرحمة بعد الرَّأْفةِ مُطَّرِدٌ في القرآن الكريم لتكون أعمَّ وأشمل»[٣].

□ وقال ابن الأثير: «الرَّأْفةُ أرَقُّ من الرَّحمةِ، ولا تكادُ تقع في الكراهةِ، والرحمةُ (قَدْ) تقعُ في الكراهةِ للمصلحةِ»[٤].

الشفقة لغةً:

□ هي الاسم من الإشفاقِ، وكذلك الشَّفقُ وهي مأخوذَةٌ من مادَّةِ (ش ف ق) التي تدُلُّ -كما يقول ابن فارسٍ- على رِقَّةٍ في الشيءِ فمنْ ذلك قولهم: أشفقتُ من الأمر إذا رَقَقْتُ وحاذَرْتُ، وربما قالوا: شَفِقْتُ، وقال

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٥٢١)، و«غرائب القرآن» للنيسابوري «بهامش الطبري» (١١/ ٤٦).

(٢) «الكليات» للكفوي (ص٣٧٨).

(٣) المرجع السابق.

(٤) «النهاية» (٢/ ١٧٦).

أكثر أهل اللغة: لا يُقال إلَّا أشفقت وأنا مُشْفِقٌ «وشَفِيقٌ».

□ وقال ابن منظورٍ: «الشَّفَقُ والشَّفقة: الخيفة من شدَّةِ النُّصْح والشَّفَقُ أيضًا الشفقة، وهو أنْ يكون الناصحُ – من عدم بلوغِ النُّصْح خائفًا على المنصوحِ، والشَّفِيقُ: النَّاصِحُ الحريصُ على صلاح المنصوح. والشَّفَقُ والشَّفقة أيضًا رِقّةٌ من نُصْحٍ أو حُبٍّ يؤدي إلى خوف»[1].

اصطلاحًا:

□ قال الرَّاغبُ: «الإشفاقُ «والشَّفقةُ» عنايةٌ مختلطةٌ بخوفٍ؛ لأن المشفق يحبُّ المشفَقَ عليه، ويخافُ ما يلحَقُه (من أذًى) فإذا عُدِّي بـ «مِنْ» فمعنى الخوْفِ فيه أظهر، وإذا عُدِّيَ بـ «في» فمعنى العناية فيه أظهرُ»[2].

□ وقال المناويُّ: «الشَّفَقَةُ: صرفُ الهمَّةِ إلى إزالةِ المكرُوهِ عن الناس»[3].

الرفق لغةً:

□ أصل المادَّة يدلُّ على موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عنفٍ، يقول ابن فارس: «الرَّاءُ والفاءُ والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عنْفٍ، فالرِّفق خلافُ العُنْفِ. وفي الحديثِ: «**إن الله – جَلَّ ثَنَاؤُهُ – يُحِبُّ الرِّفق في**

---

(١) «مقاييس اللغة» (٣/ ١٩٧)، و«الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥٠١)، و«لسان العرب» (ص٢٢٩٢)، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٨٧).

(٢) «المفردات» للراغب (٢٦٤)، وإلى مثل هذا ذهب كل من الكفوي في «الكليات» (٤٦٩)، والفيروزأبادي في «بصائر ذوي التمييز» (ص٣٣)، إلا أنهما ذكرا «على» بدلًا من «في» لمعنى العناية، ولا تعارض بين الرأيَيْن؛ لأن الفعل أشفق يُعَدَّى بكليْهما للأمر نفسه.

(٣) وإلى مثل هذا ذهب الجرجاني في «التعريفات» (١٢٧).

الأمرِ كلِّهِ»، هذا هو الأصل، ثم يُشْتَقُّ منه كلُّ شيءٍ يدعو إلى راحةٍ وموافقةٍ. يقال: رفق بالأمر، وله، وعليه يرفقُ رِفْقًا، ورفُقَ يرْفُقُ، ورَفِقَ «الرجلُ»: لَطُفَ، ورفق بالرَّجُل وأرْفق بمعنًى، حكاهُ أبو زيدٍ، وكذلك ترفَّق به، ويقال: أرْفقتُهُ: أيْ نفعْتُهُ، وأولاه رافِقَةً أيْ رفْقًا، وهو به رفيقٌ: لطيفٌ».

□ ويقول اللَّيثِ: «الرِّفْقُ: لين الجانب، ولطافةُ الفعل، وصاحبه رفيقٌ، وقد رفق يرفق، وإذا أمرْتَ قلت: رِفْقًا، ومعناه: ارْفقْ رفقًا، ويقول ابن الأعرابيِّ: «رفَقَ: انتظَرَ، ورفُقَ: إذا كان رفيقًا بالعمل، ويقولُ أبو زيدٍ: «رفق الله بك ورفق عليك رفقًا ومرفقًا، وأرْفقك الله إرفاقًا، وفي حديث المزارعةِ: نهانا عن أمرٍ كان بنا رافقًا، أي ذا رفقٍ، والرِّفْقُ: لين الجانب وهو خلافُ العُنفِ، وفي الحديث: «**ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زَانَهُ**». وفي الحديث: «**في إرْفَافِ ضَعِيفِهِمْ وسَدِّ خَلَّتِهِمْ**»، أي: إيصال الرِّفْق إليهم، وفي الحديث الآخر: «**أنْتَ رَفيقٌ والله الطَّبِيبُ**»، أي ترْفُقُ بالمريض وتتلطَّفُه والله الذي يُبرئه ويعافيه.

والرِّفقُ والمرفقُ والمرفِقُ: ما استُعِينَ به، وقد ترفَّقَ به وارتفَق، وفي التنزيل: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف]»[1].

□ وقال في «النهاية»: «وفي حديث الدعاء: «**وألحقْني بالرَّفيقِ الأعلى**».

الرَّفيقُ: جماعة الأنبياءِ الذين يسكنُونَ أعلى علِّيِّين وهو اسمٌ جاء على فعيلٍ، ومعناه الجماعةُ كالصديق والخليطِ يقعُ على الواحدِ والجمع، وقيل معناه: أي بالله عَزَّوَجَلَّ يُقال: «اللهُ رَفِيقٌ بِعبادِهِ»، من الرِّفْقِ والرَّأفَةِ فهو فعيلٌ

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ٤١٨)، و«القاموس» (٣/ ٢٣٦).

بمعنى فاعلٍ»[١].

واصطلاحًا:

هو لينُ الجانبِ بالقول والفعل والأخذُ بالأسهل، وهو ضدُّ العُنْفِ[٢].

حقيقة الرفق:

□ قال الغزاليُّ في «الإحياءِ»: «اعلم أنَّ الرِّفقَ محمودٌ ويضادُّهُ العُنْفُ والحدَّةُ. والعُنْفُ نتيجةُ الغضبِ والفظاظَةِ، والرِّفقُ واللِّينُ نتيجةُ حسن الخلق والسلامة، وقد يكون سبب الحدَّةِ الغضب وقد يكون سببها شدَّةُ الحرص واستيلاؤُهُ بحيث يدهشُ عن التَّفكُّر ويمنع من التثبُّتِ فالرِّفقُ في الأمور ثمرةٌ لا يُثْمِرُها إلَّا حسن الخلق، ولا يحسِّنُ الخلق إلَّا بضبطِ قوَّةِ الغضب وقوَّةِ الشَّهْوةِ وحفظهما على حَدِّ الاعتدالِ. ولأجلِ هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرِّفق وبالغ فيه».

□ قال سفيان الثَّورِيُّ لأصحابِهِ: «تدْرُونَ ما الرِّفْقُ؟. قالوا: قل يا أبا محمدٍ، قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشِّدَّةُ في موضعها واللِّينُ في موضعه والسيفُ في موضعه والسوطُ في موضعه». وهذه إشارةٌ إلى أنَّه لا بدَّ من مزْجِ الغلظَةِ باللِّينِ والفظاظةِ بالرِّفقِ، كما قِيل:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

---

(١) «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٢٤٦)، و«لسان العرب» لابن منظور (١٠/ ١١٨)، و«الصحاح» (٤/ ١٤٨٢).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٤٩) و«دليل الفالحين» لابن علان (٣/ ١٩).

فالمحمودُ وسطٌ بين العنفِ واللِّينِ كما في سائرِ الأخلاقِ، ولكن لَمَّا كانت الطِّبَاعُ إلى العنْفِ والحدَّةِ أميل كانت الحاجةُ إلى ترْغيبهم في جانب الرِّفْقِ أكثر، فلذلك كثر ثناءُ الشرع على جانب الرِّفق دونُ العُنْفِ(١).

□ وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعديُّ: «ومن أسمائه تعالى: «الرَّفِيقُ» في أفعاله وشرعه. ومن تأمَّل ما احتوى عليه شرعه من الرِّفْقِ وشرع الأحكام شيئًا بعد شيءٍ وجريانها على وجهِ السَّدَادِ واليُسْر ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة إذ خلق الخلق أطْوارًا ونقلهم من حالةٍ إلى أخرى بحكمٍ وأسرارٍ لا تُحيطُ بها العقول، وهو تعالى يُحِبُّ من عباده أهل الرِّفقِ، ويُعْطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العُنفِ. والرِّفقُ من العبدِ لا يُنَافي الحزْمَ، فيكون رفيقًا في أموره متأَنِّيًا، ومع ذلك لا يفوِّتُ الفرصَ إذا سنحتْ، ولا يُهْمِلُها إذا عرضت»(٢).

* قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

مع الرأفة في القرآن الكريم:

* قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٨٤ - ١٨٥).

(٢) «توضيح الكافية الشافية» (٢٣).

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ [الحج].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد].

الرؤوف صفة النبي ﷺ:

* قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة].

النهي عن الرأفة في حدود الله:

* قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور].

الرأفة من صفة المؤمنين من أتباع المسيح عليه السلام:

* قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد].

الأحاديث الواردة في الرِّفق:

• عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة إن الله رفيق**

يحبُّ الرِّفق في الأمر كله»[١].

• وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **«يا عائشة! إن الله رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفق، ويُعطي على الرفق مالا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه»**[٢].

• عن عائشة رضي الله عنها أنَّ يهودَ أتوُا النبيَّ ﷺ، فقالوا: السَّامُ عليكم. فقالت عائشة رضي الله عنها: عليكم ولعنكُمُ الله وغضب الله عليكم. قال: **«مهلًا يا عائشة عليك بالرِّفْقِ وإيَّاكِ والعُنْفَ والفُحْشَ»**. قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟. قال: **«أو لمْ تسمَعِي ما قلتُ؟! ردَدْتُ عليهم فيُستَجابُ لي فيهم ولا يُستجابُ لهم فيَّ»**[٣].

• عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«إن الرِّفق لا يكون في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلَّا شانَهُ»**[٤].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: **«اللَّهُمَّ من وليَ منْ أمْر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه، ومنْ وليَ من أمرِ أمَّتِي شيئًا فرفقَ بهم فارْفُقْ بِهِ»**[٥].

• عن جريرٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ»**[٦].

• عن ظهيرِ بن رافعٍ رضي الله عنه قال: لقد نهانا رسولُ ﷺ عن أمرٍ كان بنا رَافِقًا. قلت: ما قال رسول الله ﷺ فهو حقٌّ. قال: دعاني رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٠).

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) رواه مسلم(١٨٢٨).

(٦) رواه أحمد ومسلم (٢٥٩٢)، وأبو داود، وابن ماجه.

قال: «**مَا تَصْنَعُونَ بِمَحَاقِلِكُمْ؟**». قلتُ: نؤَاجِرُها على الرَّبيع [1] وعلى الأَوْسُقِ من التمر والشَّعير. قال: «**لا تفعلوا ازرَعوها أو أَزْرِعُوها أَوْ أمسِكُوها**». قال رافعٌ: قلتُ: سمعًا وطاعةً [2].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في مسيرٍ له، فحَدا الحادي. فقال رسول الله ﷺ: «**ارْفقْ يا أَنْجَشَةُ ويْحَكَ بالقوارِيرِ**» [3].

• وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساءٌ من قريشٍ يكلِّمْنَهُ ويستكثِرْنَهُ عاليةً أصواتهنَّ، فلما استأذن عمر قُمْن يبْتَدِرنَ الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يضحَكُ فقال عمر رضي الله عنه: أضحك الله سِنَّكَ يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**عَجِبْتُ من هؤلاء اللاتي كُنَّ عندي، فلما سمِعْنَ صوتك ابْتَدَرْنَ الحجَابَ**». قال عمر: فأنت يا رسول الله أَحَقُّ أن يهبنَ. ثم قال عمر: أي عدُوَّاتِ أنفسهنَّ أتهبْنني ولا تهَبْنَ رسول الله ﷺ. قلن: نعم. أنت أغلظُ وأفظُّ منْ رسول الله ﷺ! قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيدهِ ما لَقِيكَ الشيطَانُ قَطُّ سَالِكًا فجًّا إلَّا سلكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ**» [4].

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أخبر رسول الله ﷺ أنَّه يقول: لأقومَنَّ الليل ولأَصومَنَّ النهار ما عِشْتُ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أنت الذي تقولُ ذلك؟**». فقلت له: قد قلتــه يا رسول الله. فقال رسول الله

---

(١) الربيع: النهر.

(٢) رواه البخاري (٢٣٣٩).

(٣) رواه البخاري (٦٢٠٩).

(٤) رواه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦) واللفظ له.

ﷺ: «**فإنك لا تَسْتَطيع ذلك فصُمْ وأفْطِر، ونَمْ وقُمْ، وصُمْ من الشَّهْر ثلاثة أيام، فإنَّ الحسنةَ بعشْرِ أمثالها وذلك مثلُ صيامِ الدَّهْرِ**». قال: قلتُ: فإنِّي أُطِيقُ أفضل من ذلك. فقال: «**صمْ يومًا وأفطِرْ يومينِ**». قال: قلت: فإنِّي أُطيقُ أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: «**صمْ يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيامُ داودَ عليه السلامُ: وهو أعْدَلُ الصِّيام**». قال: قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال رسول الله ﷺ: «**لا أفضل من ذلك**». قال عبد الله ابن عمرٍو رضي الله عنهما: لأن أكون قبِلتُ الثلاثة الأيامِ التي قال رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ منْ أهْلِي ومَالي [(١)].

• عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: أخبرني من هو خيرٌ منِّي أنَّ رسول الله ﷺ قال لعمَّارٍ حين جعل يحفرُ الخندقَ وجعل يمسحُ رأسَهُ ويقولُ: «**بُؤْسَ ابنِ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ فِئَةٌ باغيَةٌ**» [(٢)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أصابني جهدٌ شديدٌ، فلقيتُ عمر بن الخطاب فاستقْرَأْتُهُ آيةً من كتاب الله، فدخل دارَهُ وفتحها عليَّ فمشَيْتُ غير بعيدٍ فخرَرْتُ لوجهي من الجهْدِ والجُوعِ، فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ على رأسي فقال: «**يا أبا هريرة**». فقلت: لبيْكَ رسول الله وسعْدَيْكَ، فأخذ بيدي فأقامَنِي وعرف الذي بي، فانْطلق بي إلى رحْلِهِ، فأمر لي بِعُسٍّ منْ لبنٍ فشرِبْتُ منه ثم قال: «**عُدْ فاشْرَبْ يا أبا هرٍّ**». فعدت فشَرِبْتُ، ثم قال: «**عُدْ**». فعدتُ فشرِبْتُ حتى استوى بطنِي فسار كالْقِدْحِ [(٣)]، قال: فلقيتُ

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١٥٩) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٢٩١٥).

(٣) القِدْح: السهم الذي لا ريش له.

عمر وذكرت له الذي كان من أمري، وقلتُ له: تَولَّى ذلك من كان أحقَّ به منك يا عمر، والله لقد استقْرَأتكَ الآية ولأنا أقْرأُ لها منك. قال عمر: والله لأنْ أكُونَ أدخلتُكَ أحَبُّ مِنْ أنْ يكون لي مثلُ حُمْرِ النَّعَمِ[1].

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركمْ بمَنْ يحْرُمُ على النَّار، وبِمَنْ تَحْرُم عليه النار، على كُلِّ قريب هَيِّن سَهْلٍ**»[2].

وفي رواية: «**بمن تحرم عليه النار غدًا؟ على كل هين، ليِّنٍ قريب سهل**»[3].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ أعرابيًّا بالَ في المسجد فثارَ إليه الناس ليقَعُوا به فقال لهم رسول الله ﷺ: «**دَعوه وأهريقُوا على بوله ذنوبًا منْ ماءٍ أو سَجْلًا**[4] **من ماءٍ، فإنما بُعثتم مُيَسِّرين ولم تُبْعَثُوا معسِّرينَ**»[5].

• عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ دخل عليها وعندها امرأةٌ، قال: «**من هذه؟**». قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «**مَهْ عليكم بِمَا تُطِيقُونَ فو الله لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تملُّوا وكان أحَبُّ الدِّينِ إليه ما داوم عليه صاحِبُهُ**»[6].

---

(١) رواه البخاري (٥٣٧٥).

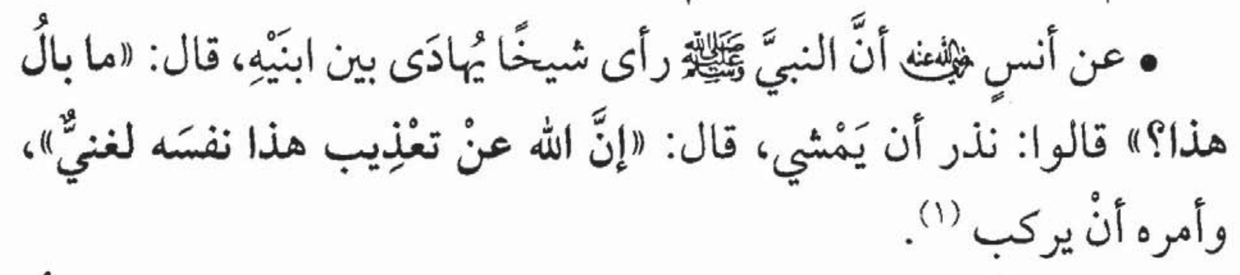
(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٨٨) وقال: حديث حسن صحيح، وقال الأرناؤوط في تحقيق «جامع الأصول» (١١/٦٩٨) وهو كما قال. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٥).

(٣) صحيح: رواه أبو يعلى عن جابر،والترمذي، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٨)، و«صحيح الجامع» (٣٦٠٩).

(٤) السَّجْل: الدلوْ المملوءة الكبيرة.

(٥) رواه البخاري (٦١٢٨).

(٦) البخاري (٤٣).



• عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ رأى شيخًا يُهادَى بين ابنَيْهِ، قال: «**ما بالُ هذا؟**» قالوا: نذر أن يَمْشي، قال: «**إنَّ الله عنْ تعْذِيب هذا نفسَه لغنيٌّ**»، وأمره أنْ يركب (١).

• عن عثمان بن أبي العاص الثقفيِّ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال له: «**أُمَّ قوْمَكَ**». قال: قلت: يا رسول الله، إنِّي أجِدُ في نفسي شيئًا، قال: «**ادْنُهُ**». فجلَّسَني بين يديه ثمَّ وضع كفَّهُ في صدْري بين ثدْييَّ، ثم قال: «**تحوَّلْ**». فوضعها في ظهْري بيْن كتِفَيَّ، ثم قال: «**أُمَّ قوْمكَ، فمنْ أمَّ قومًا فليخفِّفْ فإنَّ منهم الكبير، وإنَّ فيهم المريض، وإنَّ فيهم الضَّعيف، وإنَّ فيهم ذَا الحاجةِ، وإذا صلَّى أحدكم وحْدَهُ فليُصَلِّ كيف شَاءَ**»(٢).

• عن أبي قتادة رضي الله عنه أنَّهُ طلب غريمًا له فتوارَى (٣) عنه ثم وجدهُ فقال: إنِّي مُعْسِرٌ فقال: آلله؟ قال: آلله. قال: فإنِّي سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنْجِيَهُ اللهُ منْ كرْبِ يوم القيامةِ، فليُنَفِّسْ عنْ معْسرٍ أو يضعْ عنهُ**»(٤).

• عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالتْ: جاءَتْني مسكينَةٌ تحْمِلُ ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمراتٍ، فأعطتْ كلَّ واحدةٍ منهما تمْرةً، ورفعتْ إلى فيها تمرةً لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشَقَّتِ التَّمْرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعَتْ لرسولِ الله ﷺ فقال:

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٥)، ومسلم (١٦٤٢) واللفظ له. يهادَى يمشي بينهما متوكِّئا عليهما لضعفه.

(٢) رواه مسلم (٤٦٨).

(٣) استتر عن غريمه.

(٤) رواه مسلم (١٥٣٦).

«إنَّ الله قدْ أوْجَبَ لها بها الجنَّة، أو أعْتَقها بها من النَّار»[١].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا صلَّى أحدكُمْ للنَّاس فليُخَفِّفْ، فإنَّ منهم الضعيف والسَّقِيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليُطوِّلْ ما شاءَ»[٢].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال:«إنِّي لأدْخُل في الصلاة وأنا أريدُ إطالتَها فأسْمَعُ بكاءَ الصبيِّ فأتجوَّزُ ممَّا أعلمُ منْ شدَّةِ وجْدِ أمِّه من بُكائِهِ»[٣].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إيَّاكم أنْ تتَّخذوا ظهور دوابِّكمْ منابِرَ، فإنَّ الله إنما سخَّرَها لكم لتبلِّغكمْ إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيهِ إلَّا بشقِّ الأنفس وجعل لكم الأرض، فعليها فاقْضُوا حاجتكُمْ»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيَّاكُمْ والوصال». قالوا: فإنَّك تواصِلُ يا رسول الله، قال: «إنَّكُمْ لسْتُمْ في ذلك مثلي إنِّي أبِيتُ يُطْعمني ربِّي ويسْقِيني، فاكْلَفُوا من العمل ما تُطِيقونَ»[٥].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبيُّ ﷺ خيْلًا قِبَلَ نجْدٍ، فجاءتْ برجلٍ من بني حنيفة يقالُ له ثمامةُ بن أُثالٍ، فربطُوه بساريةٍ من سوارِي

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٠).

(٢) رواه البخاري (٧٠٣)، واللفظ له، ومسلم (٤٦٧).

(٣) رواه البخاري (٧٠٩) واللفظ له، ومسلم (٤٧٠).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٢٥٦٧) في «سننه»، وقال الأرناؤوط في تحقيق «جامع الأصول» (٤/ ٥٢٨) إسناده حسن.

(٥) رواه البخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٣) واللفظ.

المسجدِ، فخرج إليه النبيُّ ﷺ فقال: «**ما عندك يا ثُمامَةُ**[١]**؟**». فقال: عندي خيرٌ يا محمَّد إنْ تقتُلْني تقْتُلْ ذا دمٍ، وإنْ تنْعم تنْعِمْ على شاكرٍ. وإنْ كنت تريدُ المال فسلْ منه ما شئت. فتُرِكَ حتى كان الغدُ، ثمَّ قال له: «**ما عندك يا ثُمامةُ؟**». قال: ما قلت لك: إنْ تنعِمْ تنْعِمْ على شاكرٍ. فتركه حتَّى كان بعد الغد، فقال: «**ما عند يا ثمامة؟**». قال: ما قلت لك. فقال: «**أطلقوا ثُمامة**». فانطلق إلى نخْلٍ قريبٍ من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أنْ لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. يا محمَّدُ، والله ما كان على الأرض وجْهٌ أبغض إليَّ من وجْهِكَ، فقدْ أصبح وجْهُكَ أحبَّ الوجوه إليَّ. والله ما كان من دينٍ أبغض إليَّ منْ دينكَ، فأصبح دينُكَ أحبَّ الدِّين إليَّ. والله ما كان من بلدٍ أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدُكَ أحبَّ البلادِ إليَّ. وإنَّ خيْلك أخذتْني وأنا أريدُ العمْرةَ. فماذا ترى؟ فبشَّرَهُ رسول الله ﷺ وأمرهُ أنْ يعتمر. فلمَّا قدم مكَّة. قال له قائلٌ: صبوتَ. قال: لا. ولكنْ أسلمتُ مع محمدٍ رسول الله ﷺ. ولا والله لا يأتيكم من اليمامةِ حَبَّةُ حنْطةٍ حتى يأذن فيها النبيُّ ﷺ[٢].

• عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَلَقَّتِ الملائكة روح رجُلٍ ممَّنْ كان قبْلكم، فقالوا: أعمِلتَ من الخير شيئًا؟. قال: لا. قالوا: تذكَّرْ. قال: كنْتُ أُدَاينُ الناس فآمر فتْيَاني أنْ ينظروا المعْسِرَ ويتجوَّزُوا عن الموسرِ. قال: قال الله عز وجل: تجوَّزُوا عنه**»[٣].

---

(١) ما عندك يا ثمامة: أي ما تظنُّ أني فاعل بك.

(٢) رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).

(٣) رواه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ في سفرٍ فرأى رجُلًا قد اجتمع الناس عليه، وقد ظُلِّلَ عليه. فقال: «ما لهُ؟». قالوا: رجلٌ صائمٌ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس مِنَ البرِّ أنْ تصوموا في السَّفَرِ**»[1].

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ فانطلق لحاجَتِهِ فرأيْنَا حُمَّرةً معها فرخَانِ فأخذْنا فرْخَيْها فجاءت الحمَّرة فجعلت تفْرشُ فجاءَ النبيُّ ﷺ فقال: «**مَنْ فجَعَ هذه بولدِهَا، رُدُّوا ولَدَها إليها**».

• عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمريْنِ إلَّا أخذ أيسرَهُمَا ما لم يكنْ إثمًا، فإنْ كان إثمًا كان أبْعدَ الناس مِنْهُ وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلَّا أنْ تُنْتَهك حُرْمَةُ الله فينتقم لله بها»[2].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نفَّسَ عنْ مُؤْمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا نفَّسَ الله عنه كُرْبَةً من كرب يوم القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعْسرٍ يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرةِ، ومنْ ستر مسلمًا سترهُ في الدُّنْيا والآخرة والله في عونِ العبد ما كان العبدُ في عَوْنِ أخيهِ**»[3].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وسكِّنُوا ولا تُنَفِّرُوا**»[4].

---

(١) رواه أحمد والبخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١٥) واللفظ له، وأبو داود، والنسائي عن جابر، وابن ماجه عن عمر.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٦٧٥)، وحسّنه الأرناؤوط في تحقيق «جامع الأصول» (٤/ ٥٢٩).

(٣) رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٤) رواه مسلم (٢٦٩٩).

• عن أمِّ خالدٍ بنْتِ خالد بن سعيدٍ رضي الله عنها قالت: أتيْتُ رسول الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميصٌ أصفَرُ. قال رسول الله ﷺ: «سَنَه سنَه». قال عبد الله وهي بالحبشيَّةِ «حسنةٌ»، قالت: فذهبتُ ألْعَبُ بخاتم النبُوَّةِ فزَبَرَني [1] أبي؛ قال رسول الله ﷺ: «دَعْها». ثم قال رسول الله ﷺ: «أبْلِي وأخْلِقِي، ثُمَّ أبْلِي وأخْلِقِي، ثُمَّ أبْلِي وأخْلِقِي» [2].

• وعن معدان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِّفْق، ويرضاهُ، ويعينُ عليه ما لا يُعين على العنفِ، فإذا ركبتم هذه الدواب العُجْمَ فنزِّلوها منازِلَهَا، فإن أجدبت الأرض فانجوا عليها؛ فإن الأرض تُطوى بالليل ما لا تُطوَى بالنهار، وإياكم والتعريس بالطريق فإنه طريق الدواب، ومأوى الحيات» [3].

• قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويُعطي عليه ما لا يُعطي على العنف» [4].

---

(١) زبرني: نهرني.

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٣).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٨٢)، و«صحيح الجامع» (١٧٧٠).

(٤) صحيح: رواه البخاري في «الأدب والمفرد»، وأبو داود عن عبد الله بن مغفل، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي هريرة، وأحمد والبيهقي في «شعب الإيمان» عن علي، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، والبزار عن أنس، وكذا رواه الدارمي، والخرائطي، وابن حبان، وأبو نعيم في «الحلية»، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧١).

عُلُوّ همة الرسول ﷺ في الرحمة:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾:

* سبحان من رفع قَدْرَ رسولِ الله ﷺ فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

□ «هو رحمةٌ للإنسان، إذ عَلَّمه الرحمن، وسَكَب في قلبه نورَ الإيمان، ودَلَّه على طريق الجِنان.

- هو رحمةٌ للشيخ الكبير، إذ سهَّل له العبادة، وأرشده لحُسنِ الخاتمة، وأيقظه لتدارُكِ العمرِ واغتنامِ بقية الأيام.

- هو رحمةٌ للشاب، إذ هداه إلى أجملِ أعمالِ الفُتُوَّة وأكملِ خِصال الصِّبا، فوجَّه طاقتَه لأنبلِ السجايا وأجلِّ الأخلاق.

- وهو رحمةٌ للطفل، إذ سقاه مع لَبَنِ أُمِّه دِينَ الفطرة، وأسمعه ساعةَ المَولِدِ أذانَ التوحيد، وألبَسَه في عهدِ الطفولة حُلَّةَ الإيمان.

- وهو رحمةٌ للمرأة، إذْ أنصفَها في عالَمِ الظُّلْم، وحَفِظ حقَّها في دنيا الجَوْر، وصان جانبَها في مهرجانِ الحياة، وحَفِظ لها عفافَها وشَرَفها ومُستقبلها، فعاش أبًا للمرأة وزوجًا وأخًا ومُرَبِّيًا.

- وهو رحمةٌ للوُلاة والحُكَّام، إذْ وضع لهم ميزانَ العدالة، وحَذَّرهم من مَتَالِف الجَور والتعسُّف، وحَدَّ لهم حدودَ التبجيل والاحترام والطاعة في طاعةِ الله ورسوله.

- وهو رحمةٌ للرعِيَّة، إذْ وقف مدافعًا عن حقوقها، مُحَرِّمًا الحيفَ، ناهيًا

عن السَّلب والنَّهْب والسَّفك والابتزاز والاضطهاد والاستبداد»[١].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٧) ﴾:

أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، مَن آمن به، ومَن لم يؤمنْ به، والبشريةُ كلُّها قد تأثَّرت بالمنهج الذي جاء به - سابقًا لها - طائعةً أو كارهةً، شاعرةً أو غيرَ شاعرة؛ وما تزالُ ظِلالُ هذه الرحمةِ وارفةً، لمن يريدُ أن يستظلَّ بها، ويستروحَ فيها نسائمَ السماء الرخيَّة، في هجير الأرض المُحرِق.. إن البشرية اليومَ لفي أشدِّ الحاجة إلى حسِّ هذه الرحمةِ ونداها، وهي قلقةٌ حائرة، شاردةٌ في متاهات المادية، وجحيمِ الحروب، وجفافِ الأرواحِ والقلوبِ.

• قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»[٢].

أيةُ نَفسٍ حانيةٍ نفسُ رسول الله ﷺ!، كانت الرحمةُ مُهجتَه.. تنتشرُ الرحمةُ لديه ﷺ حتى يُعطِّي دِفؤها كلَّ مقرورٍ، وحتى تشملَ الأحياءَ جميعًا من إنسانٍ وحيوان.. ويدورُ قلبُه الكبيرُ مع دواعي الرحمة حيث تدور، والرحمةُ عنده ليست نافلةً من نوافل البرِ، بل واجبًا من واجبات الرشد، وتَبِعةً من تَبِعات الحياة.. فالكلمةُ الطيبةُ رحمة، والنظرةُ العاطفةُ رحمة، والصَّفحُ الجميلُ رحمة، وعيادةُ المريض رحمة، بل وتشميتُ العاطسِ رحمة.. وسنفرد لرحمته الحانية فصلًا خاصًّا في كتابنا المقبل.. ونكتفي هنا

---

(١) «محمد ﷺ كأنك تراه» لعائض القرني (ص١٠٦ - ١٠٧) طبع دار ابن حزم.

(٢) صحيح: أخرجه ابن سعد، والحكيم عن أبي صالح مرسلًا، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٤٩٠)، و«صحيح الجامع» برقم (٢٣٤١)، وكذا أخرجه الدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

بأروعِ نماذجِ الرحمة تُجاهَ حِفْنةٍ من النمل:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَرَصتْ نملةٌ نَبيًّا من الأنبياء، فأَمَرَ بقريةِ النَّمل فأُحرقتْ، فأوحى اللهُ تعالى إليه: أنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أَحْرَقت أُمَّةً من الأمم تُسَبِّح؟!»**[1].

انظروا كيف تتألَّقُ إنسانيةُ محمدٍ ﷺ ورحمتُه، وكيف تسمو وتُشرق!! انظروا، إن الذي يؤاخذُه الله في هذه القصَّة ويعاتبُه على تخلِّيه عن الرحمة تُجاهَ حفنةٍ من النمل، ليس فردًا عاديًّا.. بل هو نبيٌّ من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

إن الصورة على بساطتها تتضمَّنُ أروعَ نماذجِ الرحمةِ على الإطلاق، وتكشفُ عن رحمةِ محمدٍ ﷺ العَذْبة.. كما لا يُكشف شيءٌ مثلها.

حفنةٌ من النمل، لا يدركُ الناسُ لها – ولا لآلاف مثلِها قَدْرًا – أيَّ قَدْرَ، ترتفعُ في عين «محمد» ﷺ إلى الحدِّ الذي يُتصوَّرُ لها عنده قداسةٌ وحُرمةٌ!.

وتُقَدَّس حقوقُها إلى الحدِّ الذي يؤاخَذُ عنده نبيٌّ من الأنبياء؛ لأنه اعتدى عليها..!! بل إنه حينَ يأمرُ بقتلِ حشرةٍ سامَّةٍ تفترسُ الناس بلَدْغِها.. يجعلُ المَهارةَ في قتلِها مرادفةً للرحمة بها.. انظروا:

• قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً في أَوَّلِ ضَرْبَةٍ، كُتِب له مئةُ حَسَنَة، ومَن قَتَلها في الضَّرْبَة الثَّانية، فلهُ كذا وكذا حسنَة، وإِنْ قتلها في الضَّرْبة الثالثة، فله كذا وكذا حَسَنة»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

(٢) رواه أحمد، ومسلم عن عائشة.

إن الوَزَغة حشرةٌ سامةٌ كالأفعي، والخَلاصُ من شرِّها ضروري.. ولكن حتى هنا لا يَنسَى «محمد» ﷺ فينشئُ مِن مثوبةِ الله سبحانه جائزةً لمن يُجهِزُ على تلك الحشراتِ القاتلة، دونَ أن يُسَبِّب لها ألَمًا - أيَّ ألم - !! أجلْ، جائزةٌ لمن يُصيبُ الهدفَ دون أن يُبعثَ منه أنين..!!.. ذلك أنَّ الرفقَ والرحمةَ عند محمد ﷺ هو جوهرُ الحياة وزينتُها.

هذه وَمْضةٌ من وَمَضاتِ رحمةِ محمدٍ رسول الله ﷺ.. رحمتُه بالناس.. ورحمتُه بالأحياء جميعًا.. رحمةُ الرحمةِ المهداة الذي أرسله الله رحمةً للعالمين.

□ كان عطوفًا يرأمُ مَن حوْله ويُوَدُّهم ويدومُ لهم على المودَّة طولَ حياته.. وليس في سجلِّ المودةِ الإنسانية أجملُ ولا أكرمُ من حنانه على مُرضعته «حليمة»، ومن حفاوته بها وقد جاوز الأربعين؛ فيلقاها هاتفًا بها: «أُمِّي أُمِّي»، ويَفرشُ لها رِداءَه، ويُعطيها من الإبل والشاءِ ما يُغنيها في السَّنة الجَدْباء.

□ ولقد وفدتْ عليه «هوازنُ» وهي مهزومةٌ في وقعة «حُنين»، وفيها عمٌّ له من الرضاعة؛ لأجل هذا العمِّ من الرضاعة تشفَّع النبيُّ ﷺ إلى المسلمين أن يردُّوا السَّبْي من نساءٍ وأبناء، واشترى السَّبْي ممَّن أَبَوْا رَدَّه إلَّا بمال.

وحضنتْه في طفولته جاريةٌ عَجماء، فلم يَنْسَ لها مودَّتها بقيَّة حياته.

• وشَغَله أن يَنْعَمَ بالحياة الزوجية ما يشغلُ الأبَ من أمر بناته ورَحِمِه، فقال لأصحابه: **«مَن سرَّه أن يتزوَّج امرأةً من أهل الجنة فليتزوَّجْ أمَّ أيمن»**.. وما زال يُناديها: **«يا أُمَّهْ، يا أُمَّه»**؛ كلما رآها وتحدَّث إليها، وربما رآها في واقعةِ قتالٍ تدعو اللهَ وهي لا تدري كيف تدعو بلكنتها

الأعجميَّة، فلا تُنسيه الواقعةُ الحازبةُ أن يُصغيَ إليها ويَعطِفَ عليها.

وقد اتسع عطفُه حتى بَسَطه للأحياء كافَّة، فـ «كان يُصغي للهرَّة الإناءَ فتشرب، ثم يتوضأ بفضلها»[١].

وكان يواسي في موتِ طائر يلهو به أخو خادمِهِ[٢]، ويُوصي المسلمين بالدوابِّ، وكرَّرَ الوِصايةَ بها.

بل شَمِل عطفُه الأحياءَ والجمادَ كأنَّه من الأحياء؛ فكانت له قَصْعَةٌ يُقال لها: «الغرَّاء»، وكان له سَيْفٌ مُحلًّى يسمى «ذا الفقار»، وكانت له دِرْعٌ موشَّحةٌ بنُحاسٍ تُسمَّى «ذات الفضول»، وكان له سَرْجٌ يسمَّى «الداج»، وبِساطٌ يسمَّى «الكز»، ورَكْوة تسمَّى «الصادر»، ومِرآةٌ تسمَّى «المدلة»، ومقراضٌ يسمَّى «الجامع»، وقضيب يسمَّى «الممشوق».

وفي تسميته تلك الأشياءَ بالأسماء معنَى الألفة، التي تجعلُها أشبَهَ بالأحياءِ المعروفين، مِمَّن لهم السِّماتُ والعناوين، كأنَّ لها «شخصيةً» مقرَّبةً تُمَيِّزُها بين مثيلاتها، كما يتميَّز الأحبابُ بالوجوه والملامح والكُنَى والألقاب.

□ وكان له ﷺ مع هذه العاطفة الجيَّاشةِ والرحمةِ الشاملة: ذَوقٌ سليم يُضارعُها رِفعةً ونُبلًا في رعايةِ شعور الناس أتمَّ رعايةٍ وأدلَّها على الكرَمَ والجود؛ «كان إذا لَقِيه أحدٌ من أصحابه فقام معه؛ قام معه، فلم ينصرفْ

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» عن عائشة، ورواه أبو داود، وابن ماجه والطحاوي، والدارقطني في «الأفراد»، والبيهقي في «السنن» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٣٤).

(٢) «يا أبا عُمير، ما فعَل النُّغير؟».

حتى يكونَ الرجلُ هو الذي ينصرف عنه، وإذا لَقِيَه أحدٌ من أصحابه فتناول يَدَه، ناوَله إيَّاها، فلم يَنزعْ يَدَه منه حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يَنزِعُ منه.. وكان إذا وَدَّع رجلًا أخذ بيده، فلا يَدَعُها حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يَدَعُ يده».

□ «وانظرْ إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي خُطِف من أهله وهو صغير، ثم اهتدى إليه أبوه واهتدى هو إلى أبيه على لهْفَةِ الشوقِ بعد يأسٍ طويل، فلما وجب أن يختارَ بين الرَّجْعةِ إلى آله وبين البقاءِ مع رسول الله ﷺ، اختار البقاءَ مع السيِّد على الرجْعة مع الوالد»[١].

□ لقد اعتلى رسول الله ﷺ الذِّروة الساميةَ في السماحة، بسماحةِ الكريم، وما أحدٌ أرحمَ ممَّن يرحمُ المفترَين على سُمْعةِ أهلِه وهناءةِ بيتِه وأمانِ سِرْبه.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾:

أخرج ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ قال: من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأُمم من الخسف والقذف[٢].

وعنه قال: هذا عام للبر والفاجر، فمن أصابه تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة[٣].

---

(١) «عبقرية محمد» للعقّاد (ص٩٠- ٩٤) بتصرف - دار الكتب الحديثة.

(٢) «تفسير الطبري» (١٧/ ١٠٦).

(٣) «زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ٣٩٨).

وقيل: أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر.

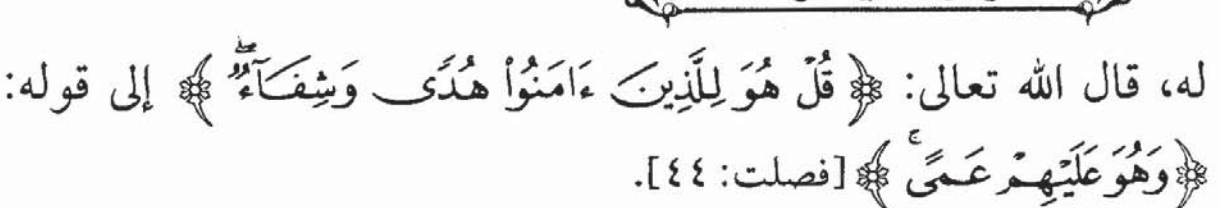
□ قال الطبري: «القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله تعالى أرسل نبيه محمدًا ﷺ رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله».

□ قال الزمخشري: «أُرسل ﷺ رحمة للعالمين؛ لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع فإنما أُتي من عند نفسه حيث ضَيَّع نصيبه منها، ومثاله: أن يُفجِّرَ الله عينًا غَديقة فيسقي ناسٌ زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعون، فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها، وقيل: كونه رحمة للفجار من حيث أن عقوبتهم أُخِّرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال»[١].

□ وقال الفخر الرازي: «إنه عليه السلام كان رحمة في الدين والدنيا، أما في الدين؛ فلأنه ﷺ بُعث والناس في جاهلية وضلالة وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم؛ لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله تعالى محمد ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق وبيَّن لهم سبيل الثواب وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من الحرام، ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة مَن كانت همته طلب الحق فلا يركن إلى التقليد ولا إلى العناد والاستكبار وكان التوفيق قرينًا

---

(١) «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٥٨٦).



له، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

وأما في الدنيا؛ فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه»[١].

□ قال الحافظ ابن كثير: «يخبر تعالى أن الله جعل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قَبِل هذه الرحمة، وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومَن ردَّها وجحدها خسر الدنيا والآخرة.

فإن قيل: فأي رحمة حصلت لمن كفر به؟ فالجواب.. عن ابن عباس قال: مَن آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومَن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف.. وفي لفظٍ: مَن تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومَن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف»[٢] اهـ.

• وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «**إني لم أُبعث لعانًا، وإنما بُعثت رحمة**»[٣].

□ وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»: «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النبي الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، إلى الخلائق إلَّا رحمة لهم؛ لأنه جاءهم بما يسعدهم، وينالون به كل خير من

---

(١) «التفسير الكبير» للفخر الرازي (٢٢/ ٢٣٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٧٩).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه»- كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٤/ ٢٠٠٦).

خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومَن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيَّع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى، وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلًا قال: لو فجّر الله عينًا للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول، فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها، فتتابعت عليهم النِّعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل، فضيَّعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [إبراهيم].

وقيل: كونه رحمة للكفار من حيث: أن عقوبتهم أُخِّرت بسببه، وأمنوا به عذاب الاستئصال، والأول أظهر.

* وما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: من أن ما أرسله إلّا رحمة للعالمين، يدل على أنه جاء بالرحمة للخلق فيما تضمَّنه هذا القرآن العظيم، وهذا المعنى جاء موضحًا في مواضع من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[العنكبوت].

* وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [القصص: ٨٦][1] الآية اهـ.

□ قال شيخ الإسلام ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص٢٨٥.. وما بعدها): «وهو محمود ﷺ بما يملأ به الأرض من الهدى، والإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح، وفتح به القلوب، وكشف به الظلمة عن أهل

(١) «أضواء البيان» (٣/ ١٦٨).

الأرض، واستنقذهم من أسر الشياطين، ومن الشرك بالله تعالى، والكفر به، والجهل به؛ حتى نال أتباعه شرف الدنيا والآخرة، فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها، فإنهم كانوا بين عبَّاد أوثان، وعبَّاد صلبان، وعبَّاد نيران، وعبَّاد الكواكب، ومغضوب عليهم قد باؤوا بغضب من الله، وحيران لا يعرف ربًّا يعبده، ولا بماذا يعبده، والناس يأكل بعضهم بعضًا، مَن استحسن شيئًا دعا إليه، وقاتل مَن خالفه، وليس في الأرض موضع قدم مشرق بنور الرسالة، وقد نظر الله سبحانه إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلَّا بقايا من آثار دين صحيح، فأغاث الله به ﷺ البلاد والعباد، وكشف به تلك الظلَم، وأحيا به الخليقة بعد الموت، فهدى به من الضلالة، وعلَّم به من الجهالة، وكثَّر به بعد القلة، وأعزّ به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، وأبدأ وأعاد، واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وفعاله وأحكامه، حتى تجلّت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين، وانجابت سحابة الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره ولم يدعْ لأُمتهِ حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله، ولا إلى مَن بعده، بل كفاهم، وشفاهم، وأغناهم عن كل مَن تكلَّم في هذا الباب ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت].

وعرّفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع بابًا من العلم النافع للعباد المقرِّب لهم إلى ربهم إلَّا فتحه، ولا مشكلًا إلَّا بيَّنه وشرحه، حتى هدى الله به القلوب من ضلالها،

وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها، فأي بشر أحق بأن يُحمد منه ﷺ؟! وجزاه عن أمته أفضل جزاء.

* وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء] أنه على عمومه.

وفيه على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته ﷺ، أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه والمحاربون، فالذين عجّل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له، فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرًّا بذلك العهد من المحاربين له.

وأما المنافقون؛ فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم، وأموالهم، وأهلهم، واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها.

وأما الأمم النائية عنه، فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها؛ فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم، لكن لم يقبلوها. اهـ كلامه رحمه الله باختصار يسير.

* ومن ذلك ايضًا: قوله الله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة].

يخبر ربنا عَزَّوَجَلَّ الأمة، في معرض الامتنان عليها ببعثة النبي ﷺ، ويعدِّد لها الصفات التي يعرفونها عنه ﷺ.

□ قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان» (١/ ٥٠٨): «هذه الآية الكريمة تدل على أن بعث هذا الرسول الذي هو من أنفسنا، الذي هو متَّصف بهذه الصفات المشعرة بغاية الكمال، وغاية شفقته علينا هو أعظم منن الله تعالى، وأجزل نعمه علينا، وقد بيّن ذلك في مواضع أخر.

* كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

* وقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء] إلى غير ذلك من الآيات. اهـ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

□ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد»: «وأما نبي الرحمة، فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم: مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار، فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده، وأما مَن قتله منهم هو وأمته، فإنهم عجلوا به إلى النار، وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلَّا شدة العذاب في الآخرة»[1]. اهـ.

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٩٥- ٩٦).

□ قال القاضي عياض في «الشفا»: «وأما الشفقة والرحمة والرأفة لجميع الخلق، فقد قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]»[١].

• وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشَرُ الناسُ على قدمه، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي**»، وقد سمّاه الله رؤوفًا رحيمًا[٢].

• وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمِّي لنا نفسه أسماء فقال: «**أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة**»[٣].

□ قال ابن القيم رحمه الله، في «جلاء الأفهام»: «فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأسماء؛ مبيِّنًا ما خصَّه الله تعالى به من الفضل، وأشار إلى معانيها، وإلّا فلو كانت أعلامًا محضة لا معنى لها، لم تدل على مدح؛ ولهذا قال حسان رضي الله عنه[٤]:

---

(١) «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٢٢- ١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤)، وجملة «وقد سمّاه الله..» جزم البيهقي أنها مدرجة من كلام ابن شهاب الزهري، وأقرّه عليه الحافظ ابن حجر.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

(٤) البيت في «ديوانه» (ص١٣١) وفي شرحه للبرقوقي: «وهذا البيت ليس من قول حسان، وإنما هو لأبي طالب ضمّنه حسان شعره» اهـ أفاده الشيخ مشهور حسن سلمان في تعليقه على «جلاء الأفهام» وجزم الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٦٤١) بنسبته إلى أبي طالب.

وشق له من اسمه ليجلَّه فذو العرش محمود وهذا محمَّدُ

ثم قال: ومما يُحمد عليه ﷺ: ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق، وكرائم الشيَم، فإن مَن نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ؛ علم أنها خير أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الخلق، فإنه ﷺ كان أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثًا، وأحلمهم، وأجودهم، وأشدهم احتمالًا، وأعظمهم عفوًا ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلَّا حلمًا كما روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة: «**محمد عبدي ورسولي، سمَّيته المتوكل، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله، وأفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا**»[١].

□ وأرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعًا لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله، وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثارًا على نفسه، وأشد الخلق ذبًّا عن أصحابه، وحماية لهم، ودفاعًا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه، فهو

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٨).

أحق بقول القائل:

بــرْدٌ عـــلى الأدنـــى ومرحمـــةٌ وعلى الأعادي مازِنٌ [١] جَلْـدُ» [٢]

□ قال في «التفسير الكبير»: «إن هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد إليكم، وأيضًا فإنه بحال يشق عليه ضرركم، وتعظم رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم، فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم في حقِّكم، والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة، إلَّا أنه لما عرف أن الطبيب حاذق وأن الأب مشفق صارت تلك المعالجات المؤلمة متحملة، وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان، فكذا هنا لما عرفتم أنه رسول حق من عند الله فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لتفوزوا بكل خير» [٣].

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال لي: «**يا أبا أمامة، إن من المؤمنين مَن يلين له قلبه**» [٤].

فما حظ «الرحمة المهداة» ﷺ من هذا الحديث.

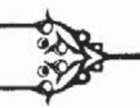
---

(١) المازن: هو الصلب.. انظر: «لسان العرب».

(٢) «جلاء الأفهام» (ص٢٧٨)، وما بعدها.

(٣) «التفسير الكبير» للفخر الرازي (١٦/ ٢٣٥).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٧)، والطراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٢٢)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٠٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال في موضع آخر (١٠/ ٢٧٦): رواه الطراني ورجاله قد وثِّقُوا، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٨٦) رقم (١٠٩٥).



▫ ولله در أحمد شوقي إذ يقول:

وإذا رحمت فأنتَ أُمٌّ أو أبُ ... هذان في الدنيا هما الرحماء

▫ بل والله فوق ما قال شوقي:

نسينا في ودادك كل غالٍ ... فأنت اليوم أغلى ما لدينا

نلامُ على محبَّتكم ويكفي ... لنا شرفٌ نلامُ وما علينا

ولّما نلقكُم لكنَّ شوقًا ... يُذكِّرنا فكيف إذا التقينا

تسلَّى الناسُ بالدنيا وإنَّا ... لعمر الله بعدك ما سَلَيْنَا

▫ صلى الله عليك يا سيد البشر..

تذوب شخوص الناسِ في كُلِّ لحظة ... وفي كل حينٍ أنت في القلب تكبرُ

رحمته بقومه وصبره عليهم رجاء أن يسلموا أو تسلم ذريتهم:

• فعن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل** عليه السلام**، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمر بما شئت فيهم – قال-: فناداني ملك الجبال وسلّم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**»، فقال رسول الله ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرج الله**

من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[(١)].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ حكى نبيًّا من الأنبياء، ضربه قومه، حتى أدموا وجهه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون»[(٢)].

لقد تجلّت رحمته العظيمة في حرصه الشديد ﷺ على هداية قومه رغم إيذائهم الشديد له.

* قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ ﴾ [فاطر].

* وقال تعالى: ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٣٧ ﴾ [النحل].

شفقته ورأفته بالجاهل من أمته :

• عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: بينا أنا أصلِّي مع رسول الله ﷺ إذا عطس رجلٌ من القوم فقلتُ: يرحمك الله فرماني القومُ بأبصارِهم. فقلتُ: واثُكْلَ أُمِّيَاهُ ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضْرِبونَ بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يُصَمِّتُوني لكنِّي سكتُّ. فلمّا صلَّى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمِّي! ما رأيتُ معلِّمًا قَبْلَهُ ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما

(١) رواه البخاري (٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٥) والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٤٠٦) والطبراني، والأخشبان جبلان في مكة.

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٧) و(٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢).

نهرني ولا ضربني ولا شتمني. قال: «**إنَّ هذه الصلاة لا يَصْلح فيها شيءٌ من كلام الناس إنَّما هو التَّسْبِيحُ والتكْبِيْرُ وقراءَةُ القرْآنِ**» أو كما قال رسول الله ﷺ [1].

• وفي رواية فُليح عن هلال بن علي به عند أبي داود قال: لما قدمتُ على رسول الله ﷺ عَلِمْتُ أمورًا من أُمورِ الإسلامِ، فكان فيما عَلِمْتُ أنْ قال لي: «**إذا عطسْتَ فاحمد الله، وإذا عطس العاطِسُ فحمِدَ الله فقُلْ: يرحَمُكَ الله**». قال: فبينما أنا قائمٌ مع رسول الله ﷺ في الصلاةِ إذْ عطس رجل فحمدَ اللهَ. فقلتُ: يرْحمُكَ الله رافعًا بها صوْتي، فرمَانِي الناسُ بأبْصارهم حتَّى احتملني ذلك فقلتُ: ما لكم تنظرون إليَّ بأعْينٍ شُزْرٍ؟ قال: فسبَّحُوا، فلمَّا قضى رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ المُتكَلِّم؟**». قيلَ: هذا الأعرابي فدعاني رسول الله ﷺ فقال لي: «**إنَّما الصَّلاةِ لقَرَاءَةِ القُرآنَ وذِكْرِ الله جَلَّ وعزَّ، فإذا كنت فيها فليكن ذلك شأنك**»، فما رأيت معلِّمًا قطُّ أرْفَق منَ رسول الله ﷺ.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابيٌّ فبال في المسجد، فتناوله الناسُ، فقال لهم النبيُّ ﷺ: «**دَعُوهُ، وهَريقوا على بولِه سَجْلًا [2] من ماء**

(١) رواه مسلم في «صحيحه»- كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٧/ ٣٨١)، وأحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨)، وأبو داود في «سننه»- كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة (١/ ٥٧٠- ٥٧٣)، وابن حبان (٤/ ١٠)، والطبراني (١٩/ ٤٠٢) وأبو عوانة (٢/ ١٥٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٣٢)، والدارمي (١/ ٣٥٣) والطحاوي (١/ ٤٤٦)، والبيهقي (٢/ ٢٤٩- ٢٥٠).

(٢) السجل: الدلو الضخم.

أو ذَنُوبًا[(١)] من ماء فإنَّما بُعِثْتُم مُيَسِّرِينَ ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[(٢)].

• وفي رواية أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالسٌ فقال: اللهُمَّ اغفر لي ولِمُحمَّدٍ ولا تغفر لأحدٍ معنا، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «**لقد احتظرت واسِعًا**»، ثمَّ ولَّى حتَّى إذا كان في ناحية المسجد فشج[(٣)] يبلو، فقال الأعرابيُّ بعد أن فقه: فقام إليَّ بأبي وأُمِّي فلم يُؤَنِّبْ ولم يَسُب فقال: «**إن هذا المسجد لا يُبال فيه، وإنَّما بُني لذكر الله وللصَّلاة**»، ثم أمر بسَجْلٍ من ماء فأفرغ عَلى بوله[(٤)].

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه بينما نحنُ في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء إعرابيٌّ فقام يبول في المسجد، فقال أصحابُ رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُزْرِمُوهُ**[(٥)] **دَعُوهُ**»، فتركوهُ حتَّى بالَ، ثُمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ دعاهُ فقال: «**إنَّ هَذه المساجد لا تصْلُح لشيءٍ مِن هذا البَوْل ولا القَذَرِ، إنَّما هي لذكر الله عز وجل والصَّلاةِ وقراءِ القرآن**»، أو كما قالَ رسولُ الله

---

(١) هي الدلو ملأى بالماء قاله الخليل.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»- باب: صب الماء على البول في المسجد «الفتح» (١/ ٣٢٣)، و«الأدب» باب ٨٠ «الفتح» (١٠/ ٥٢٥)، ورواه أحمد (٢/ ٣٨٢)، (٢/ ٢٨٢)، و(٢/ ٢٣٩)، وأبو داود (١/ ٢٦٤)، والنسائي (١/ ٤٣)، (١/ ١٤٢)، والترمذي (١٤٧)، وأبو يعلى (٥٨٥٠) والبيهقي (٢/ ٤٢٨)، وابن خزيمة (١/ ١٥٠)، وابن حبان (٢/ ٣٣٩، ٣٤٠) وعبد الرزاق (١/ ٤٢٣)، والحميدي (٢/ ٤١٩) رقم (٩٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٧٩).

(٣) الفشج: تفريجُ ما بيْن الرِّجليْن.

(٤) «سنن ابن ماجه»- الطهارة وسننها- باب (٧٨) (١/ ١٧٦) رقم (٥٢٩).

(٥) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه البول.

ﷺ، قال: فأمر رجلًا من القوم فجاء بدَلْوٍ مِنْ ماء فشَنَّه [١] عليه [٢].

اشفاقه ورأفته بالأمة إذا هاجت الريح:

• فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم ريح، أو غيم، عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرَّ به وذهب عنه، فسئل، فقال: «**إني خشيت أن يكون عذابًا سلط على أمتي**» [٣].

وهذا الحديث من جملة رحمته ﷺ بالأمة المحمدية، حتى إنه ليخشى أن تكون الريح مأمورة من قِبل ربها ﷻ بإنزال العذاب بأمته ﷺ:

• فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيَّها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا، وإذا أراد هلكة أمة، عذّبها، ونبيها حي، فاقرّ عليه بهلكتها حين كذّبوه وعصوا أمره**» [٤].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسّم، وقالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى

---

(١) أي: صَبّه.

(٢) رواه مسلم – الطهارة- باب وجوب غُسل البول وغيره من النجاسات (١/ ٢٣٦) واللفظ له، ورواه البخاري (١٠/ ٤٤٩)، وأحمد (٣/ ٢٢٦) (٣/ ١١٠، ١١٤، ١٦٧)، والنسائي، وأبو عوانة (١/ ٢١٤)، وابن حبان، وابن خزيمة، والدارمي (١/ ١٨٩) والبيهقي، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص٧١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٦، ٤٨٢٩)، ومسلم (٨٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٨٨) مُعَلَّقًا، ووصله أبو يعلى والحاكم، وصححه الألباني في «مختصر مسلم» (١٥٩٦) و«صحيح الجامع» (١٧٠٧).

غيمًا أو ريحًا عرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، وقالوا: هذا عارض ممطرنا**»[(١)].

رحمته بأمته في التشريع والتكليف:

أ- التماس العذر لمن غاب عن الفريضة، ورحمته بتيسير قضائها:

• فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَن نسي صلاة، فليصلِّها إذا ذكرها**».

• وفي لفظ: «**مَن نسي صلاة، أو نام عنها، فليصلِّها إذا ذكرها**»[(٢)].

وفي الحديث من التيسير والتخفيف على الأمة، ورحمتها فيما إذا نست أو نامت، فالنسيان والنوم من عوارض الأهلية التي يمتنع الحكم على صاحبها بشيء من الأحكام حتى يزول هذا العارض، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

□ قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٠٦- ٣٠٧): ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ «أي: إن تركنا فرضًا على جهة النسيان، أو

(١) رواه أحمد، ومسلم واللفظ له عن عائشة.

(٢) رواه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤).

فعلنا حرامًا كذلك ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: الصواب في العمل جهلًا منا بوجهه الشرعي.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال الله: نعم».

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي: لا تكلفنا من الأعمال الشاقة، وإن أطقناها، كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الأغلال والآصار التي كانت عليهم، التي بعثت نبيك محمدًا ﷺ نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيفي السهل السمح..

وقوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ أي: من التكاليف والمصائب والبلاء، لا تبتلنا بما لا طاقة وقِبل لنا به. اهـ بتصرف يسير»[1]،[2].

وفي حديث الباب: رحمة الله عز وجل التي أخبر بها على لسان رسوله ﷺ، أن النائم والساهي المخطئ والمكره وغير هؤلاء، ممن اتصفوا بوصفهم، معذورون بهذه الأوصاف حتى تزول عنهم، ويلزمهم الإتيان بما فاتهم، لا سيما وأن هذه الأوصاف والأحوال العارضة ليست في مقدور المكلفين، أو انتفت شبهة التعمُّد فيهم.

• فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على مَن لم يصلِّ الصلاة حتى يجيء وقت صلاة أخرى»**[3].

---

(١) «المرحومون بالسُّنَّة» (ص٩٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٣) رواه مسلم (٦٨١)، وأحمد (٥/ ٢٩٨)، وأبو داود (٤٣٧)، والترمذي (١٧٧)، والنسائي (١/ ٢٩٤)، والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٤٠١)، وابن خزيمة =

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»**[(١)].

---

(٩٨٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٤٦٠)، والبيهقي (٢/ ٢١٧) من طرق عديدة عن أبي قتادة به.

(١) صحيح بطرقه: قال الشوكاني في «فتح القدير» (١/ ٣٨٨- ٣٨٩): وقد أخرج ابن ماجه، وابن المنذر، وابن حبان في «صحيحه»، الطبراني، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي في «سننه»، من حديث ابن عباس..

وأخرجه أحمد، وابن ماجه من حديث أبي ذر مرفوعًا.

والطبراني من حديث ثوبان، ومن حديث ابن عمر.

والطبراني والبيهقي من حديث عقبة بن عامر.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» وأبو نعيم من حديث أبي بكرة.

وأخرجه ابن أبي حاتم من حديث أم الدرداء.

وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من حديث الحسن مرسلًا.

وأخرجه عبد بن حميد من حديث الشعبي مرسلًا، ثم قال: وفي أسانيد هذه الأحاديث مقال، ولكنها يقوي بعضها بعضًا، فلا تقصر عن رتبة الحسن لغيره، وقد تقدم حديث: «إن الله قال: قد فعلت» وهو في «الصحيح»، وهو يشهد لهذه الأحاديث. اهـ.

وقد استنكر هذا الحديث أبو حاتم الرازي، وضعّفه ابن عدي، على أن بعض أسانيد هذه الأحاديث يخلو من القدح لا سيما ما رواه الطحاوي في «شرح المعاني» (٣/ ٩٥)، والدارقطني (٤/ ١٧٠)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢١٩)، والبيهقي (٧/ ٣٥٦) جميعًا من حديث بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس به، وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين خلا بشر بن بكر فهو على شرط البخاري وحده.

وقد تابعه أيوب بن سويد عن الأوزاعي كما عند الحاكم (٢/ ١٩٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وراجع «جامع العلوم والحكم» شرح هذا الحديث، وكذا «العواصم والقواصم» =

وهذا من رحمة النبي ﷺ في نفي الحرج والعنت والمشقة عنهم في أمور التشريع والتكاليف.

وقد بوَّب الإمام ابن حبان على هذا الحديث بقوله: ذكر الإخبار عما وضع الله بفضله عن هذه الأمة.

ب- رحمته ﷺ في تيسير أداء العبادات:

□ فعن غضيف بن الحارث رضي الله عنه قال: قلت لعائشة: أرأيت النبي ﷺ يا أم المؤمنين، أكان يوتر من أول الليل، أو من آخرة؟ قالت: ربما أوتر من أول الليل، وربما أوتر من آخره. قلت: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. قلت: يا أم المؤمنين، أرأيت رسول الله ﷺ كان يغتسل من الجنابة من أول الليل، أو من آخره؟ قالت: ربما اغتسل من أول الليل، وربما اغتسل من آخره. قلت: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. قلت: يا أم المؤمنين، أرأيت النبي ﷺ أكان يجهر بصلاته أم يخافت بها؟ قالت: ربما جهر بصلاته، وربما خافت بها. قلت: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة[1].

(١/ ١٩٢) وما بعدها، وصحّح الحديث الألباني في «الإرواء» (٨٢)، و«تخريج المشكاة» (٦٢٩٣)، و«صحيح الجامع» (١٧٣١).

(١) صحيح: أخرجه (٦/ ٤٧)، ومن طريقه أبو داود (٢٢٦)، والنسائي (١/ ١٢٥) مختصرًا جميعًا من حديث برد بن أبي العلاء، عن عبادة بن نسي، عن غضيف بن الحارث.

وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، وغضيف اختلف في صحبته.

وقد رواه أحمد (٦/ ٧٣)، ومسلم (٣٠٧)، وأبو داود (١٤٣٧) وغيرهم أيضًا من حديث عائشة غير أن السائل: عبد الله بن أبي قيس.

وقول غضيف رضي الله عنه: «اللهم أكبر، الحمد الله الذي جعل في الأمر سعة» من أول الدلائل على رحمة النبي ﷺ حتى في أفعاله التشريعية ليقتدي به المسلمون من بعده، وجعل الأمر من الرحمة بهم، والتخفيف عليهم ونفي العنت والمشقة.

شفقته على أمته مِن أن تُفرَضَ عليهم تكاليف لا يطيقونها:

•فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج ليلة في جوف الليل فصلّى في المسجد، وصلّى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدّثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلّى فصلَّوا معه، فأصبح الناس فتحدّثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلّى بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهّد ثم قال: «**أما إنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تُفرض عليكم فتعجزوا عنها**» فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك [(١)].

• ومن هذا أيضًا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ذكر أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «يا أيها الناس إن الله قد افترض عليكم الحج» فقام رجل فقال: أكل عام يا رسول الله؟ قال: فسكت عنه، حتى أعادها ثلاث مرات قال: «**لو قلت: نعم، لوجبت، ولو وجبت ما قمتم بها، ذروني ما تركتكم، فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا**

---

(١)رواه البخاري (١١٢٩)، ومسلم (٧٦١) كلاهما من حديث ابن شهاب، عن عروة، عنها به.

نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[١].

رحمته لأمته بتحذيرها مما يضرها وإخبارها بما سيحدث لها:

فمن ذلك تحذيره ﷺ لأمته من الدجَّال، وهذا أمر قد اشترك فيه كل الأنبياء السابقين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو: التحذير من الدجَّال، غير أن رسول الله ﷺ زاد الأمر بيانًا؛ وذلك بسبب رحمته ﷺ بأمته:

• فعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث ابن صياد الشهير، قال: فقام رسول الله ﷺ، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجَّال، فقال: «**إني أنذركموه، ما من نبي إلَّا قد أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه: تعلموا أنه أعور، وأن الله ليس بأعور**»[٢].

• والشاهد من الحديث: قوله ﷺ: «**ولكني أقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه**» رحمة وشفقة وعناية منه ﷺ بأمته، وحرصًا عليها من أن تُفتن بهذا الدجال.

• ومن ذلك أيضًا: ما جاء عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فصلَّى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، والله ما أخاف**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٨)، ومسلم (١٣٣٧)، والنسائي (٥/ ١١٠)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٧٠٤)، والبيهقي (٤/ ٣٢٦) جميعًا من حديث الربيع بن مسلم، ثني محمد بن زياد، ويوسف بن سعد، عن أبي هريرة به.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٢٧)، ومسلم (٢٩٣٠) وغيرهم كثير من حديث الزهري عن سالم عن ابن عمر.

عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف أن تتنافسوا فيها»[١].

ومن رحمته بأمّته وشفقته عليها:

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ تَلَا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي..﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦].

* وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة].

فرفَعَ يَدَيْهِ وقال: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وبَكى، فقال الله عز وجل: يا جِبْريل، اذْهَبْ إلى محمدٍ - وربُّكَ أعْلَمُ - فسلْهُ مَا يُبكيْكَ؟ فأتاهُ جبريلُ عليه السلام فسألهُ فأخبرهُ رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم- فقال الله عز وجل: يا جِبْريل اذهبْ إلى مُحمدٍ فقُلْ إنَّا سنُرْضيْكَ في أمّتِكَ ولا نسُوْءكَ**»[٢].

من كمال شفقته ورحمته بأمته أنه اختبأ دعوته شفاعة لأمته:

• عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[٣].

• وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة دعاها لأمته،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٩٦)، ومسلم (٢٢٩٦) من حديث الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة به.

(٢) رواه مسلم - كتاب الإيمان- باب دعاء النبي ﷺ وبكائه شفقةً عليهم (١/ ١٩١)، ورواه النسائي في «التفسير» (١/ ٦٢٣)، وابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٢١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٧٧)، وابن حبان (٩/ ١٧٩ رقم ٧١٩١)، وابن منده في «الإيمان» (٣/ ٨٤٧ رقم ٩٢٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠١).

وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[١].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، هفهي نائلة إن شاء الله تعالى مَن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئًا»**[٢].

رحمته بأهل الكبائر من أمته:

وتتجلّى هذه الرحمة التي بثّها الله عز وجل في قلب نبي الرحمة ﷺ في إثباته الشفاعة لأهل الكبائر من الأمة.

• فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وأنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**[٣].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٥) بنحوه، ومسلم (٢٠٠) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (١٩٩).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣٦)، وابن ماجه (٤٣١٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٧١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٤٦٧)، والحاكم (١/ ٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٠٠).
جميعًا من طرق عن جعفر بن محمد، عن أبيه «محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»، عن جابر بن عبد الله به.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، يستغرب من حديث جعفر ابن محمد. اهـ.
وأخرجه أحمد (٣/ ٢١٣)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٧٠) وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٤٦٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٢)، والحاكم (١/ ٦٩) جميعًا من طرق عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك به.
=

رحمته وشفقته على اليتامى:

• عن بشر بن عقربة الجهني ﷺ قال: استُشْهد أبي مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فمرّ بي النبي ﷺ وأنا أبكي فقال لي: «**اسكت أما ترضى أن أكون أنا أبوك وعائشة أمك؟**»[(١)].

• وعند البزار عن بشير قال: لقيت رسول الله يوم أُحُد فقلتُ: ما فعل أبي؟ فقال: «**استشهد رحمة الله عليه**»، فبكيتُ فأخذني فمسح رأسي وحملني معه.

رأفته ورحمتُه بالمماليك:

• عن أبي مسعود البدري ﷺ قال: كنتُ أضربُ غلامًا لي بالسَّوْطِ، فسمعتُ صوتًا من خلْفي: «**اعلم أبا مسعود!**» فلم أفهم الصوت مِن الغَضَبِ، قال: فلمّا دَنَا منّي إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقولُ: «**اعلَمْ**

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبي. اهـ.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ.
وهذا الحديث من الأحاديث التي لا مرية في صحتها إلى رسول الله ﷺ، بل جزم ابن أبي عاصم أن أخبار الشفاعة لرسول الله ﷺ ثابتة ثبوت التواتر. انظر «السنة» (ص٣٨٥).

(١) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٧٨)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٧٥)، ورواه البزار «كشف الأستار» (٢/ ٣٨٥) رقم (١٩١٠) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦١): «رواه البزار وفيه من لا يُعرف، وفي الطريق الثاني عبد الله بن عوف القاري ترجم له ابن أبي حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وكذا الراوي عنه حجر بن الحارث الغساني ذكرهما ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٤٢)، (٨/ ٢١٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٢٤٩).

أَبَا مسْعُود! اعْلَمْ أبا مسْعُودٍ!». قال: فألقيْتُ السَّوْط [(١)] من يَدِي، فقال: «**اعْلَمْ أبا مسْعُودٍ أنَّ الله أقْدَرُ عليك منْكَ على هذا الغُلامِ**»، قال: فقلتُ: لا أضْربُ مملُوكًا بعدهُ أبدًا[(٢)].

• وفي رواية أبي معاوية عن الأعمش به: فسمعتُ مِنْ خلفي صوتًا: «**اعْلم أبا مسعود، لله أقدرُ عليكَ منك علَيْه**»، فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ، قلتُ: يا رسول الله، فهُوَ حرٌّ لوَجْهِ الله، فقال: «**أما إن لو لم تفعل لمَسَّتك النَّارُ أو للفحتك النار**»[(٣)].

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ زِنْبَاعًا أبا روحٍ وجَدَ غلامًا له مع جاريةٍ له فجدَعَ أنْفَهُ وجَبَّهُ [(٤)]، فأتى النبي ﷺ فقال: «**مَنْ فعل هذا بك؟**». قال:زِنْبَاع، فدعاهُ النَّبيُّ ﷺ فقال: «**ما حملك عَلى هذا؟**». فقال: كانَ منْ أمْره كذا وكذا، فقال النبيُّ ﷺ للعبد: «**اذهبْ فأنتَ حُرٌ**». فقال: يا رسول الله، فمَوْلَى مَنْ أنَا؟ قال: «**موْلَى الله ورسولِهِ**»، فأوْصَى به رسول الله ﷺ المسلمين. قال: فلما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ جاء إلى أبي بكر فقال: وَصِيَّةُ رسول الله ﷺ قال: نعم، نُجْري عليك النفقة وعَلى عيالك، فأجْراها عليه، حتى قبض أبو بكر، فلما استُخْلف عمرُ جاءَه فقال: وَصِيَّةُ رسول الله ﷺ قال: نعم، أين تريد؟ قال: مصر، فكتب عمرُ إلى صاحب مصرَ أن يعطيَه أرضًا يأكُلها[(٥)].

---

(١) في رواية جرير عن الأعمش «فسقط السَّوْط من يدي من هيبته».

(٢) رواه مسلم – كتاب الإيمان – باب (٨) (٣/ ١٢٨٠ – ١٢٨١).

(٣) «الأدب المفرد» – باب: أدب الخادم – «فضل الله الصمد» (١/ ٢٦٧).

(٤) جَبَّه: قَطَع مذاكيره.

(٥) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٨٢).

ومن شفقته على الخادم:

□ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قطُّ بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلَّا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيل منه شيءٌ قط فينتقم من صاحبه إلَّا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم الله عز وجل»[(١)].

□ وعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: «أُفٍ» ولا: لم صنعتَ؟ ولا: ألا صنعتَ»[(٢)].

• وعند أبي نعيم: «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين، فما سبَّني سبّة قط، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني، ولا عَبَس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني عليه أحدٌ من أهله، قال: **«دعُوه فلو قُدِّر شيءٌ لكان»**[(٣)].

شفقته صلى الله عليه وسلم على الفقراء والجوعى من المسلمين:

شفقته على أهل الصُّفَّة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: الله الذي لا إله إلَّا هُوَ إنْ كنتُ لأعْتَمِدُ بكَبِدي[(٤)] على الأرضِ مِنَ الجُوع، وإنْ كنتُ لأشُدُّ الحجرَ على بَطْني مِنَ الجُوع. ولقدْ قعدْتُ يومًا على طريقهم الذي يَخرجون منه، فمَرَّ أبو بكْرٍ فسألتُهُ عنْ آيةٍ منْ كتاب الله، ما سألتُهُ إلَّا ليُشْبِعَني[(٥)] فمَرَّ فلمْ يفْعَلْ، ثمَّ

---

(١) رواه مسلم – كتاب الفضائل – باب ٢٠، (٤/ ١٨١٤).

(٢) رواه البخاري – كتاب الأدب – باب حسن الخلق، والسخاء وما يكره من البخل «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٥).

(٣) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ص١٤١).

(٤) أي: ألصق بطني.

(٥) مِن الشبع.

مرّ بي عُمر فسألته عن آيةٍ من كتاب الله ما سألته إلَّا ليشبعني فمرّ فلم يفعل مَرَّ بي أبو القاسِم ﷺ فتبَسَّم حينَ رآني وعرَفَ ما في نفْسي وما في وَجْهي، ثمَّ قال: «**يا أبا هِرّ**»، قلتُ: لبَّيْك يا رسول الله، قال: «**الْحَقْ**»، ومضَى فتَبعْتُه، فدخل فاسْتأْذنَ فأذنَ لي، فدخل فوجد لبنًا في قَدح فقال: «**مِنْ أين هذا اللَّبنُ؟**» قالوا: أهداهُ لك فلانٌ -أو فلانةٌ- قال: «**أَبا هِرّ**»، قلتُ: لبَّيْك يا رسول الله، قال: «**الحُق إلَى أهْلِ الصُّفَّةِ فادْعُهم لي**»، قال: وأهْلُ الصَّفة أضيافُ الإسلام، لا يأووْنَ إلى أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحد، إذا أتتْهُ صدقةٌ بعثَ بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتتْهُ هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءَني ذلك، فقلتُ: وما هذا اللبنُ في أهل الصُّفَّة؟ كنتُ أحقَّ أنا أن أُصيب مِنْ هذا اللَّبَن شرْبَةً أتقوَّى بِهَا، فإذا جاءُوا أَمرني فكنتُ أنا أعْطيهم، وما عَسى أنْ يَبلغني مِنْ هذا اللَّبَن، ولم يكنْ مِنْ طاعةِ الله وطاعَةِ رسُوْلهِ ﷺ بُدٌّ، فأتيتهم فدعَوتُهُمْ، فأقْبَلوا فاستأذَنُوا فأذن لهم، وأَخَذُوا مجالسهم منَ البيْتِ. قال: «**يا أبا هِرّ**»، قلتُ: لبَّيْك يا رسول الله، قال: «**خُذْ فأَعْطِهِمْ**»، فأخذتُ القَدَحَ فجعلتُ أعطيهِ الرَّجُل فيشْربُ حتَّى يرْوَى ثمَّ يَرُدُّ عليَّ القدحَ، فأُعطيه الرَّجُل فيشْرَبُ حتى يرْوَى ثمَّ يَرُدُّ عليَّ القدح حتى انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وقدْ رَوِيَ القوْمُ كلُّهم، فأخذ القدح فوضعهُ على يده فنظر إليَّ فتبسَّمَ فقال: «**يا أبا هِرّ**»، قلتُ: لبَّيْك يا رسول الله، قال: «**بقيتُ أَنا وأنتَ**»، قلت: صدقْتَ يا رسول الله، قال: «**اقْعُدْ فاشْرَبْ**» فقعدتُ فشرِبْتُ. فقال: «**اشْرَبْ**»، فشَربْتُ، فما زالَ يقولُ: «**اشْرَبْ**» حتى قلتُ: لا والذي بعثَك بالحقِّ ما أجدُ له مسْلكًا،

قال: «فأرِني» فأعطيته القدح فحمد الله وسمَّى وشرب الفضْلة[(١)].

• وعن طلحة بن عمرو البصري رضي الله عنه قال: كان الرجلُ منا إذا قدم المدينة فكان له بها عِرِّيف نزل على عريفه، وإن لم يكن له بها عريف نزل الصُّفَّة، فقدمت فنزلت الصُّفَّة فكان يجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مُدّ من تمر بين اثنين ويكسونا الخنف، فصلى بنا رسول الله ﷺ بعض صلاة النهار، فلما سلم ناداه أهل الصُّفَّة يمينًا وشمالًا: يا رسول الله، أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف، فمال رسول الله ﷺ إلى منبره فصعده فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر الشدة ما لقي من قومه حتى قال: «**ولقد أتى عليَّ وعلى صاحبي بضع عشرة وما لي وله طعام إلَّا البرير**»، قال: قلتُ لأبي حرب: وأي شيء البرير؟ قال: طعام رسول الله ﷺ تمر الأراك، فقدمنا على إخواننا هؤلاء من الأنصار، وعظم طعامهم التمر فواسونا فيه، والله لو أجد لكم الخبز واللحم لأشبعتكم منه، ولكن عسى أن تدركوا زمانًا حتى يُغدى على أحدكم بجفنة ويراح عليه بأخرى.

قال: فقالوا: يا رسول الله، أنحن اليوم خير أم ذاك اليوم؟ قال: «**بل أنتم اليوم خير، أنتم اليوم متحابون، وأنتم يؤمئذٍ يضرب بعضكم رقاب بعض**» أراه قال: «**متباغضون**».

• وعن المنذر بن جرير عن أبيه رضي الله عنه قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ في صدر النَّهار، قال: فجاءه قوم حُفاة عُراة مجتابي النِّمار[(٢)] أو

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب الرقاق باب (١٧) «فتح الباري» (١١/ ٢٨١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٤٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٥) (٤/ ٥٤٩) واللفظ له، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٧٦). وصححه الحاكم، والترمذي.

العَبَاءِ[١]، متقلِّدي السُّيوف، عامَّتهم من مُضَرَ، بل كلهم من مُضَرَ، فتمعَّر [٢] وجهُ رسول الله ﷺ لَمَّا رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالًا فأذَّن وأقامَ فصلَّى ثم خطبَ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء] والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [الحشر] تصدَّق رجلٌ من ديناره، ومن درهمه، ومن ثوبه من صاع بُرِّه من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرةٍ».

قال: فجاء رجلٌ من الأنصار بُصرَّة كادت كفُّهُ تَعْجِزُ عنها، بل قدْ عجِزتْ، قال: ثم تتابع الناسُ حتى رأيت كَوْمَيْن [٣] من طعامٍ وثيابٍ حتى رأيت وَجْهَ رسول الله ﷺ يتهلَّل [٤] كأنه مُذْهَبة [٥] فقال رسول الله ﷺ: **«من سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فلهُ أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزرُ من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من**

---

(١) النِّمار: جمع نَمِرة بفتحها، وهي ثياب صوف فيها تنمير. وقوله: مجتابي النمار، أي: خرقوها وقوروا وسطها راجع «شرح مسلم» للنووي (٧/ ١٠٢).

(٢) العباء: جمع عباءة وعباية لغتان: نوع من الأكسية.

(٣) أي: تغيَّر.

(٤) كومين: بفتح الكاف وضمها قال ابن سراج: هو بالضَّم اسم لما كُرِّم، وبالفتح المرة الواحدة والكُومة: الصبرة، والكوم: العظيم من كل شيء، والكوم: المكان المرتفع كالرابية. قال القاضي عياض: فالفتح هنا أولى؛ لأن مقصوده الكثرة، والتشبيه بالرابية.. راجع «شرح النووي».

(٥) أي: يستنير فرحًا وسرورًا.

أوزارهم شيء»[(١)].

• وعند الطبراني: قدم على رسول الله ﷺ وفدُ عبد القيس مجتابي النمار عليهم أثر الضر، فساؤه ما رأى من هيئتهم، فدخل منزله ثم خرج فأمر بالصدقة وحرض عليها ثم قال: «**ليتصدق الرجل من صاع بره..**»[(٢)].

• عن عباد بن شرحبيل رضي الله عنه قال: أصابَتْني سَنَة [(٣)] فدخلتُ حَائِطًا من حِيْطان المدينة، ففركتُ سُبْلًا فأكلتُ وحملتُ في ثوبي، فجاء صاحبه فَضَربني وأخذ ثَوْبي، فأتيتُ رسول الله ﷺ فقال له: «**ما عَلَّمت إذْ كان جَاهِلًا، ولا أَطْعَمْتَ إذْ كان جَائِعًا**»، أو قال: «**سَاغِبًا**»، وأمره فردَّ عليَّ ثوبي وأَعْطاني وسقًا [(٤)] أو نصف وسق من طعام [(٥)].

• وعند النسائي: قدمتُ مع عُمومتي المدينة، فدخلتُ حَائِطًا مِن حِيْطانِها ففركتُ منْ سنبله، فجاء صاحب الحائط فأخذ كِسَائي وضَربني،

---

(١) ذكر القاضي وجهيْن في «تفسيره»: أحدهما: معناه فضة مذهبة فهو أبلغ شيء في حسن الوجه وإشراقه. والثاني: شبَّهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب، وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خيوطًا مذهبة يرى بعضها أثر بعض.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٥٨)، ومسلم - كتاب الزكاة باب (٢٠) (٢/ ٧٠٣) رقم (١٠١٧) واللفظ له وللنسائي (٥/ ٥٦)، والطيالسي «منحة المعبود» (٢/ ٣٨) (٢٠٥٤)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٠٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٩٢)، وابن حبان (٣٢٩٧)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٧٣) (٢/ ٣٧٤) والبيهقي (٤/ ١٧٥).

(٣) السَّنة: القحط والجدب.

(٤) الوسق: ستون صاعًا.

(٥) رواه أبو داود في «سننه»- كتاب الجهاد- باب: في ابن السبيل يأكل من التمر (٣/ ٨٩).

فأَتيتُ رسول الله ﷺ أستعدي عليْه، فأرسلَ إلى الرَّجل فجاؤوا به، فقال: «**مَا حملكَ عَلى هذا؟**». فقال: يا رسول، إنه دخل حائطي فأخذ منْ سُنْبله ففركَهُ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما علَّمتَهُ إذْ كان جاهلًا، ولا أطعمتَهُ إذْ كان جَائعًا، ارْدُدْ عليْه كِسَاءَه**» وأمر لي رسول الله ﷺ بوسق أو نصف وسق[١]، [٢].

• وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: شهدت الأضحى مع رسول الله ﷺ بالمصلي، فلما قضى خطبته أُتي بكبش فذبحه بيده، وقال: «**بسم الله وبالله، اللهم إن هذا عني وعمن لم يضح من أُمَّتي**»[٣].

□ قال الحَليمي: «وهذا أبلغ ما يكون من البرِّ والشفقة»[٤].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبيِّ ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله، هلكت، قال: «**ما لك؟**» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**» قال: لا، قال:

---

(١) «سنن النسائي» - آداب القضاة باب- الاستعداء (٨/ ٢١٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٦٦) ورواه أبو داود، والنسائي وابن ماجه (٢/ ٧٧١)، وأبو داود الطيالسي، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٣٣). وصححه الحاكم (٤/ ١٣٣) ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٢٥٦) في ترجمة عباد ابن شرحبيل رضي الله عنه: روى حديثه أبو داود، والنسائي وابن أبي عاصم بإسناد صحيح. وقال الذهبي في «الميزان» (١/ ٤٠٢): هذا إسناد صحيح غريب - انظر «الأربعون في الشفقة والرحمة» لعطا الله عبد الغفار أبو مطيع السندي (ص٥٦- ٥٧)- طبع أضواء السلف.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٣٦٢).

(٤) «شعب الإيمان» (٢/ ١٦٥).

«**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا، قال: «**فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟**» قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أتى النَّبيُّ ﷺ بعَرَق فيها تمر - والعرق: المكتل - قال: «**أين السائل؟**» فقال: أنا، قال: «**خذ هذا فتصدق به**»، فقال الرجلُ: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرَّتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحْك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «**أطعمه أهلك**»[1].

ومن ذلك: شفقته على أعرابي:

□ عن أنس بن مالك ﷺ: كان النَّبيُّ ﷺ رحيمًا، وكان لا يأتيه أحدٌ إلَّا وعده، وأنجز له إن كان عنده، وأقيمت الصلاة وجاء أعرابي فأخذ بثوبه فقال: إنَّما بقي من حاجتي يسيرة وأخاف أن أنساه، فقام معه حتى فرغ من حاجته ثم أقبل فصلى»[2].

رحمته بالصبيان والعيال وآل بيته:

• عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ: «**كان أرحم الناس بالصبيان والعِيال**»[3].

---

(١) رواه البخاري - كتاب الصوم - باب ٣٠ «فتح الباري» (٤/ ١٦٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (فضل الله الصمد) (١/ ٣٧٥)، وفي «التاريخ الكبير» (٤/ ٢١١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ١٢٩) (٢٠٩٤)، و«صحيح الجامع» (٤٨١٥).

(٣) صحيح: رواه عساكر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٨٩)، و«صحيح الجامع» (٤٧٩٧) وهو عند مسلم (٢٣١٦) «ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله».

• وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ: «**كان رحيمًا بالعيال**»[(١)].

وبأبي وأمي رسول الله ﷺ أرحم البشر هذه رحمته للصبيان:

أ- ملاطفته لهم:

• عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**»- طائر كان يلعب به- قال: ونُضح بساط لنا، قال: فصلّى عليه وصفَّنا خلفه[(٢)].

□ قال الإمام النووي رحمه الله: «أما النغير: فبضم النون، تصغير النغر بضمها وفتح الغين المعجمة، وهو طائر صغير، جمعه نغران»[(٣)].

ب- دعاؤه للصبي المريض:

□ عن الجعيد بن عبد الرحمن قال: «رأيت السائب بن يزيد بن أربع وتسعين جلدًا معتدلًا فقال: قد علمت ما مُتِّعتُ به – سمعي وبصري- إلَّا بدعاء رسول الله ﷺ، إن خالتي ذهبت بي إليه، فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي شاك، فادع الله له، قال: فدعا لي رسول الله ﷺ».

□ وفي رواية: «إن ابن أختي وقع، فَمسحَ رأسي، ودعا لي بالبركة، وتوضّأ فشربت مِنْ وَضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه الطيالسي عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٩٤)، و«صحيح الجامع» (٤٨١٤).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٩، ٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠)، وأحمد (٣/ ١١٩)، والترمذي (١٩٨٩)، وابن ماجه (٣٧٢٠، ٣٧٤٠).

(٣) «شرح مسلم» للنووي (٧/ ٣٨٢- ٣٨٣).

(٤) رواه البخاري (٣٥٤٠، ٣٥٤١، ٥٦٧٠).

جـ- تقبيله لهم، ومداعبته لهم:

• وقد مرّ قوله ﷺ لأعرابي لا يقبل صبيانه «**وأوَ أَمْلِكُ إن كان الله نزع منكم الرحمة؟**».

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبِّل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه من لا يَرحم لا يُرحم**»(١).

• فانظر، وفقني الله وإياك، كيف كان يفعل النبي ﷺ، وصحابته الكرام، من تقبيل الصبيان، فأنكر الأعراب ذلك، فاتهمهم النبي ﷺ بأن الرحمة قد نُزعت منهم، ولا تُنزع إلَّا من شقي، كما في الحديث، بل وجعل ﷺ تقبيل الأولاد علامة على الرحمة، بل وسببًا لنيل رحمة الله عز وجل، فكما أن مَن لا يَرحم لا يُرحَم، كذلك، بمفهوم المخالفة، يُرحم مَن يَرحم، فالراحمون يرحمهم الرحمن، «**وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(٢).

د- وسلامه ﷺ عليهم إذا مرّ بهم:

□ فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ على غلمان فسلّم عليهم.

وفي رواية أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمرّ بصبيان فسلَّم عليهم»(٣).

□ قال الإمام النووي رحمه الله: «وفيه: استحباب السلام على الصبيان

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٨)، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (١٩١١).

(٢) «المرحومون في السنة» (ص٧٨).

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨)، والترمذي (٢٦٩٦)، وأبو داود (٥٢٠٢).

المميزين، والندب إلى التواضع، وبذل السلام للناس كلهم، وبيان تواضعه ﷺ، وكمال شفقته على العالمين»[(١)] اهـ.

ومن شفقته ﷺ على أطفال المسلمين:

هـ- تحنيكه ﷺ لمن ولد من أولاد المسلمين:

□ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «وُلد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ، فسمّاه إبراهيم، فحنّكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إلي، وكان أكبر ولد أبي موسى»[(٢)].

□ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أتى النبي ﷺ بصبي يحنّكه، فبال عليه، فأتبعه الماء»[(٣)].

□ وعن أسماء رضي الله عنها: «أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا مُتِمٌّ، فأتيت المدينة، فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنّكه بالتمرة، ثم دعا له فبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام، ففرحوا به فرحًا شديدًا؛ لأنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم»[(٤)].

و- رحمته ﷺ بالولد الميت وبكاؤه عليه:

• فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أمرني رسول الله ﷺ فأتيته بابنة

---

(١) «شرح مسلم» للنووي (٧/ ٤٠٤) باب استحباب السلام على الصبيان.

(٢) رواه البخاري (٥٤٦٧)، (٦١٩٨).

(٣) رواه البخاري (٥٤٦٨)، ومسلم (٢٨٦).

(٤) رواه البخاري (٥٤٦٩) ومسلم.

زينب، ونفسها تقعقع كأنها في شن، فقال رسول الله ﷺ: **«لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ إلى أجل»** قال: فدمعت عيناه، فقال له سعد بن عبادة: أترق؟! أوَلم تَنْهَ عن البكاء؟! فقال رسول الله ﷺ: **«إنما هي رحمة، جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»**[(١)].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين - وكان ظئرًا لإبراهيم- فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك - وإبراهيم يجود بنفسه- فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: **«يا ابن عوف، إنها رحمة»** ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: **«إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلَّا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»**[(٢)].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا حُضِرتْ بنتٌ[(٣)] لرسول الله ﷺ صغيرة، فأخذها رسولُ الله ﷺ فضمَّها إلى صدْره ثم وضع يده عليها، فقضت وهي بين يدي رسول الله ﷺ، فبكت أُم أيمن فقال لها رسول الله ﷺ: **«يا أُم أيمن أتبكين ورسول الله ﷺ عندك؟»**. فقالت: ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي. فقال رسول الله ﷺ: **«إنِّي لستُ أبكي ولكنَّها رَحْمَة»**. ثم قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من**

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣) «الفتح» (٣/ ١٧٢)، ومسلم، وأحمد (٣/ ١١٢) وابن سعد، والبيهقي (٢/ ٢٦٣)، والطيالسي في «مسنده» والقين: الحدّاد. والظئر: التي ترضِع غير ولدها، ويُطلَق على زوجها.

(٣) لعلها ابنة زينب بنت رسول الله ﷺ انظر «فتح الباري» (٣/ ١٥٦).

بيْن جنبيْه وهو يحمد الله ﷻ» (١).

وعند أحمد (٢): «وهي تجود بنفسها، فوقع عليها فلم يرفع رأسه حتى قبضت، قال: فرفع رأسه وقال: **«الحمد لله، المؤمن بخير تنزع نفسه بين جنبيه وهو يحمد الله ﷻ»**.

شفقته ﷺ على ابن ابنته:

• عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلتْ ابنةُ النبيِّ ﷺ إليه: أنَّ ابنًا لي قُبِضَ، فأتنا، فأرسل يُقرئ السلام ويقولُ: **«إنَّ لله مَا أخذ، ولَه مَا أعطى، وكُلٌّ عنده بأجَلٍ مسمًّى، فلْتَصْبِرْ ولْتَحْتَسِبْ»**، فأرسلتْ إليهِ تُقسمُ عليه ليأْتِيَنَّها، فقامَ ومعه سعدُ بنُ عُبادةَ ومعاذُ بن جبلٍ وأبيُّ بنُ كعبٍ وزيدُ بن ثابت ورجالٌ، فرُفِعَ إلى رسول الله ﷺ ونفَسُهُ تقعْقَعُ - قال: حسبته أنَّه قال: كأنها شنٌّ - ففاضَتْ عيناهُ، فقال سَعْدٌ: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: **«هذه رحمةٌ جَعَلَها اللهُ في قُلوبِ عبادِه، وإنَّما يرْحَمُ اللهُ مِنْ عبَادِه الرُّحماء»** (٣).

وفي رواية شعبة عن عاصم عنده: فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: **«هذِه رحمةٌ وضَعَها اللهُ في قُلوبِ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ، ولا يرحمُ اللهُ من**

---

(١) «سنن النسائي» - كتاب الجنائز - باب في البكاء على الميت (٤/ ١١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٧٣) (١/ ٢٦٨) والنسائي (٤/ ١١)، والترمذي في «الشمائل» (ص٢٥٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٩٤) والبزار «كشف الأستار» (١/ ٣٨٣) وصححه الضياء المقدسي، ورمز له السيوطي بالحسن، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٣٢).

(٣) «صحيح البخاري» - كتاب الجنائز - باب (٣٢) «الفتح» (٣/ ١٥١).

عباده إِلَّا الرُّحماءَ»[(١)].

شفقته على الحسن والحسين رضي الله عنهما:

• عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يَخْطُبنَا، إِذْ جاء الحسنُ والحسيْنُ عليهما السلام عليهما قمِيصَانِ أحْمرانِ يمْشيان ويعْثُرانِ، فنزل رسولُ الله ﷺ مِنَ المنْبَرِ فحملهُمَا ووضعهُمَا بيْنَ يديْهِ، ثمَّ قال: «صَدَقَ اللهُ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، **فنظَرْتُ إِلَى هذَيْن الصَّبِيَّيْنِ يمْشِيانِ ويعْثُرانِ فلمْ أصْبِر حتَّى قطَعْتُ حَدِيْثي ورفعْتُهما**»[(٢)].

• وفي رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند ابن مردويه: أنَّ رسول الله ﷺ بينما هو يخطب النَّاس عَلى المنبر خرج الحُسَيْن[(٣)] بن علي رضي الله عنه فوطئ في ثَوْبٍ كان عليْه فسقط فبكى، فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ عن المنْبر، فلَمَّا رأى

---

(١) «صحيح البخاري»- كتاب الجنائز- باب (٩٠) «الفتح» (١٠/ ١١٨)، رواه البخاري ومسلم (٢/ ٦٣٥- ٦٣٦)، وأحمد (٥/ ٢٠٤) (٥/ ٢٠٧)، وأبو داود (٣/ ٤٩٢)، والنسائي (٤/ ١٩)، والبيهقي (٤/ ٩٥، ٦٨)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٥١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي- المناقب (٥/ ٦٥٨ رقم ٣٧٧٤) واللفظ له، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، وفي «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٧١) رقم (١٣٥٨) وابن أبي شيبة (١٢/ ٩٩)، والنسائي (٣/ ١٥٦)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٠) رقم (٣٦٠٠)، وابن خزيمة (٣/ ١٥٢) رقم (١٨٠٢)، (٢/ ٣٥٥) رقم (١٤٥٦)، وابن حبان (٧/ ٦١٢ رقم ٦٠٠٦)، والحاكم (٤/ ١٨٩)، وابن عساكر (٤/ ٩١٠) وكذا رواه أبو يعلى وابن راهوية والبزار، وابن مردويه والضياء المقدسي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، والحاكم، والضياء المقدسي، والألباني.

(٣) عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٣٤): الحسن.

الناسُ أسْرعوا إلى الحُسين رضي الله عنه يتعاطونه، يعطيه بعضهم بعضًا حتَّى وَقع يَدِ في رسول الله ﷺ فقال: «قَاتَلَ اللهُ الشَّيْطَانَ، إنَّ الوَلَدَ لفِتْنَةٌ، والَّذِي نفْسِي بِيَدِهِ مَا دَريتُ أنِّي نَزلْتُ عَنْ مِنْبَرَي».

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة العشاء، وكان الحسن والحسين يثبان على ظهره، فلما صلَّى قال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله، ألا أذهب بهما إلى أُمِّهما؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا»، فبرقت برقة فما زالا في ضوءها حتى دخلا إلى أمهما»[(١)].

شفقته ﷺ على أمامة بنت زينب ابنته:

□ عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُصلِّي وهو حَامِلٌ أمامةَ بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سَجَد وَضَعَها، وإذا قام حَمَلها»[(٢)].

□ وعند مسلم: «رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يَؤُمُّ الناسَ وأُمامة بنت أبي العاص وهي ابنة زينب بنت النَّبيِّ ﷺ عَلى عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفَع من السُّجود أعادها»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٥١٣)، و«فضائل الصحابة» (٢/ ٧٨٥) رقم (١٤٠١)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٤٥)، والحاكم (٣/ ١٦٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأقرَّه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» (٢/ ١٨).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١٧٠) باب: جامع الصلاة، والبخاري (١/ ٥٩٠)، ومسلم، وأبو داود، والدارمي.

(٣) رواه مسلم- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب جواز حمل الصبيان في الصلاة (١/ ٣٨٥-٣٨٦).

□ وعند أبي داود قال: «بينما نحن ننتظر رسول الله ﷺ للصَّلاة في الظُّهر أو العصر، وقد دعاه بلال للصَّلاة إذْ خرج إلينا وأُمامة بنت أبي العاص بنت ابنته عَلى عنقه، فقام رسول الله ﷺ في مصلاه وقمنا خلفه وهي في مكانها الذي هي فيه، قال: فكبَّر فكبرنا، قال: حتى إذا أراد رسولُ الله ﷺ أن يركع أخذَها فوضعها ثم ركع وسَجَدَ، حتى إذا فرغ من سجوده ثم قام أخذها فردها في مكانها، فما زال رسول الله ﷺ يصنع هذا ذلك في كلِّ ركعةٍ حتى فرغَ من صلاته ﷺ»[1].

□ قال ابن حجر في «الفتح»: «وفيه تواضعه وشفقته على الأطفال وإكرامه لهم جبرًا لهم ولوالديهم»[2].

شفقته على صبيان بيت النبوَّة رضي الله عنهم:

□ عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قَدِمَ منْ سفرٍ تُلقِّي بصبْيَانِ أهْلِ بيته، قال: وإنَّهُ قَدِمَ منْ سفر فسُبق بي إليْهِ فحملني بين يديْه، ثُمَّ جيء بأحدِ ابْنَي فاطمة رضي الله عنها فأردفَهُ خلْفَه، قال: فأدْخَلنا المديْنة ثلاثة على دَابة»[3].

□ وعند أبي داود: كان النبيُّ ﷺ إذا قَدِم منْ سَفَر استُقبل بنا فأيُّنَا أولًا جعله أمامه، فاستُقبل بي فحملني أمامَه، ثم استقبل بحَسَن أو حُسَين

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١/ ٥٦٣) واللفظ له، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٢٦٥).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥٩٢).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» - فضائل الصحابة- باب فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما (٤/ ١٨٨٥).

فجعله خلْفَه فدخلنا المدينة وإنا كذلك»[١].

□ وعند أحمد: «لو رأيتَني وقُثم وعبيد الله ابني عبَّاس ونحنُ صبيان نلعبُ إذْ مرَّ النبيُّ ﷺ عَلى دابَّةٍ فقال: «**ارفعوا هذا إليَّ**»، قال: فحملني أمامه، وقال لقثم: «**ارفعوا هذا إليَّ**» فجعله وراءَهُ، وكان عُبيد الله أحبَّ إلى عباس من قُثم فما استحى من عمِّه أن حمل قُثَمًا وتركه، قال: ثم مسح على رأسي ثلاثًا، وقال كلَّما مسح: «**اللَّهُمَّ اخلُفْ جعفرًا في ولده**»، قال: قلتُ لعبد الله: ما فعل قُثم؟ قال: استشهد.

قال: قلتُ: الله أعلم بالخير ورسوله بالخير. قال: أجل[٢].

شفقته على آل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

• عن أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها قالت: لَّما أصيب جعفر وأصحابه دخلت على رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين منيئة وعجنت عجيني وغسلت بنيَّ ودهنتهم ونظفتهم فقال رسول الله ﷺ: «**ائتني ببني جعفر**»، قالت: فأتيته بهم، فشمهم وذرفت عيناه، فقلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أَبَلَغَكَ عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «**نعم، أصيبوا هذا اليوم**». قالت: فقمت أصيح، واجتمع إليَّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: «**لا تُغفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا؛ فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم**»[٣].

---

(١) «سنن أبي داود» (٣/ ٥٩) رقم (٢٥٦٦).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٢٠٥).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٧٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٥٧): روى أبو داود وغيره بعضه، ورواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال «الصحيح».

شفقته على ابنته زينب رضي الله عنها:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب رضي الله عنها في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها على أبي العاص، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقةً شديدة وقال: «**إنْ رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها الذي لها**». قالوا: نعم. وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلًا من الأنصار، فقال: «**كونا ببطن يَأجج**[١] **حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها**»[٢].

شفقة النبي ﷺ على أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

• عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان يقولُ لهنَّ: «**إنَّ أمرَكُنَّ لَمَّا يهمُّني بعدي، ولن يصبر عليكُنَّ إلَّا الصابرون**»، ثم تقول لي: سقى الله أباك من سلسبيل الجنة. تريد عبد الرحمن بن عوف، وكان أعطى نساء رسول الله ﷺ مالًا بأربعين ألفًا وصلهن به»[٣].

---

(١) يَأجِج: قال المنذري في «مختصر سنن أبي داود» (٤/ ٢٦): موضع على ثمانية أميال من مكة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣/ ١٤٠) رقم (٢٦٩٢) وأحمد (٦/ ٢٧٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٤٢٨)، والحاكم (٣/ ٢٣، ٢٣٦، ٣٢٤) و(٤/ ٤٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٥٤) وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي».

(٣) صحيح: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٣٢) رقم (١٢٥٨).

تخفيفه ﷺ الصلاة عند سماع بكاء الصبي:

• عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنِّي لأقومُ في الصَّلاة أريدُ أن أطوِّل فيها فأسمعُ بكاء الصَّبِيِّ فأتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أنْ أشقَّ عَلى أمِّه**»(١).

□ وفي رواية ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه: قال أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصَّبي مع أمِّه وهو في الصلاة فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة»(٢).

شفقته ورحمته لكبار الرجال من صحابته رضي الله عنهم:

• قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: اشتكى سعد ابن عبادة شكوى، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل وجده في غشيته، فقال: قد قضى يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ، فلما بكى رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «**ألا تسمعوني، إن الله جلّ وعلا لا يعذِّب بدمع العينن ولا بحزن القلب، ولكن يعذِّب بهذا أو يرحم**» أشار إلى لسانه (٣).

ومن شفقته ﷺ على قومه:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسولِ الله ﷺ رجُلان فكلَّماه

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٠١- ٢٠٢) «الفتح»، وأحمد (٥/ ٣٠٥)، وابن أبي شيبة، وأبو داود (١/ ٤٩٩ رقم ٧٨٩) وابن ماجه (١/ ٣١٦- ٣١٧).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٤٢)- الطهارة- باب (٣٧)، وأحمد (٣/ ١٥٦)، وأبو يعلى (٣/ ٣٣٢، ٢٦١، ٣٨٤)، وأبو عوانة (٢/ ٩٧)، وأبو الشيخ والبيهقي (٢/ ٣٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤).

بِشيْءٍ لا أدري ما هو، فأغضباه فلعنَهُمَا وسبَّهُما، فلمَّا خَرجا قلتُ: يا رسول الله! من أصاب من الخير شيئًا ما أصابَهُ هذان. قال: «**وما ذاك؟**» قالت: قلتُ: لعنتهُمَا وسببتهُما. قال: «**أو ما علمتِ ما شارطتُ عليه ربِّي؟ قلتُ: اللهُمَّ إنَّما أنا بشر، فَأيُّ المسْلمين لعنتُه أو سببتُه فاجْعلهُ له زكاةً وأجرًا**»[1].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: كانتْ عندَ أمِّ سُلَيم يَتيمَةٌ – وهي أمُّ أنس– فرأَى رسولُ الله ﷺ اليتيمَةَ فقال: «**آنْتِ هِيَهْ، لقدْ كَبِرْتِ لا كبِرَ سِنُّكِ**»، فرجعَتِ اليَتيمَةُ إلى أمِّ سُلَيْم تبْكي، فقالت أمُّ سُلَيْم: ما لك يا بُنية؟! قالت الجاريةُ: دعا عليَّ نبيُّ الله ﷺ أنْ لا يُكْبر سنِّي، فالآنَ لا يكبرُ سِنِّي أبدًا أوْ قالت قَرْني. فخرجتْ أمُّ سُليم مسْتَعجلةً تلوثُ خمارَهَا حتَّى لقيتْ رسولَ الله ﷺ، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**ما لك يا أُمَّ سُلَيْم؟**» فقالت: يا نبيَّ الله، أَدَعَوْتَ على يَتيمتي؟ قال: «**وَمَا ذاكِ يا أمَّ سُلَيْم؟**» قالت: زَعمتْ أنَّكَ دعوْتَ أن لا يكْبَرَ سِنُّها ولا يكبَرَ قَرْنُها. قال: فضحك رسولُ الله ﷺ ثمَّ قال: «**يا أُمَّ سُلَيْم! أما تعْلَمِين أنَّ شَرْطي على رَبِّي اشترطتُ على ربِّي فقلت: إنَّما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغْضَبُ كما يَغْضَبُ البشرُ، فأيُّما أحَد دعَوْتُ عليهِ منْ أمَّتي بدَعْوةٍ ليسَ لها بأهْلٍ أنْ يجْعلها لَهُ طهُورًا وزكاةً وقُربةً يُقرِّبُهُ بها منهُ يوم القيامة**»[2].

---

(١) رواه مسلم – كتاب البر والصلة والأدب– باب (٢٥) (٤/ ٢٠٠٧)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٥).

(٢) أخرجه مسلم، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٥١٨) (٥٧٦٤).

ومن شفقته على الشباب:

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القومُ عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: «**أدنه**» فدنا منه قريبًا قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأُمك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأُمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال:«**أفتحبه لأُختك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**». قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللَّهُمَّ اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه**»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيءٍ [(١)].

شفقته على جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

• عن جابر رضي الله عنه قال: غزا رسولُ الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه، شهدت تسع عشرة، غبتُ عن اثنتين [(٢)]، فبينا أنا معه في بعض غزواته [(٣)]، إذ أعيا ناضحي [(٤)] تحت الليل فبرك، وكان رسول الله ﷺ في آخرنا في أخريات الناس فيزجي [(٥)] الضَّعيفَ ويردف ويدعو لهم، فانتهى

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٦- ٢٥٧).

(٢) هما غزوة بدر وأحد، كما عند مسلم (٣/ ١٤٤٨)، وأحمد (٣/ ٣٢٩).

(٣) هي غزوة ذات الرقاع.

(٤) أي: جملي.

(٥) أي: يُسوق، ليلحقه بالرِّفاق انظر «النهاية» (٢/ ٢٩٧).

إليَّ وأنا أقولُ: يا لهف أُمَّتاه! وما زال لنا ناضح سواء. فقال: «**من هذا؟**». قلتُ: أنا جابر بأَبي وأُمي يا رسول الله. قال: «**ما شأنك؟**». قلتُ: أعيا ناضحي. فقال: «**أمعك عصا؟**». قلتُ: نعم، فضربته ثم بعثه ثم أناخه ووطئ على ذراعه وقال: «**اركبْ**»، فركبت فسايرته فجعل جملي يسبقه. فاستغفر لي تلك الليلة خمسًا وعشرين مرة. فقال لي: «**ما ترك عبد الله من الولد؟**» يعني: أباه. قلتُ: سبع نسوة. قال: «**أترك عليه دينًا؟**». قلتُ: نعم. قال: «**فإذا قدمت المدينة فقاطعهم فإن أبوا فإذا حضر جداد نخلكم فآذنِّي**»، وقال لي: «**هل تزوجت؟**». قلتُ: نعم. قال: «**بمن؟**». قلتُ: بفلانة بنت فلان – بأيِّم كانت المدينة-. قال: «**فهلا فتاة تلاعبها وتلاعبك؟**». قلتُ: يا رسول الله، كنَّ عندي نسوة خرق [١]- يعني أخواته- فكرهتُ أن آتيهن بامرأة خرقاء، فقلتُ: هذه أجمع لأمري. قال: «**فقد أصبت ورشدت**». فقال: «**بكم اشتريت جملك؟**». قلتُ: بخمس أواق من ذهب. قال: «**قد أخاناه**»، فلما قدم المدينة أتيته بالجمل، فقال: «**يا بلال أَعطه خمس أواق من ذهب يستعين بها في دين عبد الله وزده ثلاثًا واردد عليه جمله**». قال: «**هل قاطعت غرماء عبد الله؟**». قلتُ: لا يا رسول الله. قال: «**أترك وفاء؟**». قلتُ: لا. قال: «**لا عليك إذا حضر جداد نخلكم فآذني**»، فآذنته فجاء فدعا لنا، فاستوفى كل غريم ما كان يطلب تمرًا ووفاء، وبقي لنا ما كنَّا نجدُّ وأكثر، فقال رسول الله ﷺ: «**ارفعوا ولا تكيلوا**» فرفعنا فأكلنا منه زمانًا [٢].

---

(١) جمع خرقاء وهي الحمقاء الجاهلة.

(٢) صحيح: رواه ابو الشيخ في «أخلاق النبي»- ما رُوي في رفقة بأمته ﷺ (ص٦٨) =

رحمته ﷺ بالنساء:

• لقد أوصى رسول الله ﷺ في أعظم الأيام يوم عرفة بالنساء فكان مما قاله بأبي هو وأمي: «**فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»(١).

□ قال الإمام النووي رحمه الله في معرض الكلام على فوائد هذا الحديث العظيم: «فيه: الحث على مراعاة حق النساء، والوصية بهن، ومعاشرتهن بالمعروف، وقد جاءت أحاديث كثيرة صحيحة في الوصية بهن، وبيان حقوقهن، والتحذير من التقصير في ذلك»(٢) اهـ.

□ ومن رحمته بالأمهات تخفيف الصلاة عند سماع بكاء الأطفال كما مرّ سابقًا من ذلك:

رحمته ﷺ للنساء الباكيات على موتاهن:

• فعن عتيك بن الحارث: أن جابر بن عتيك أخبره أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت، فوجده قد غلب عليه، فصاح به، فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: «**غُلبنا عليك يا أبا الربيع**»، فصاحت النسوة وبكين وجعل ابن عتيك يُسكتهن، فقال رسول الله ﷺ: «**دعهن،**

بلفظه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ووافقه الذهبي، وحسّنه النووي في «المجموع» (٤/ ٢٤٨) وأخرجه مسلم مختصرًا.

(١) «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(٢) «شرح مسلم» للنووي (٤/ ٤٤٣- ٤٤٤).

فإذا وجب فلا تبكين باكية» قالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال: «**إذا مات**» قالت ابنته: والله إني كنت لأرجو أن تكون شهيدًا، فإنك كنت قد قضيت جهازك؛ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته، وما تعدُّون الشهادة؟**». قالوا: القتل في سبيل الله. قال رسول الله ﷺ: «**الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمع شهيد**»[(١)].

ومن رفقه ﷺ:

□ عن جابر بن سمرةَ رضي الله عنهما قال: «صلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ صلاة الأولَى، ثُمَّ خرج إلى أهلِهِ وخرجْتُ معه، فاستقبله ولْدانٌ فجعل يمْسَحُ خَدَّيْ أحدهمْ واحدًا واحدًا. قال: وأمَّا أنا فمَسَحَ خَدِّي. قال: فوجدْتُ لِيَدهِ بَرْدًا أوْ رِيحًا كأنَّمَا أخْرَجها منْ جُؤْنَةِ عطَّارٍ»[(٢)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم الطُّفيلُ بن عمرٍو الدَّوسيُّ وأصحابهُ على النبيِّ ﷺ، فقالوا: يا سول الله إنَّ دَوْسًا عصَتْ وأبَتْ فادْعُ الله عليها،

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٦)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (٤/ ١٣)، وابن حبان (٣١٨٩، ٣١٩٠) «الإحسان»، والحاكم (١/ ٣٥١- ٥٣٢)، والبيهقي (٤/ ٦٩- ٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥٣٢) وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين خلا عتيك بن الحارث، روى له مالك في «الموطأ» ووثّقه ابن حبان، على أن للحديث شواهد كثيرة منها ما رواه البخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (١٩١٤) عن أبي هريرة. والمرأة تموت بجمع أي: تموت بحملها، أي: وهو مجتمع فيها. أو هي التي تموت بِكْرًا.

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٩).

فقل: هلكتْ دَوْسٌ. قال: «**اللهم اهْدِ دَوْسًا وَائتِ بِهِمْ**»(١).

• عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ منْ أَحْسَنِ الناس خُلقًا، فأرسَلَني يوْمًا لحاجَةٍ فقلتُ: والله لا أذْهبُ! وفي نفْسي أنْ أذْهبَ لِمَا أمَرَني به نبيُّ الله ﷺ فخرَجْتُ حتَّى أمُرَّ على صبْيانٍ وهم يلعبون في السُّوقِ فإذا رسول الله ﷺ قدْ قَبَضَ بقفايَ مِنْ ورائي، قال: فنظرتُ إليه وهو يضحكُ فقال: «**يا أُنَيْسُ أذَهَبْ حَيْثُ أمَرْتُكَ؟**». قال: قلت: نعمْ أنا أذهبُ يا رسول الله»(٢).

• وقال ﷺ: «**لولا أن أشُقَّ على أمتي لأمرتُهم بالسِّواك عند كلِّ صلاة**»(٣).

• وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أن أشُقَّ على أمتي لأمرتهم بالسِّواك عند كل صلاة، ولأَخَّرت العِشاء إلى ثلث الليل**»(٤).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء، ومع كل وضوء بسواك**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٣١٠).

(٣) رواه مالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وأحمد، وأبو داود، والنسائي عن زيد بن خالد الجهني.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والضياء، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٧)، و«صحيح الجامع» (٥٣١٥).

(٥) حسن: رواه أحمد، والنسائي عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣١٨).

رحمته بالجنِّ:

• عن عامر الشعبي قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟. فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود، فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فقال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذ هو جاء من قِبل حراء، فقلنا: يا رسول الله، فقدناك، فطلبناك، فلم نجدك، فقال: «**أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن**»، قال: فانطلق بنا، فأرانا نيرانهم وسألوه الزاد، فقال: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه، يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم**»، فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تستنجوا بالعظم ولا بالبعر، فإنه زاد إخوانكم من الجن**»[1].

□ قال الإمام النووي رحمه الله في شرح «مسلم» (٤/ ١٧٠) معنى: «استطير»: طارت به الجن، ومعنى «اغتيل»: قتل سرًّا، والغِيلة - بكسر الغين-: هي القتل في خفية. اهـ.

• وفي الحديث: رحمة النبي ﷺ بالجن حيث قال: «**أتاني داعي الجن فذهبت معه**»، وفيه من الموافقة، وعدم الممانعة في ذهابه إليهم واستجابته لدعوتهم، وفيه: «**فقرأت عليهم القرآن**» رأفة وشفقة بهم، في دعوتهم، والرغبة في هدايتهم، ورحمتهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور، ثم بعد ذلك تخصيص طعام لهم، وعلف لدوابهم.

• ولتلحظ، وفّقني الله وإياك لمحابه، قوله ﷺ: «**فإنه زاد إخوانكم من**

---

(١) رواه مسلم (٤٥٠).

الجن»، فلفظ الأخوة يُشعر بالرأفة والرحمة، وأن لهم من الحقوق ما لبني البشر من المؤمنين.

فسبحان مَن أودع هذه الرحمة في قلب النبي الكريم ﷺ»[١].

رحمته وشفقته بالعجماوات من الحيوان والطير:

□ عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: لقد رأيتُ من رسول الله ﷺ ثلاثًا ما رآها أحدٌ قبلي ولا يراها أحد من بعدي، لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت..

قال: وكنت عنده جالسًا ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ جَاءه جمَلٌ يخبب[٢] حتَّى صوّب بجِرانهِ بَيْن يَديْه ثمَّ ذَرفتْ عيناهُ، فقال: «**وَيْحَكَ، انظرُ لمنْ هذا الجمل، إنَّ لهُ لشأنًا**»، قال: فخرجتُ ألتَمِسُ صاحبَه فوجدتُهُ لرجلٍ من الأنْصار، فدعوتُهُ إليْه فقال: «**مَا شأن جَملِكَ هذا؟**» فقال: ومَا شأْنه؟. لا أدْري والله ما شأْنُه، عَمِلْنا عليه ونضحْنا عليه حتَّى عجَزَ عن السّقايةِ فائْتَمرنَا البارِحَة أنْ ننَحْرهُ ونُقَسِّم لَحمَهُ. قال: «**فلا تَفْعل، هَبْهُ لي أَوْ بِعْنِيْه**». فقال: بلْ هو لك يا رسول الله قال: فوسَمهُ بِسمة الصَّدقةِ ثُمَّ بَعَثَ بهِ[٣].

● **وفي رواية عبد الله بن حفص عن يعلى بن مرة:**

بيْنَا نحنُ نسير معه مررنا ببعير يُسْنَى عليه، فلمَّا رآهُ البعير جَرْجَرَ ووضع جرَانَهُ، فوقف عليه النبيُّ ﷺ فقال: «**أيْنَ صاحِبُ هذا البعير؟**» فجاءَ، فقال: «**بِعنيهِ**»، فقال: لا بل أهبه لك، فقال: «**لا، بِعينهِ**»، قال: لا بل

---

(١) «المرحومون في السُّنَّة» (ص٨٨- ٨٩).

(٢) في «الترغيب» للمنذري، و«الشمائل» لابن كثير: «ضَرَبَ».

(٣) «مسند أحمد» (٤/ ١٧٠).

نَهَبُهُ لك وإِنَّهُ لأَهْلِ بيتٍ ما لهم معيْشَةُ غيره، قال: «أما إذا ذكَرْتَ هذا مِنْ أمرِه، فإنَّه شكى كثرةَ العَمل وقِلَّة العَلَف»[1].

• وفي رواية المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عند أحمد:

«ما لبعيرك يشكوك، زعم أنك سانيه حتى إذا كبر تريد أن تنحره»، قال: صدقتَ والذي بعثك بالحق نبيًّا، قد أردت ذلك، والذي بعثك بالحق لا أفعل[2].

• وفي رواية حُكيمة عن يعلى بن مرة عند أبي نعيم:

«أتدرون ما يقول هذا؟ زعم أنه خدم مواليه أربعين سنة، حتى إذا كبر نقصوا من علفه وزادوا في عمله، حتى إذا كان لهم عرس أخذوا الشفار لينحروه»، فأرسل إلى مواليه فقص عليهم، قالوا: صدق والله يا رسول الله. قال: «إنِّي أحب أن تدعُوهُ لي» فتركوه[3].

• وفي رواية عثمان بن يعلى عن أبيه عند الطبراني:

«يا يعلى انطلق إلى أهل هذا البعير فاشتره منهم، وإن لم يبيعوك فقُلْ: إن رسول الله ﷺ يوصيكم به»، قالوا: أيم الله، لقد نضحنا عليه عشرين سنة، وإن كنَّا لنريد أن ننحره بالغداة، فأما إذا وصانا به رسولُ الله ﷺ فإنا لا نألوه خيرًا»[4]، [5].

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ١٧٣)، و«الدلائل» للبيهقي (٦/ ٢٣)، ولأبي نعيم (ص٣٢٧)، و«شرح السُّنَّة» للبغوي (١٣/ ٢٩٥).

(٢) «مسند أحمد» (٤/ ١٧٣).

(٣) «الدلائل» (ص٣١٨).

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٢٥٥).

(٥) صحيح: روى هذا الحديث عن يعلى بن مرة:

عبد الرحمن بن عبد العزيز عند الإمام أحمد:

=

شفقته ﷺ على الحُمرة:

وقد مرّ الحديث.

وعبد الله بن حفص عند أحمد وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في «الدلائل» والبغوي، و«المنهال» عند أحمد والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٦٥)، ووكيع في «الزهد» (٣/ ٨٢١)، وحكيمة عند أبي نعيم. وعبد الله بن يعلى عند الطبراني (٢٣/ ٢٦١)، والبيهقي (٦/ ٢٢)، وعثمان بن يعلى عند الطبراني (٢٣/ ٢٥٥).

وابن يعلى (غير منسوب) عند ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٩٥) رقم (٢٦٩٥).

قلتُ: وفي بعض طرق هذا الحديث عند الطبراني والحاكم والبيهقي عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه.

قال البيهقي: مرَّة أبو يعلى هو مرة بن أبي مرة الثقفي وقيل في: عن يعلى نفسه انه قال: رأيت وهذا أصح والأول وهم قاله البخاري يعني: روايته عن أبيه وهم إنما هو عن يعلى نفسه.

والحديث أخرجه الحاكم كما تقدم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبيُّ.

وقال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٢٠٦): بعد ما ذكره من طريق الإمام أحمد كما في الطريق الأول هنا وقال: إسناده جيد.

وقال الحافظ ابن عبد البر قبله في «التمهيد» (١/ ٢٢١): ومن أحسنها وكلها حسن ما حدثنا عبد الوارث ابن سفيان فذكر حديث المنهال عن يعلى بن مرة عن أبيه. وقال: وروى عن يعلى من وجوه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «الشمائل» (ص٢٦٧) بعد ما ذكره من عدة طرق: فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الجملة وقد تفرد بها كله الإمام أحمد دون أصحاب الكتب الستة.

وقال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٦): رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح.

والحديث صححه الألباني في «سلسلة الصحيحة» رقم (٤٨٥).

• أخرج الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله من حديث عامر الرام أخي الخُضْر رضي الله عنه قال: إني لببلادنا إذْ رفعت لنا راياتٌ وألوية فقلتُ: ما هذا؟ قالوا: هذا لواء رسول الله ﷺ، فأتيته وهو تحت شجرة قد بُسِط له كساء وهو جالس عليه وقد اجتمع إليه أصحابه فجلست إليهم، فذكر رسول الله ﷺ الأسْقام، فقال: «**إن المؤمنَ إذا أصابه السَّقم ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذُنوبه وموعظة له فيما يستقبل، وإنَّ المنافقَ إذا مرض ثم أعفي كان كالبعير عَقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لِمَ عقلوه ولم يدر لم أرسلوه؟**» فقال رجلٌ ممن حوله: يا رسول الله، وما الأسقام؟ والله ما مرضت قَطُّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قُمْ عنَّا، فلستَ منَّا**». فبينا نحن عنده إذْ أقبل رجلٌ عليه كساء وفي يده شيء قد التفَّت عليه، فقال: يا رسول الله، إنِّي لما رأيتك أقبلت إليك فمررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي، فجاءت أُمهن فاستدارت على رأسي، فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن معهن، فلففتهن بكسائي فهي أولاء معي، قال: «**ضعهنَّ عنك**»، فوضعتهن وأبتْ أُمهن إلَّا لزومهنَّ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أتعجبون لرحم أم الأفراخ فراخها؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**والذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أمِّ الأفراخ بفراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتَهُنَّ وأُمهُنَّ معهن، فرجع بهنَّ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في «سننه» - كتاب الجنائز (٣/ ٤٦٩) رقم (٣٠٨٩) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٣٩) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٣٣) رقم (٢٥).

رحمته بالجماد «جذع النَّخْلة»:

✍ لقد بلغت رحمة رسول الله ﷺ مبلغًا فاق كل وصف، ولم تصل إليه رحمة إنسان من البشر.

□ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحنَّ الجذع، فأتاه فمسح يده عليه»(١).

• وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقومُ يَوْم الجُمعةِ إلى شجرةٍ أو نخلةٍ، فقالت امرأة من الأنصار أو رجلٌ: يا رسول الله ألا نجعلُ لك مِنَبرًا؟ قال: «**إنْ شِئْتُم**» فجعلوا لهُ مِنبرًا.

فلما كَان يوم الجمعة دُفع إلى المنبرِ، فصَاحَتْ النخلةُ صِيَاحَ الصبيِّ، ثُمَّ نزلَ النَّبيُّ ﷺ فضمَّهُ إليْه، يَئنُّ أنين الصبيِّ الذي يُسكَّنُ، قال: «**كانتْ تبكي عَلى ما كانتْ تسمعُ من الذِّكر عندها**»(٢).

□ وعن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا خطبَ يستندُ إلى جذعِ نخلة مِنْ سوارِي المسجد فلما صنع لهُ منبره اسْتوى علَيْه اضْطربَتْ تِلكَ السارية كحنينِ الناقةِ، حتَّى سمعها أهلُ المسجد، حتى نزل إليها فاعتنقها فسكنت(٣)»(٤).

وعنه أيضًا قال: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من النخل، فكان

(١) رواه البخاري (٣٥٨٣).

(٢) رواه البخاري (٣٥٨٤)- كتاب المناقب، باب علامات النوبة «فتح الباري» (٦/ ٦٠١)، وأحمد، وابن أبي شيبة، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن بشكوال وابن عساكر.

(٣) وفي رواية: فسكَتَتْ.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٢٩٥)، والنسائي، والشافعي، وعبد الرزاق، وأبو عوانة.

النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع المنبر، فكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء ﷺ فوضع يده عليها، فسكنت»[١].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يقومُ يومَ الجمعةِ فيسند ظهره إلى جذعٍ منصوبٍ في المسجد فيخطب فجاء رومي فقال: ألا نضع لك شيئًا تقعد وكأنك قائم؟ فصنع له منبرًا له درجتان، ويقعد عَلى الثالثة. فلما قعد نبيُّ الله عَلى المنبر خار[٢] الجذع خوار الثور حتى ارتج المسجد بخواره حزنًا عَلى رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكتَ، ثمَّ قال: **«والذي نَفْسِي بِيدَهِ لَوْ لَمْ أَلتزِمْهُ مَا زَالَ هكَذَا حتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ حُزْنًا عَلى رَسُولِ الله»**، فأَمَر بهِ رسول الله ﷺ فدُفِنَ، يعني: الجذع»[٣].

□ قال القاضي عياض: «حديث أنين الجذع، وهو في نفسه مشهور منتشر، والخبر به متواتر، قد أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر، منهم: أبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، وبريدة، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة، كلهم يحدّث بمعنى هذا الحديث، قال الترمذي: وحديث أنس صحيح»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٨٥).

(٢) الخُوَار: صوْت البقر.

(٣) صحيح: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ١٤٠) رقم (١٧٧٧). قال الترمذي: «وحديث أنس صحيح».

(٤) «الشفا» (١/ ٣٠٣) وانظر: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص١٣٤).

□ كان الحسن إذا حدّث بهذا بكى وقال: «يا عباد الله، الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه لمكانه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه»[١].

وعلى درب الرحمة النيِّر الودود نسير:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**قال لي جبريلُ: لو رأيتَني وأنا آخذٌ من حَمَاءِ البحر فأدُسُّه في فِيّ[٢] فرعون؛ مخافةُ أن تُدركه الرحمة**»[٣].

وفي فضل التراحم:

• عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كلَّ واحدةٍ منها تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمها ابنتاها فشقَّت التَّمرة التي كان تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها فذكرتُ الذي صنعتْ لرسول الله ﷺ فقال: «**إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار**».

وفي رواية: ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليَّ النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبيُّ ﷺ: «**من ابتُلِي من البنات بشيء فأحسن إليهن كُنَّ سترًا**»[٤].

---

(١) «المرحمون في السنة» (ص١٠٤).

(٢) فِيّ: أي فم.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وكذا رواه الترمذي، والطيالسي، وابن جرير، والخطيب، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠١٥)، و«صحيح الجامع» (٤٣٥٣).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه»- كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (١٠/ ٤٢٦) «الفتح»، ومسلم -كتاب البر- باب فضل الإحسان إلى البنات (٤/ ٢٠٢٧)

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ ومعه صبي، فجعل يضمّه إليه، فقال النبيُّ ﷺ: «**أترحمه؟**» قال: نعم، قال: «**فالله أرحم بك منك به، وهو أرحم الراحمين**»(١).

رُحَماءُ بينهم:

«في غزوة الخندق رمى سعدَ بن معاذ الأنصاري سيد الأوس رضي الله عنه رجلٌ من المشركين من قريش يقال له: حبان بن العرقة بسهم، فقال: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحله فقطعه، فدعا الله تعالى فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة، وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية فرقاً كلمه، وبعث الله الريح على المشركين: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

فلحق أبو سفيان بتهامة، ولحق عيينة بن بدر بن حصين ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأمر بقبة فضربت على سعد في المسجد ووضع السلاح.

قالت عائشة رضي الله عنها -راوية الحديث-: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: أقد وضعت السلاح، والله ما وضعت الملائكة السلاح، فاخرج إلى بني قريظة فقاتلهم، فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل ولبس لأمته، فخرج فمرَّ على بني غنم وكانوا جيران المسجد فقال: «من مرَّ بكم؟» فقالوا: مرَّ بنا دحية الكلبي، وكان دحية تشبه لحيته وسنته ووجهه بجبريل عليه السلام، فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسة وعشرين يومًا فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء عليهم، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٧٧).

فأشار إليهم بيده أنه الذبح، فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، فقال رسول الله ﷺ: «**انزلوا على حكم سعد بن معاذ**» فنزلوا، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد فحُمِل على حمار له إكاف من ليف، وحف به قومه فجعلوا يقولون: يا أبا عمرو! حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت، لا يرجع إليهم قولًا، حتى إذا دنا من ديارهم التفت إلى قومه فقال: قد أتى لسعد أنه لا يبالي في الله لومة لائم، فلما طلع على رسول الله ﷺ قال أبو سعيد: قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم فأنزلوه**»، قال عمر: سيدنا الله، قال: أنزلوه فأنزلوه، قال له رسول الله ﷺ: «**احكم فيهم**»، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلهم، وتسبي ذراريهم، وتقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله**»، قال: ثم دعا اللهَ سعدٌ فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك، فقال: فانفجر كَلْمُهُ، وكان قد برأ حتى ما بقي منه إلَّا مثل الخرص، قالت: فرجع رسول الله ﷺ ورجع سعد إلى قبته التي كان ضرب عليه رسول الله ﷺ.

قالت: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر.

قالت: فوالذي نفسي بيده، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٠٩- ٤١١)، وأخرجه ابن سعد كما ذكر السيوكي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٤١).

لله درك يا عمر:

□ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «خرجت مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق فلحقت امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضَّبُع [(١)]، وأنا بنتُ خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ، فوقف معها عمر ولم يمض ثم قال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا وحمل بينهما نفقة وثيابًا، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أُمُّك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاهُ ثم أصبحنا نستفيءُ سهمانِنا فيه» [(٢)].

الرحمة بحرٌ لا ساحلَ له:

□ قال الفخر الرازي رحمه الله: «إن الرحمة عبارة عن التخليص من أنواع الآفات، وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات، أما التخليص عن أقسام الآفات فلا يمكن معرفته إلَّا بعد معرفة أقسام الآفات وهي كثيرة لا يعلمها إلَّا الله تعالى، ومن شاء أن يقف على قليل منها فليطالع كتب الطب حتى يقف عقله على أقسام الأسقام التي يمكن تولدها في كل واحد من الأعضاء والأجسام، ثم يتأمل في أنه تعالى كيف هدى عقول

---

(١) أي: السَّنَة المجدبة. ومعنى تأكلهم: أي تهلكهم.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه»- باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٩٩) واللفظ له، والبخاري- كتاب الأدب- باب رحمة الناس والبهائم.

الخلق إلى معرفة أقسام الأغذية والأدوية من المعادن والنبات والحيوان، فإنه إذا خاض في هذا الباب وجده بحرًا لا ساحل له»[(١)].

□ قال نظام الدين القمي النيسابوري رحمه الله: «اعلم أن الأشياء التي أنعم الله تعالى بها على الخلق أربعة أقسام:

الأول: ما يكون نافعًا وضروريًّا معًا، وذلك في الدنيا التنفس، فإنه لو انقطع لحظة واحدة مات، وفي الآخرة معرفة الله، فإنها إذا زالت عن القلب لحظة واحدة مات القلب، واستوجب عذاب الأبد.

الثاني: أن يكون ضروريًّا، كالمال في الدنيا، وكسائر العلوم والمعارف في الآخرة.

الثالث: أن يكون ضروريًّا لا نافعًا كالآفات والعلل، ولا نظير لهذا القسم في الآخرة.

الرابع: لا يكون نافعًا ولا ضروريًّا كالفقر في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وبالجملة فكل نعمة أو نقمة دنيوية أو أخروية فإنما تصل إلى العبد أو تندفع عنه برحمة الله تعالى وفضله، من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة؛ لأنه الجواد المطلق، والغني الذي لا يفتقر، فينبغي أن لا يرجى إلَّا رحمته ولا يخشى إلَّا عقابه»[(٢)].

□ قال الحكيم الترمذي: «الرحمة موضوعة في الآدمي، فأوفرهم حظًّا منها أرحمهم لنفسه ولخلقه، فإذا رحم نفسه: جنَّبها المعاصي والمساخط،

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (١/ ٧).

(٢) «غرائب القرآن» للقمي النيسابوري (١/ ٧٦).

وطلب لها حسن عواقب الأمور ليحسن منزلته عند ربه، فينزله غدًا داره الحُسنى، وذلك جزاء المحسنين، فبالرحمة يتخطى إلى الإحسان إلى نفسه، ومنها يتخطى إلى الإحسان إليهم، وكل من رحمتَه رق قلبك له ودعتك الرقة إلى الإحسان إليه والعطف عليه بدوام الإحسان.

ومن أبخس حظه من الرحمة: غلظ قلبه وصار فظًّا، فإذا غلظ قلبه لم يرق لنفسه ولا لأحد من خلقه، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالشديدُ يشدد على نفسه في الأحوال ويعسر ويضيق، وكذلك على الخلق فهو من نفسه في تعب، والخلق منه في أذى.

واللينُ لان قلبه ورطب بماء الرحمة، وانتشف ماء الرحمة يبوسة نفسه، وأذهب حزازتها وكزازتها وأذهب قسوة قلبه، فمن لم يكن له وفارة حظٍّ من الرحمة: وجدته حديد النفس، يابس الخلق، قاسي القلب، مكدود الروح، مُظلم الصَّدر، عابس الوجه، منكر الطلعة، ذاهبًا بنفسه تيهًا وعظمة، غليظ الرقبة، سمين الكلام، عظيم النفاق، قليل الذكر لله تعالى ولدار الآخرة ولهادم اللّذات».

وقال: «فأوفرهم حظًّا من المعرفة بالله والعلم به أوفرهم حظًّا من القربة، وأوفرهم حظًّا من القربة أوفرهم حظًّا من الرحمة، فكلما كان القلب أقرب إلى الله كان ألين وفؤاده أرق، وكلما تباعد القلب من الله بمعصية يأتيها، كان قلبه أقسى وأبعد من الرحمة، ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣]،

فإنما قست قلوبهم بالتباعد من الله من أجل نقض الميثاق، وذلك لما قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة إلَّا رحيمٌ**»، قالوا: يا رسول الله، كُلنَّا يرحم، قال: «ليس رحمة أحدهم خويصته- يعني: أهله وولده- ولكن يرحم العامة».

فرحمتك الخويصة هي رحمة العطف منْ الرحمة المقسومة بين خلقه ورحمتك العامة من رحمة المعرفة بالله تعالى»(١).

من بستان الغزالي:

□ قال أبو حامد الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحُسنى»: «وحظُّ العبد من اسم «الرحمن» أن يرحم عباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنُّصح بطريق اللُّطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعيْن الإنذِاء، وأن يرى كلَّ معصية تجري في العالم كمعصية له في نفسه، فلا يألو جُهْدًا في إزالتها بقدر وسعه، رحمة لذلك العاصي من أن يتعرّض لسخط الله تعالى، أو يستحق البعد عن جواره.

«وحظُّ العبد من اسم «الرحيم» ألّا يدع فاقة لمحتاج إلَّا ويسدها بقدر طاقته، ولا يترك فقيرًا في جواره أو في بلده، إلَّا ويقوم بتعهده ودفع فقره، إمّا بماله أو جاهه، أو الشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك، فيعينه بالدعاء، وإظهار الحزن، رقَّة عليه وعطفًا، حتى كأنه مساهم له في ضُرِّه وحاجته».

---

(١) «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (ص٣٩٣، ٣٩٤).

ما عرف التاريخُ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب:

علَّم رسول الله ﷺ أصحابه أن يكونوا أبرارًا رحماء لا فُجَّارًا قُساة فكانت الحروب الإسلامية والفتوحات والغزوات حربًا رحيمة رقيقة.

□ عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: «إن امرأة وُجِدتْ في بعض مغازي النبي ﷺ فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان»(١).

• وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فظفرنا بالمشركين فأسرع الناس في القتل حتى قتلوا الذريّة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى قتلوا الذريّة؟ ألا لا تقتلوا ذرية – ثلاثًا**»(٢).

• وبلفظ: «**ما بالُ أقوام جاوز بهم القتلُ اليوم حتى قتلوا الذريّة؟ ألا إن خياركم أبناءُ المشركين، ألا لا تقتلوا ذرية، ألا لا تقتلوا ذرية، كل نسمَة تُولَدُ على الفِطرة، فما يزالُ عليها حتى يُعرب عنها لسانها، فأبواها يُهَوِّدانِها، أو ينصِّرانها**»(٣).

□ وعلى سُنَّته وهديه يسير الصديق رضي الله عنه، فيوصي وهو يودع جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما: «لا تقتلوا امرأة ولا شيخًا ولا طفلًا، ولا تعقروا نخلًا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، وستجدونْ رجالًا فرّغوا أنفسهم في

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»- كتاب الجهاد باب (١٤٧) قتل الصبيان في الحرب.

(٢) «سنن الدارمي» (٢/ ٢٢٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم عن الأسود بن سريع، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٠١)، و«الإرواء» (١٢٢٠)، و«صحيح الجامع» (٥٥٧١).

الصوامع، فدَعُوهم وما أفرغوا أنفسهم له».

□ ويقول عمر رضي الله عنه: «اتقوا الله في الفلّاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب».

□ ويُحمل إلى أبي بكر رأس مقتول من كبراء الأعداء المحاربين، فيستنكر هذا العمل، ويُعلِن سخطه عليهم، ويقول لمن جاء بالرأس: «لا يُحمَل إليّ رأس بعد اليوم. فقيل له: إنهم يفعلون بنا ذلك. فقال: استنانٌ بفارس والروم؟! إنما يكفي الكتابُ والخبر.

وهكذا كانت الحروب الإسلامية حربًا رحيمة رقيقة، لا يراقُ فيها الدم إلَّا ما تدعو الضرورة القاهرة إليه، وقد لاحظ ذلك الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون فقال: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب»[1].

أقوال مأثورة:

□ قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «اللهُمَّ إنْ لم أكُنْ أهلًا أن أبْلُغَ رحمتك، فإنَّ رحمتك أهْلٌ أنْ تبْلُغني، رحمتك وسِعَتْ كلَّ شيءٍ وأنا شيءٌ، فلتسَعْنِي رحْمَتُك يا أرحم الراحمين. اللَّهُمَّ إنَّكَ خلَقْتَ قوْمًا فأطَاعُوكَ فيما أمرْتَهُمْ، وعمِلُوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك أيَّاهُمْ كانت قبل طاعتهم لك يا أرْحم الراحمينَ»[2].

□ وعن الحسن وقتادة، في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، قالا: وسِعَتْ في الدُّنيا البرَّ والفاجر، وهي يوم القيامةِ

---

(١) أنظر: «الإيمان والحياة» (ص٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٥/ ٢٩٩).

للذينَ اتقَوْا خاصَّةً»[١].

◻ قال سفيانُ بن عُيينَةَ رحمه الله: «خُلِقَتِ النَّارُ رحمةً يُخوِّفُ الله بها عبادَهُ لينْتَهُوا»[٢].

◻ وقال الفيروزاباديُّ رحمه الله: «الرَّحْمةُ سَبَبٌ واصِلٌ بين الله وبين عباده، بها أرْسَلَ إليهم رسلهُ، وأنْزل عليهم كتبه، وبها هداهمْ، وبها أسْكَنَهُم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم»[٣].

◻ قال المُهلَّبُ رحمه الله: «الرَّحمةُ التي خلقها اللهُ لعبادِهِ وجعلها في نفوسِهِمْ في الدُّنيا هي التي يتغافَرُونَ بها يوْم القيامةِ التَّبِعَاتِ بينهم»[٤].

◻ وقال ابن حجرٍ تعليقًا على حديثِ: «منْ لا يرْحَمُ لا يُرْحَمُ».

قال ابن بطَّالٍ: «فيه الحَضُّ على استعمالِ الرَّحمة لجميع الخلقِ فيدخل المؤمنُ والكافِرُ والبهائِمُ المملوكُ منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمةِ التَّعَاهُدُ بالإطعامِ، والسَّعْيُ، والتَّخفيفُ في الحملِ، وترْكُ التَّعدِّي بالضرب»[٥].

◻ قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصرٍ السعديُّ رحمه الله: «إن الشَّريعةَ كلَّها مبْنيَّةٌ على الرحمةِ في أصُولها فرُوعها، وفي الأمر بأداءِ الحقوق سواءٌ كانت لله أو للخلقِ، فإنَّ الله لم يُكَلِّفْ نفسًا إلَّا وسعها، وإذا تدبَّرت ما شرعه الله

---

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ٨١).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٢٧٥).

(٣) «بصائر ذوي التمييز» (٣/ ٥٥).

(٤) «فتح الباري» (١٠/ ٤٤٧).

(٥) «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٥).

عَزَّ وَجَلَّ في المعاملات والحقوق الزوجيَّة وحقوقِ الوالدين والأقربين، والجيران، وسائر ما شرع وجدْتَ ذلك كلَّهُ مبْنيًّا على الرَّحْمةِ، ثم قال: لقدْ وسعَتْ هذه الشريعةُ برحمتها وعدْلِهَا العدُوَّ والصديقَ، ولقدْ لجأ إلى حصنها الحصين الموفَّقونَ من الخَلْقِ»[١].

□ عن سفيان بن عيينة قال: «صلى ابن المنكدر على فلان؛ سفيه فقيل له: تُصلي على فلان؟ فقال: إني أستحيي من الله أن يعلم مني أن رحمته تعجز عن أحد من خلقه»[٢].

□ عن أبي سليمان الداراني قال: «الرضا عن الله عَزَّ وَجَلَّ والرحمة للخلق: درجة المرسلين»[٣].

□ عن ابن عون قال: «كان لابن سيرين منازل، لا يكريها إلَّا من أهل الذمة؛ فقيل له في ذلك؟ قال: إذا جاء رأس الشهر رُعته، وأكره أن أروِّع مسلمًا»[٤].

□ عن شعبة قال: «لولا المساكين، ما حدّثت، فإني أحدّث ليُعطوا»[٥].

□ وعنه قال: «لولا حوائج لي، ما حدثتكم، وكان يسأل لنسوة ضعاف»[٦].

---

(١) «الرياض الناضرة والحدائق النيِّرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة» (٦١- ٦٥) بتصرف.

(٢) «الحلية» (٧/ ٢٩٧).

(٣) «الحلية» (٩/ ٢٦٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٦٨).

(٥) المصدر السابق (٧/ ١٥٧).

(٦) «الحلية» (٧/ ١٥٧).

□ عن عبد الرحمن بن جبيات قال: «قيل لعمرو- بن قيس الملائي-: ما الذي نرى بك من تغير الحال؟ قال: رحمة للناس، من غفلتهم عن أنفسهم»(١).

□ وكان عمرو إذا نظر إلى أهل السوق بكى، وقال: ما أغفل هؤلاء عما أعدَّ لهم»(٢).

□ عن بلال بن سعد قال: «إن لكم ربًّا ليس إلى عقاب أحدكم بسريع: يقيل العثرة، ويقبل التوبة، ويقبل من المقبل، ويعطف على المدبر»(٣).

□ وقال البخاري: «سمعت بعض أصحابنا يقول: عادَ حمّاد بن سلمة سفيان الثوري، فقال سفيان: يا أبا سلمة! أترى الله يغفو لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خُيِّرت بين محاسبة الله إياي، وبين محاسبة أبويَّ، لاخترتُ محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بي من أبويَّ»(٤).

□ عن النضر بن شميل قال: «ما رأيت أرحم لمسكين من شعبة، إذا رأى المسكين؛ لا يزال ينظر إليه، حتى يغيب عن وجهه»(٥).

□ وعن أبي عمران الجوني قال: «لم ينظر الله تعالى إلى إنسان قط، إلَّا رحمه؛ ولو نظر إلى أهل النار، لرحمهم؛ ولكنه قضى أنه لا ينظر إليهم»(٦).

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ١٠٢).

(٢) المصدر السابق (٥/ ١٠٢).

(٣) «الحلية» (٥/ ٢٢٣).

(٤) «نزهة الفضلاء» (١/ ٦٠٣- ٦٠٤).

(٥) «الحلية» (٧/ ١٤٦- ١٤٧).

(٦) «الحلية» (٢/ ٣١٤).

□ وعن أبي سليمان الداراني قال: «إنما الغضب على أهل المعاصي: عندما حل نظرك إليهم عليها؛ فإذا تفكرت فيما يصيرون إليه من عقوبة الآخرة، دخلت الرحمة لهم القلب»(١).

تشميت العاطس الحامد من الواجبات:

بأن تقول له: «يرحمك الله».

□ قال ابن دقيق العيد: «يحتمل أن يكون دعاءً بالرحمة، ويُحتمل أن يكون إخبارًا على طريق البشارة، كما قال في الحديث الآخر «طهورٌ إن شاء الله» أي: هي طُهْرٌ لك، فكأن المشمِّت بشّر العاطس بحصول الرحمة له في المستقبل بسبب حصولها له في الحال؛ لكونها دفعت ما يضره»(٢).

الرِّفق:

□ عن أبي قِلابة: «أن رجلًا دخل على سلمان وهو يعجن؛ فقال: ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في عمل- أو قال: في صنعة- فكرهنا أن نجمع عليه عملين -أو قال: صنعتين-؛ ثم قال: فلان يقرئك السلام؛ قال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا؛ قال: فقال: أما إنك لو لم تؤدها، كانت أمانة لم تؤدها»(٣).

□ عن أبي الدرداء قال: «لا تكلفُوا الناس ما لم يكُلَّفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم؛ ابن آدم، عليك نفسك، فإنه من تتبع ما يرى في الناس:

---

(١) «الحلية» (٩/ ٢٧٣).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٦٢٤).

(٣) «الحلية» (١/ ٢٠١).

يطل حزنه، ولا يشف غيظه»[(١)].

◻ وعنه قال: «من فقه الرجل: رفقه في معيشته»[(٢)].

◻ عن أبي المتوكل: «أن أبا هريرة رضي الله عنه كانت له زنجية قد غمتهم بعملها، فرفع عليها السوط يومًا، فقال: لولا القصاص، لأغشيتك به؛ ولكنني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي، فأنت لله»[(٣)].

◻ عن عثمان قال: «بلغنا أن رجلًا رأى أبا ذر رضي الله عنه، وهو يتبوأ مكانًا؛ فقال له: ما تريد يا أبا ذر؟ فقال: أطلب موضعًا أنام فيه، نفس يهذه مطيتي، إن لم أرفق بها، لم تبلغني»[(٤)].

◻ عن أحمد بن محمد بن غزوان الهرائي، قال: قال لي بشر بن الحارث - سنة خمس وعشرين ومئتين-: «عليكم بالرفق، والاقتصاد في النفقة؛ فلأن تبيتوا جياعًا ولكم مال، أحب إلي من أن تبيتوا شباعًا وليس لكم مال»[(٥)].

◻ عن ميمون بن مهران قال: «لا تعذب المملوك، ولا تضرب المملوك في كل ذنب؛ ولكن، احفظ ذاك له؛ فإذا عصى الله عز وجل، فعاقبه على معصية الله تعالى، وذكّره الذنوب التي أذنب بينك وبينه»[(٦)].

◻ عن معمر: «أن طاووسًا أقام على رفيق له مريض، حتى فاته

---

(١) «الحلية» (١/ ٢١١).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٢١١).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٨٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٦٥).

(٥) «الحلية» (٨/ ٣٤٠).

(٦) المصدر السابق (٤/ ٨٨- ٨٩).

الحج»[(١)].

□ عن جويرية بن أسماء قال: «قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: ما يمنعك أن تَنفُذَ لرأيك في هذا الأمر؟ فوالله، ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ الأمر؛ فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي؛ وإن عُجِّلت علي منية فقد علم الله نيتي؛ إني أخاف إن بادهت الناس بالتي تقول أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلَّا بالسيف»[(٢)].

□ عن أبي عثمان الثقفي قال: «كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على بغل له، يأتيه بدرهم كل يوم؛ فجاءه يومًا بدرهم ونصف، فقال: ما بدا لك؟ فقال: نفقت السوق؛ قال: لا، ولكنك أتعبت البغل، أرحه ثلاثة أيام»[(٣)].

□ عن حسين الجعفي قال: «كان عند عبد الملك بن أبجر، وقد أبق غلام له، وكان له بابان، فلم يعلم، حتى جاء الغلام؛ فقال له عبد الملك: فلان، ويحك أبقت؟ لم تقبل لك صلاة، من أي باب خرجت؟ أأحد خير لك منا؟ ما أحسبك تجد أحد خيرًا لك منا، من أي باب خرجت حين ذهبت؟ قال: من هذا الباب؛ قال: ادخل منه، وأستغفر الله لك؛ يا فلانة، أطعميه، فإنه أحسبه جائعًا»[(٤)].

---

(١) «الحلية» (٤/ ١٠).

(٢) «الحلية» (٥/ ٢٨١).

(٣) «الحلية» (٥/ ٢٦٠).

(٤) «الحلية» (٥/ ٨٥).

□ عن رجل من قريش: «أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى بعض عماله: عليك بتقوى الله في كل حال ينزل بك؛ فإن تقوى الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة؛ ولا تكن في شيءٍ من عداوة عدوك أشد الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادي عدونًا ونستنصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك، لم تكن لنا قوة بهم؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا قوتنا كقوتهم، فإن لا نُنْصر عليهم بمقتنا، لا نغلبهم بقوتنا؛ ولا تكونن لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم، ولا أشد تعاهدًا منكم لذنوبكم؛ واعلموا أن عليكم ملائكة الله حفظة عليكم، يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم، فاستحيوا منهم، وأحسنوا صحابتهم، ولا تؤذوهم بمعاصي الله، وأنتم -زعمتم- في سبيل الله؛ ولا تقولوا: إن عدونا شر منا، ولن ينصروا علينا، وإن أذنبنا؛ فكم من قوم قد سلّط أو سُخط عليهم بأشر منهم لذنوبهم؛ وسلوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه العون على عدوكم؛ نسأل الله ذلك لنا ولكم، وارفق بمن معك في مسيرهم؛ فلا تجشمهم مسيرًا يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يلقوا عدوهم؛ والسفر، لم ينقص قوتهم، ولا كُراعهم؛ فإنكم تسيرون إلى عدو مقيم، جام الأنفس والكراع، وإلَّا ترفقوا بأنفسكم وكراعكم في مسيركم، يكن لعدوكم فضل في القوة عليكم في إقامتهم، في جمام الأنفس والكراع، والله المستعان؛ أقم بمن معك في كل جمعة يومًا وليلةً، لتكون لهم راحة، يجمون بها أنفسهم وكراعهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم، ونحّ منزلك عن قُرى الصلح، ولا يدخلها أحد من أصحابك لسوقهم وحاجتهم، إلَّا من تثق به، وتأمنه على نفسهودينه؛ فلا يصيبوا فيها ظلمًا، ولا يتزودوا منها مأثمًا، ولا يرزؤون أحدًا من أهلها شيئًا إلَّا بحق؛ فإن لهم حرمة وذمة،



ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها؛ فلا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، ولتكن عيونك من العرب ممن تطمئن إلى نصحه من أهل الأرض؛ فإن الكذوب لا ينفعك خبره، وإن صدق في بعضه؛ وإن الغاش عين عليك، وليس بعين لك»[(١)].

✍ ونختم الرفق بهذا الحديث العظيم:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لولا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي – أوْ على الناس– ما تخلَّفْتُ عن سريَّةٍ، ولكن لا أَجِدُ حمولَةً[(٢)] ولا أجِدُ ما أحْمِلُهم عليه، ويَشُقُّ عليَّ أَنْ يتخلَّفُوا عنِّي، ولوددْتُ أنِّي قاتلْتُ في سبيلِ الله فقُتِلْتُ ثمَّ أُحْيِيتُ، ثُمَّ قتِلْتُ ثُمَّ أُحْيِيتُ»**[(٣)].

الرحمة للمنفلوطي رحمه الله:

□ قال رحمه الله: «سأكون في هذه المرأة شاعرًا بلا قافية ولا بحر؛ لأن أريد أن أخاطب القلب وجهًا لوجه، ولا سبيل إلى ذلك إلَّا سبيل الشعر.

إن البذور تلقى في الأرض فلا تنبت إلَّا إذا حرث الحارث تربتها، وجعل عاليها سافلها، كذلك القلب لا تبلغ منه العظة إلَّا إذا داخلته، وتخللت أجزاءه، وبلغت سويداءه، ولا محراث للقلب غير الشعر.

أيها الرجل السعيد: كن رحيمًا، أشعر قلبك الرحمة، ليكن قلبك الرحمة بعينها.

ستقول: إني غير سعيد؛ لأن بين جنبي قلبًا يلم به من الهم ما يلم بغيره

---

(١) «الحلية» (٥/ ٣٠٣- ٣٠٤).

(٢) حَمولة: ما يحتمل الناس عليه من الدواب.

(٣) رواه البخاري (٢٩٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٦).

من القلوب، أجل. فليكن ذلك كذلكم، ولكن أطعم الجائع واكس العاري، وعز المحزون، وفرج كُربة المكروب، يكن لك من هذا المجموع البائس خير عزاء يعزيك عن همومك وأحزانك، ولا تعجب أن يأتيك النور من سواد الحُلكَ، فالبدر لا يطلع إلَّا إذا شق رداء الليل، والفجر لا يدرج إلَّا من مهد الظلام.

لقد بليت اللذات كلها.. ورثت حبالها.. وأصبحت أثقل على النفس من الحديث المعاد.. ولم يبق ما يعزي الإنسان عنها إلَّا لذة واحدة: هي لذة الإحسان.

إن منظر الشاكر منظر جميل جذاب.. ونعمة ثنائه وحمده أوقع في السمع من العود في هزجه ورمله [١] وأعذب من نغمات معبد في الثقيل الأول [٢].

أحسِن إلى الفقراء والبائسين، وأعدك وعدًا صادقًا أنك ستمر في بعض لياليك على بعض الأحياء الخاملة فتسمع من يحدث جاره عنك من حيث لا يعلم بمكانك، أنك أكرم مخلوق، وأشرف إنسان، ثم يعقب الثناء عليك بالدعاء لك أن يجزيك الله خيرًا بما فعلت.. فيدعو صاحبه بدعائه، ويرجو برجائه.. وهنالك تجد من سرور النفس وحبورهم بها الذكر الجميل في هذه البيئة الخاملة: ما يجده الصالحون إذا ذكروا في الملأ الأعلى.

---

(١) الهزج والرمل: نوعان من الموسيقى، والموسيقى حرام شرعًا إلَّا الدُّف في الأعراس.

(٢) معبد: أحد كبار المغنين في العصر الأموي، والثقيل الأول: ضرب من ضروب الغناء.

ليتك تبكي كلما وقع نظرك على محزون أو مفؤود [١] فتبتسم سرورًا ببكائك.. واغتباطًا بدموعك؛ لأن الدموع التي تنحدر على خديك في مثل هذا الموقف إنما هي سطور من نور.. تسجل لك في تلك الصحيفة البيضاء: أنك إنسان.

إن السماء تبكي بدموع الغمام.. ويخفق قلبها بلمعان البرق.. وتصرخ بهدير الرعد، وإن الأرض تئن بحفيف الريح.. وتضج بأمواج البحر، وما بكاء السماء ولا أنين الأرض إلَّا رحمة بالإنسان.. ونحن أبناء الطبيعة فلنجارها في بكائها وأنينها.

إن اليد التي تصون الدموع، أفضل من اليد التي تريق الدماء، والتي تشرح الصدور. أشرف من التي تبقر البطون، فالمحسن أفضل من القائد وأشرف من المجاهد، وكم بين من يحيى الميت. ومن يميت الحي.

إن الرحمة كلمة صغيرة.. ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها.

لو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا مغبون ولا مهضوم.. ولأقفرت الجفون من المدامع.. ولا طمأنت الجنوب في المضاجع. ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو لسان الصبح مداد الظلام.

لم يخلق الله الإنسان ليقتر عليه رزقه. ولم يقذف به في هذا المجتمع ليموت فيه جوعًا.. بل أرادت حكمته أن يخلقه ويخلق له فوق بساط الأرض وتحت ظلال السماء ما يكفيه مؤونته. ويسد حاجته.. ولكن سلبه الرحمة فبغى بعضه على بعض وغدر القوي بالضعيف واحتجن دونه

(١) المفؤود: المصاب في فؤاده بألم أو غيره.

رزقه.. فتغير نظام القسمة العادلة.. وتشوَّه وجهها الجميل.. ولو كان للرحمة سبيل إلى القلوب لما كان للشقاء إليها سبيل.

الفرد هو المجتمع.. وإنما يتعدد بتعدُّد الصور.. أتدري متى يكون الإنسان إنسانًا؟ متى عرف هذه الحقيقة حق المعرفة وأشعرها نفسه.. فخفق قلبه لخفقان القلوب وسكن لسكونها. فإذا انقطع ذلك السلك الكهربائي بينه وبينها، انفرد عنها واستوحش من نفسه، وإذا كان الأنس مأخذ [1] الإنسان المجتمع. فالوحشة مأخذ الوحش المنقطع.

وجُمَّاع القول أنه لا يمكن أن تجتمع رحمة الرحماء وشقوة الأشقياء في مكان واحد؛ إلَّا إذا أمكن أن يجتمع في بقعة واحدة الملك الرحيم والشيطان الرجيم.

إن من الناس من تكون عنده المعونة الصالحة للبر والإحسان فلا يفعل.. فإذا مشى مشى مندفعًا مندلثًا [2] لا يلوي على شيء مما حوله من المناظر المؤثرة المحزنة، وإذا وقع نظره على بائس لا يكون نصيبه منه إلَّا الإغراق في الضحك سخرية به وبذاءة قوبه ودمامة خلقه، وإن من الناس من إذا عاشر الناس عاشرهم ليعرف كيف يحتلب دَرَّتهم [3] ويمتص دماءهم، ولا يعاملهم إلَّا كما يعامل شويهاته وبقراته.. لا يطعمها ولا يسقيها إلَّا لما يترقب من الربح في الاتجار بألبانها وأصوافها.. ولو استطاع أن يهدم بيتًا ليربح حجرًا لفعل.. وإن من الناس لا حديث له إلَّا الدينار

---

(١) مأخذ الكلمة: أصل اشتقاقها.

(٢) اندلث: كاندفع.

(٣) الدرة: اللبن إذا كثر وسال.

وأين مستقره وكيف الطريق إليه وما السبيل إلى حبسه والوقوف في وجهه والحيطة لفراره.. يبيت ليله حزينًا كئيبًا لأن خزانته ينقصها درهم كان يتخيل في يقظته أو يحلم في منامه أنه سيأتيه فلم يقيض له، وأن من الناس من يؤذي الناس لا يجلب لنفسه بذلك منفعة أو يدفع عنها مضرة، بل لأنه شرير يدفعه طبعه إلى ما لا يعرف وجهه أو ليضرِّي (١) نفسه بالأذى مخافة أن ينساه عند الحاجة إليه.. حتى لو لم يبق ي العالم شخص غيره لكانت نفسه مدب عقاربه وغرض سهامه.. وإن من الناس من إذا كشف لك عن أنيابه رأيت الدم الأحمر يترقرق فيها، أو عن أظافره رأيت تحتها مخالب حادة لا تسترها إلَّا الصورة البشرية، أو عن قلبه رأيت حجرًا صلدًا من أحجار الغرانيت لا يبضُّ (٢) بقطرة من الرحمة.. ولا تخلص إليه نسمة من العظة.

فيا أيها الإنسان احذر الحذر كله أن تكون واحدًا من هؤلاء فإنهم سباع مفترسة وذئاب ضارية.. بل أعظك ألا تدنو من واحد منهم أن تعترض طريقه.. فربما بدا له أن يأكلك غير حافل بك.. ولا آسف عليك.

أيها الإنسان. ارحم الأرملة التي مات عنها زوجها، ولم يترك لها غير صبية صغار، ودموع غزار، ارحمها قبل أن ينال اليأس منها ويعبث الهم بقلبها فتؤثر الموت على الحياة.

ارحم المرأة الساقطة لا تُزين لها خلالها ولا تشير منها عرضها علها تعجز عن أن تجد مساومًا فيه فتعود به سالمًا إلى كسر بيتها.

---

(١) يقال: أضرى فلان كلبه بالصيد، وضراه: إذا أغراه به وعوده متابعته.

(٢) بض الدم: سال.

ارحم الزوجة أم ولدك وقعيدة بيتك ومرآة نفسك وخادمة فراشك لأنها ضعيفة؛ ولأن الله قد وكَّل أمرها إليك، وما كان لك أن تكذب ثقته بك.

ارحم ولدك وأحسن القيام على جسمه ونفسه؛ فإنك إلَّا تفعل قتلته أو أشقيته فكنت أظلم الظالمين.

ارحم الجاهل لا تتحين فرصة عجزه عن الانتصاف لنفسه فتجمع عليه بين الجهل والظلم، ولا تتخذ عقله متجرًا تربح فيه ليكون من الخاسرين.

ارحم الحيوان؛ لأنه يحس كما تحس ويتألم كما تتألم ويبكي بغير دموع، ويتوجع ولا يكاد يُبين.. وكذب من يقول إن الإنسان طبع على ضرائب لؤم، أقلها أنه يقبل يُد ضاربه ويضرب من لا يمد إليه أبدًا.

ارحم الطير لا تحبسها في أقفاصها ودعها تهيم في فضائها حيث تشاء، وتقع حيث يطيب لها التغريد والتنقير، إن الله وهبها فضاء لا نهاية له فلا تغتصبها حقها فضعها في محبس لا يسع مد جناحها؛ أطلق سبيلها وأطلق سمعك وبصرك وراءها لتسمع تغريدها فطق الأشجار، وفي الغابات، وعلى شواطئ الأنهار، وترى منظرها وهي طائرة في جو السماء، فيخيل غليك أنها أجمل من منظر الفلك الدائر والكوكب السيار.

أيها السعداء. أحسنوا إلى البائسين والفقراء، وامسحوا دموع الأشقياء، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء..»[1].

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين:

---

(١) «النظرات» للمنفلوطي (١/ ٥٨- ٦٢).

«اللهم اغفر لي وارحمني وعافِني وارزقني واجْبُرْني واهدِنِي»(١).

العزم في المسألة بالرحمة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولَنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شِئتَ، اللهم ارزقني إن شئت، وليعزِم المسألة؛ فإنه يفعلُ ما يشاءُ، لا مُكْره له»(٢).

رجاء الرحمة:

مَرَّ معروف، وهو صائم بسقَّاء يقول: رحم الله مَنْ شرِب، فشرب رجاء الرحمة(٣).

الرِّقة:

□ قال مالك بن أنس: «كنا ندخل على أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه»(٤).

□ قال يحيى القطّان: «كان شعبة – بن الحجّاج – من أرقِّ الناس يُعطي

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٢/ ٧٦) (٢٨٤، ٢٨٥) واللفظ له، وابن ماجه (١/ ٢٩٠) (٨٩٨) بلفظ «رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني وارفعني» ورواه أبو داود في «سننه» (١/ ٢٢٤) (٨٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٦٢)، و(٢٧١) بلفظ: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٦٠) رقم (٧٥٦).

(٢) رواه أحمد، والبخاري (٧/ ٥٣)، ومسلم (٨/ ٦٢)، والترمذي (٧٨) (٥/ ٥٢٦) رقم (٣٤٩٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود، والنسائي وابن ماجه ومعنى: ليعزم المسألة: أي يشتد ويلح ولا يتراخى.

(٣) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٧١٥)، انظر: ترجمة معروف في «السير» (٩/ ٣٩٩- ٣٤٥).

(٤) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥١٤).

السائل ما أمكنه»[(١)].

□ وقال يحيى بن أبي بُكير: «قلت للحسن بن صالح: صِفْ لنا غُسْلَ الميِّت فما قدر عليه من البكاء»[(٢)].

□ وقال إبراهيم بن الأشعث: «ما رأيتُ أحدًا كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذَكَر الله، أوْ ذُكِر عنده، أو سَمِع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من يحضره»[(٣)].

علو همة عمر بن الخطاب ؓ في رحمته للفقراء والمساكين والرَّعيّة:

لله در أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي أَوْحَدَت به أمُّه ما كان أرحمه وأشفقه على الناس.. يا خالق عمر سبحانك.. يا خالق هذه النفس الزاكية الزكية التي تفيض رحمة تتحدث بها الأيام والليالي سبحانك.

ثكلتْك أمُّك يا طلحة، أعثرات عُمَرَ تتَّبع؟!:

خرج عمر ؓ في سواد الليل، فرآه طلحة ؓ، فذهب عمر، فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، وإذا بعجوز عمياءَ مُقعَدة، فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يُصلحني، ويُخرُج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أُمُّك يا طلحة، أعثرات عمر تتَّبع؟![(٤)].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» ترجمة شعبة (٧/ ٢٠٢- ٢٢٨)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ٥٨١).

(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٩١).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٦٦١).

(٤) «البداية والنهاية» ترجمة عمر بن الخطاب ؓ.



وكان يقول: «لئن سلَّمني الله لأدَعَنَّ أرامِلَ العراق لا يَحْتَجْن إلى رَجُلٍ بعدي»[(١)] فما أتت عليه رابعة حتى أُصيب.

إنه عمر رضي الله عنه منارة الرحمة في الدنيا وهَدِيّة الله إلى الحياة:

◻ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينا عمر رضوان الله عليه يَعُسُّ[(٢)] بالمدينة، إذْ مَرّ برحبةٍ من رحابها، فإذا هو ببيت من شعْر، لم يكن بالأمس، فدنا منه، فسمع أنين امرأة، ورأى رجُلًا قاعدًا، فدنا منه فسلَّم عليه، ثم قال: مَنِ الرَّجُل؟ فقال رجُل من أهل البادية: جئت إلى أمير المؤمنين أُصيب من فضله. فقال: ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت؟ فقال: انطلق - رحمك الله- لحاجتك. قال: عليّ ذلك، ما هو؟ قال: امرأة تُمَخَّض. قال: هل عندها أحدٌ؟ قال: لا. قال: فانطلق حتى أتى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها: هل لك في أَجْرٍ ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة غريبةٌ تُمَخَّضُ ليس عندها أحد. قالت: نَعْم، إن شئتَ. قال: فخُذِي معكِ ما يُصلح المرأة لولادتها من الخِرَق والدُّهْن، وجيئيني ببُرْمة[(٣)] وشحم وحبوب، قال: فجاءت به، فقال لها: انطلقي. وحَمَل البُرْمة، ومشت خلفه، حتى انتهى إلى البيت، فقال لها: ادخلُي إلى المرأة. وجاء حتى قعد إلى الرجل،فقال له: أو قِدْ لي نارًا. فأوْقدَ تحت البُرْمة حتى أنضجها، وولدت المرأة، فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين، بشرِّ صاحبك بغلامٍ. فلما سمع يا أمير المؤمنين كأنَّه هابه، فجعل يتنحَّى عنه،

---

(١) «مناقب أمير المؤمنين عمر» (ص١١٤).

(٢) يعس: يسير فيها أواخر الليل.

(٣) قِدْر من حِجَارة.

فقال له: مكانك كما أنت.. فحمل البُرْمة، فوضعها على الباب، ثم قال: أشبعيها، ففعلَتْ، ثم أخرجت البُرْمة فوضعتها على الباب، فقام عمر رضي الله عنه فأخذها، فوضعها بين يَدَي الرَّجُل، فقال: كُلْ ويحكَ؛ فإنك قد سهرتَ من الليل، ففعل، ثم قال لامرأته: اخرُجي. وقال للرَّجُل: إذا كان غدًا، فأتِنَا نأمُر لك بما يُصْلِحُك.. ففعَل الرَّجل وأجازه وأعطاه»[1].

إنه العجب العُجاب! أمير الدنيا الذي تفتَّحتْ لأعلامه الخافقات أقطار الدنيا، واستقبل الناسُ جيوشه كأنها البُشرَيات، يؤرِّقه بكاءُ طِفل ويزلزله، حتى يُشرق بالدُّموع وهو يصلي بالناس، وتتولى زَوْجُه في الهزيع الأخير من الليل أَمْرَ سيِّدة غريبة أدركها المخاضُ، ويجلسُ هو خارج الكوخ يُنضج لها الطعام ويُوقد تحتَ البُرْمة!!

هذا عمر منارة الله في الرحمة في دار الدنيا وهدَّيتُه إلى الحياة.

عثمان الرحيم.. تشيع الرحمة في حياته وتكون نبراسًا لكل تصرّفاته:

كانت الرحمة نبراس هاتيك التصرّفات جميعها.

عثمان الخليفة الطاعن في السِّنِّ الذي يرفض أن يُوقظِ أحدًا من خدمه لكلي يُعِدَّ له وضوءه، ويتحامل على شيخوخته المجهدة في إحضار الماء وإسباغ الوضوء ولما اشتد حصار الثُّوَار لداره، قال للصحابة الذين تَجمَّعوا حول داره ليواجهوا الثُّوَّار بالسلاح: «إن أعظمكم عني غَنَاءً، رجلٌ كَفَّ يده وسِلاحَهُ!!».

□ ويقول لأبي هريرة – وقد جاء شاهرًا سلاحه مدافِعًا عنه: «أما إنك

---

(١) «مناقب عمر بن الخطّاب» (ص٨٤-٨٥).

والله لو قتلتَ رَجُلًا واحدًا لكأنما قتلت الناس جميعًا».

◻ ويقول للحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير وشباب الصحابة الذين أخذوا مكانهم لِحَراسته: «أُنَاشِدكم الله وأسألكم به، ألَّا تُراق بسببي مِحْجَمَة دم»[1].

◻ ودخل عليه زيد بن ثابت فقال: «إن هذه الأنصار بالباب، وتقول: إن شئتَ كنا أنصار الله مرتين. قال: لا حاجة لي، كُفُّوا».

◻ وعن عامر بن ربيعة قال: «كنتُ مع عثمان في الدار، فقال: أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعًا وطاعة أن يكف يده، ويلقى سلاحه.. فألقى القوم أسلحتهم».

◻ وقال بعض أنصاره: «نهانا عثمان عنهم «الثوَّار» ولو أذن لنا عثمان فيهم لضربناهم حتى نُخرجهم من أقطارنا».

وهكذا رفض الخليفة إراقة الدماء، ولو كان ذلك في نُصرته، والدفاع عنه، وحاول أن يردهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

أشرف عليهم يومًا وقال لهم: «أنه لا يحل سفك دم امرئٍ مسلم إلَّا في إحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنًا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس. فهل أنا في واحدة منهن؟ فما وجد القوم له جوابًا.

وقال لهم مرة: أيها الناس؛ إن وجدتم في الحق أن تضعوا رجلي في القيد فضعوها، فما وجد القوم له جوابًا. ثم قال: أستغفر الله إن كنتُ

---

(١) المِحْجَمة: الإناء الصغير.

ظَلَمتُ، وقد غفرتُ إن كنتُ ظُلِمت!!

واعتصم الخليفة بالصبر، وأبى أن تُسَل السيوف تأييدًا له حتى ضرَّج الثوَّار الأرض بدمه، كراهة أن يلقى الله بدم أحد في عنقه.

□ قال معبد الخزاعي لعليّ بن أبي طالب: «أخبِرني أي منزلة وسعتك إذ قُتِلَ عثمان ولم تنصره. قال: إن عثمان كان إمامًا، وإنه نهى عن القتال، وقال: من سَلَّ سيفه ليس مني، فلو قاتلنا دونه عصينا».

قال: فأي منزلة وسعت عثمان، إذ استسلم حتى قُتل؟ قال: المنزلة التي وسعت ابن آدم، إذ قال لأخيه: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة].

لله درك يا ذا النورين.. رحمة جامعة تُغطِّي بعطائها المقسط جلائلَ الأحداث وصغارَها، فللخادم منها حظه وحقُّه في أن ينعم براحة النوم، وإنْ أضنى الخليفة نفسه وشيخوخته في ظلمة الليل البهيم.. ولقطرات الدم حظُّها وحقُّها في أن تنعم بالسلام والعافية، وإن كان بديل ذَلك أن تَزْهَقَ روح الخليفة الشيخ بيد مُعتدٍ أثيم، وغادرٍ زنيم.. توغَّلَت الرحمة في حياته وفي سلوكه، حتى اقتضتْهُ آخر الأمرِ حياتَه نفْسَها، فجادَ بها.

ولقد كان من الطبيعيِّ لرجُل وسعتْ رحمته الناس جميعًا، أن تغطيَ رحمتُه ذوي قرباه، قال علي رضي الله عنه: «أوصَلُنا للرحم عثمان». لقد كان عثمان في ذلك نسيج وحدِهِ.

الرحمة المؤمنة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

* أي قلب رقيق ليِّن يخشى الله والدار الآخرة، كان قلب أبي تراب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه! لا يقف عند مرتبة العدل والقصاص بالمثل من

قاتله، ولكنه يتطلع إلى درجة الفضل والعفو ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل].

تربَّص بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه اثنان من طائفة الخوارج - شبيب الأشجعي، وعبد الرحمن بن مُلْجَم- وقد خرج قُبيل الفجر يُوقظ الناس للصلاة، فترقباه بباب المسجد حتى دخل فضربه شبيب فأخطأه، وضربه ابن مُلْجَم على صلعته، فقال عليّ كرّم الله وجهه: «فزتُ ورب الكعبة» أي بالشهادة. وتجمَّع الناس بسرعة على الرجلين، فأما شبيب فاستطاع أن ينسل من بين الناس. واما ابن مُلْجَم فلم يكتف بجريمته الشنعاء حتى حمل بسيفه على الناس فأفرجوا له، وتلقاه المُغيرة بن نوفل - أخو الهاشميين- بقطيفة فرمى بها عليه، واحتمله فضرب به الأرض، وكان قويًّا أيدًا، فقعد على صدره، ثم أقبل الناس على عليٍّ رضي الله عنه، يسألونه ما يصنعون به. فماذا قال عليٌّ في شأن قاتله البغيض، وهو الخليفة الآمر المُطاع؟

قال: «إن أعش فالأمر إليَّ،وإن أصبتُ فالأمر لكم، فإن آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة، وأن تعفوا أقرب للتقوى».

هذا هو منطق الإيمان: ضربة بضربة، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ألا ما أروع وما أعظم؟؟

عمر بن عبد العزيز رحمة الإسلام التي أنبتت رحمات ورحمات:

وجد فيه اليتامى أباهم، والأيامى وجدن فيه عائِلهُنّ، وجد فيه الضائعونْ ملاذهم.

«كتبت إليه سوداء مسكينة تُسمى «فِرثونة السوداء» من الجيزة بمصر

أن لها حائطًا متهدِّمًا لدارها، يتسوَّره اللصوص ويسرقون دجاجها، وليس معها ما تنفقه في هذا السبيل، فيكتب عمر إلى واليه على مصر «أيوب بن شرحبيل»: «من عبد الله بن عمر أمير المؤمنين، إلى أيوب بن شرحبيل، سلام الله عليكم. أما بعد؛ فإن فرتونة السوداء كتبتْ إلّي تشكو إليّ قِصر حائطها، وأن دجاجها يُسرَق منها، وتسأل تحصينه له، فإذا جاءك كتابي هذا، فاركب بنفسك وحصِّنه لها».

□ وكتب إلى فرتونة: «من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء: سلام الله عليكِ أما بعد، فقد بلغني كتابك، وما ذكرت فيه من قِصر حائطك؛ حيث يُقتحم عليك ويُسرق دجاجك.. وقد كتبت إلى أيوب بن شرحبيل، آمره أن يبني لك الحائط حتى يحصِّنه مِمَّا تخافين، إن شاء الله».

□ يقول ابن عبد الحكم راوي هذه القصة الباهرة: «فلما جاء الكتاب إلى أيوب بن شرحبيل، ركب بنفسه، حتى أتى الجيزة، وظل يسأل عن فرتونة حتى وجدها، فإذا هي سوداء مسكينة فأعلى لها حائطها».. رحمة وإحسان وعدل وأبوّة، لا يفلت منها شاردة ولا واردة!!».

✍ انظر إلى الرحمة التي غمر بها عمر بن عبد العزيز دولته يأمر لكل مريض بخادم على حساب الدولة.. ويفتدي أسرى المسلمين جميعًا.

فلله دره من إمام عدل ورحمة وختام الرحمة سيرة عمر بن عبد العزيز ورحمته السابغة رحمه الله.